


# إسماعيل ياسين

## سيرة درامية

ماهر زهدى



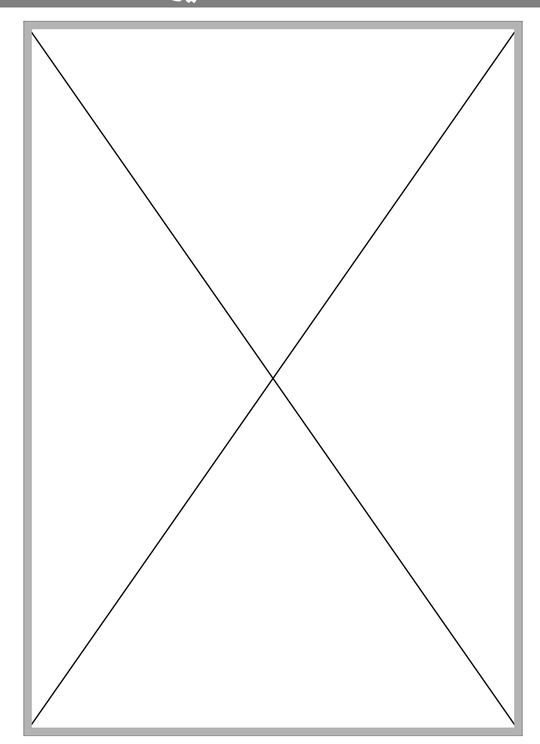




رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
علـى هاشـــم
ALIHASHEM@ELTAHRIR.NET
E-mail:aly_hashem@gitc.com.eg

دار الجمهورية للصحافة
١١١ ــ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

مايو ٢٠١٠



## أسعار البيع فى الخارج

| | |
|---|---|
| سوريا | ٣٠٠ ل.س |
| لبنان | ١٢٠٠ ل.ل |
| الأردن | ٤٫٥ دينار |
| الكويت | ٣ دنانير |
| السعودية | ٣٠ ريالاً |
| البحرين | ٣ دنانير |
| قطر | ٣٠ ريالاً |
| الإمارات | ٣٠ درهماً |
| سلطنة عُمان | ٣ ريالات |
| تونس | ٦ دنانير |
| المغرب | ٩٠ درهماً |
| اليمن | ٩٠٠ ريالاً |
| فلسطين | ٦ دولارات |
| لندن | ٦ جك |
| أمريكا | ١٥ دولاراً |
| استراليا | ١٥دولاراً استرالياً |
| سويسرا | ١٥فرنكاً سويسرياً |

## الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
١٨٠ جنيهًا
الدول العربية ٩٠ دولاراً أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا
١١٥ دولارا أمريكيًا
أمريكا وكندا
١٣٥ دولارا أمريكيًا
باقى دول العالم
١٧٥ دولارا أمريكيًا

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك أى مقترحات أو
ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨١٠١٠ ٢٥٧٨٣٣٣٣

http://www.eltahrir.net

# إسماعيل ياسين

## سيرة درامية

ماهر زهدى

# إهداء

**إلى روح أمى..**

أفكر كثيراً ماذا لو كنتِ بيننا الآن

وأنت ترين اسمى على هذا الكتاب؟

لذا أهديه إلى شبيهتها.. فى الروح

والملامح

**إلى ابنتى فاطمة..**

# تقـــــديم

لا شك أن سير حيوات العباقرة ورواد العلم والفكر والإبداع، هى خليط شديد التعقيد من الحكايات واللمحات الحضارية، لأنها لا تعبر عن ذوات هؤلاء العباقرة المبدعين فقط، بل تعبر أيضاً عن عصور الفكر وأوجه الحضارة فيه، ويعتبر هذا الكتاب تصويراً روائياً ودرامياً مبدعاً، لسيرة حياة زعيم جمهورية الضحك.. ملك المونولوج.. مخترع الكوميديا.. الفنان الظاهرة.. الضاحك الباكى.. فنان كل العصور.. أستاذ البيرلسك.. الفنان الأسطورة "إسماعيل ياسين".

لقد أسعدنى كثيراً ترشيحى لكتابة مقدمة هذا الكتاب، وهى سعادة مزدوجة، أولاً لأنها تتصدر كتاباً فريداً من نوعه عن هذا العملاق الخالد فى دنيا الكوميديا، إسماعيل ياسين (١٩١٢ - ١٩٧٢).. وثانياً لأن هذا الكتاب كُتِبَ بقلم صديقى وزميل دفعتى بالمعهد العالى للفنون المسرحية، الكاتب والناقد المتميز ماهر زهدى، الذى أصبح اليوم واحداً من أهم المؤلفين والنقاد فى مصر.

يتميز هذا الكتاب بين كتب السيرة الذاتية للفنانين، بأنه صيغ بالأسلوب الدرامى المميز لأدب الرواية، حيث ينقسم إلى فصول مـ هدية متعاقبة يحمل كل منها عنواناً يلخص فكرة الفصل وفق منطق السببية والحتمية الدرامية، كما يجمع بين السرد والحوار وعناصر الإثارة والتـ ويق فى عالم ملىء بالنكات والمقالب والمونولوجات النقدية والسخرية المرة، والكاريكاتير والفكر والعرق والنجاح والإخفاق والعطاء بلا حدود لمضحك الكبار ومعـ وق الصغار، فى عالم البراءة والـ قاوة.. إسماعيل ياسين.

والكتاب يتجاوز حدود السيرة الذاتية لأنه يقدمها مطعمة بمـ ـاكل الفن وقضايا المجتمع وأساليب الإبداع وظروفه، ويدمج كل هذا فى بوتقة العصر الذى يمكن أن نطلق عليه عصر "إسماعيل ياسين" بحيث نخرج من قراءة متن هذا الكتاب وقد جمعنا مجموعة من الخيوط الإنسانية والمستويات المعرفية التى تقف بنا على حقائق هذا الفن النقدى العظيم ومصادره وتجلياته.

يك ف الكتاب عن الظروف الصعبة التى مر بها إسماعيل ياسين ابن الصائغ السويسى، منذ نعومة أظفاره، مروراً برحلته إلى القاهرة عندما بلغ عمره السابعة عـ رة مستعرضاً مـ اهده الأولى فى القاهرة، وما فيها من صدمة حضارية بدأت بمـ اهدة تمثال "نهضة مصر" الذى كان موضوعاً أمام محطة باب الحديد قبل انتقاله لموقعه الحالى أمام الباب الرئيسى لجامعة القاهرة، ثم عمله صبياً فى أحد المقاهى بـ ارع الفن آنذاك "شارع محمد على"، وإقامته بالفنادق الـ عبية الصغيرة، ثم إلحاقه بالعمل مع الأسطى "نوسة" أشهر راقصات الأفراح الـ عبية فى ذلك الوقت، ثم عمله وكيلاً فى مكتب أحد المحامين، حتى اكتـ فه توءمه الفنى وشريك رحلة كفاحه الفنية وصديق عمره المؤلف الكوميدى الكبير "أبو السعود الإبيارى" الذى ذهب به إلى بديعة مصابنى لتقوم بتعيينه بفرقتها ليلقى المونولوجات فى الملهى المعروف باسم بديعة مصابنى.

استطاع إسماعيل ياسين أن ينجح فى فن المونولوج وظل عـ ر سنوات متألقاً فى هذا المجال حتى أصبح يلقى المونولوج فى الإذاعة المصرية، ثم دخل لعالم السينما عام ١٩٣٩ عندما اختاره فؤاد الجزايرلى لـيـ ـترك فى فيلم "خلف الحبايب"، ليقدم بعده العديد من الأفلام التى لعب فيها الدور الثانى.. لعل من أشهرها فى تلك الفترة (على بابا والأربعين حرامى ـ نور الدين والبحارة الثلاثة ـ القلب له واحد) لتبدأ بعد ذلك مرحلة البطولة المطلقة حين جذبت موهبة إسماعيل ياسين انتباه أنور وجدى، فاستعان به فى معظم أفلامه، ثم أنتج له عام ١٩٤٩ أول بطولة مطلقة فى فيلم (الناصح) أمام الوجه الجديد آنذاك "ماجدة"، بعدها استطاع ياسين أن يكون نجماً لـ باك التذاكر تتهافت عليه الجماهير، وكانت أعوام ٥٢، ٥٣، ٥٤، عصره الذهبى، حيث مثل أكثر من ستة عـ ر فيلماً فى العام الواحد، وهذا ما لم يستطع أن يحققه فنان آخر.

وعلى الرغم من أن إسماعيل ياسين لم يكن يتمتع بالوسامة والجمال، وهى الصفات المعتادة لنجوم الـ باك فى ذلك الوقت، إلا أنه استطاع أن يجذب إليه الجماهير عندما كان يسخر من شكله وكبر فمه فى معظم أعماله، فاستطاع أن يقفز للصفوف الأولى وأن يحجز مكانا بارزا ألهب حماس المنتجين للتعاقد معه على أفلام جديدة وأصبح البطل الوحيد الذى يقترن باسمه الفيلم.

وفى العام ١٩٥٤ أسهم إسماعيل فى صياغة تاريخ المسرح الكوميدى المصرى، وكون فرقة تحمل اسمه بـ راكة توءمه الفنى المؤلف أبو السعود الإبيارى، وظلت الفرقة تعمل على مدى ١٢ عاماً حتى العام ١٩٦٦، قدم خلالها ما يزيد على الخمسين مسرحية بـ كل شبه يومى.

كما أنه فى منتصف الخمسينيات كان قد كون وتوءمه الفنى أبو السعود

الإبيـارى مع المخـرج فطين عـبـد الوهـاب ثلاثيـا من أهم الـثـلاثيـات فى تـاريخ السينما المصرية، ليقدموا معا عددا كبيرا من الأفلام التى كانت تحمل فى أغلبها اسم (إسماعيل ياسين فى...) مثل (إسماعيل ياسين فى متحف الـ مع - إسماعيل ياسين يقابل ريا وسكينة - إسماعيل ياسين فى الجيش - إسماعيل ياسين فى البـوليس - إسمـاعـيل ياسـين فى الطيـران - إسمـاعـيل ياسـين فى البـحـرية - إسماعيل ياسين فى مستـ فى المجانين).. وغيرها، ولازمه فى هذه الأفلام الممثل رياض القصبـجى الـ ـهير بنمط "الـ ـاويش عطيـة" حيث كـانت مـ ـاهدهمـا - ولاتزال إلى الآن - مصدر متعة المـ ـاهدين لما فيها من مفارقات عجيبة ومواقف تصادمية تـ ـبه مصادمات "القط والفأر".

ومثلما اشتهر إسماعيل ياسين بفن المونولوج، اشتـهر أيضاً بفن "البيرلسك" فى مـ ـاهد لاتنسى سواء فى أفلام قام ببطولتها، أو قدم فيها الدور الثـانى منها مثلا فيلم "الآنسة ماما" لحلمى رفلة عام ١٩٥٠، حيث قدم إسماعيل مع محمد فوزى وصباح نموذجا بديعا لفن "البيرلسك" أو المحاكاة الكاريكاتيرية الساخرة فى اسكتش "أبطال الغرام" ويتضمن ثلاثة مواقف "كلاسيكية" (قيس وليلى - أنطونيو وكليوباترا - روميو وجوليت).

ويستمر هذا الكتاب فى استعراض نجاحات إسماعيل ياسين وأزمات حياته وعلاقاته الحميمة بزملائه، وصولا لأزمته الاقتصادية الأخيرة قبل وفاته، ثم صدمة وفاته التى أحزنت الوسط الفنى حزناً شديداً عام ١٩٧٢.

فى الحقيقة استمتعت كثيرا بقراءة هذا الكتاب للسبب المزدوج نفسه الذى ذكرته فى البداية، لكونه كتابا يتحدث عن فنان تعتبر حياته قطعة فنية رائعة فى حد ذاتها، وأيضا لتميز أسلوب الكاتب ماهر زهدى الذى يتمتع بلغته الدرامية البسيطة المعبرة، التى تجعل من هذا الكتاب قطعة أدبية فريدة بلا شك.

**د. أشرف زكى**

**نقيب الممثلين**

**القاهرة - ٢٠١٠**

# مقــــدمة المـؤلف

قبل رحيله بثلاثة أيام قال الفنان الراحل إسماعيل ياسين: "أنا لست خائفا من الموت فقد أعددت له ألف نكتة.. فسوف أموت كما عـ ت.. من الضحك"!!

وبين الحياة والموت قصة طويلة تروى كفاح فنان عاش طفولة بائسة ومعذبة وشقية، فحياته كتاب مفتوح، لسبب بسيط ووحيد، أنه شخصيا روى أدق تفاصيل حياته بنفسه فى حياته.. والأهم أنه رواها بصدق وبلا خجل من أى من مواقفها أو مراحلها، وإن كان مازال هناك الكثير منها غير معروف ومتداول، ليس لأنه لم يتطرق لمناطق بعينها فى حياته، فلم يكن هذا يمثل أدنى مـ كلة له، بل لأن هذا يعد جزءا من الظلم الكبير الذى تعرض له هذا الفنان الأسطورة.. سواء فى حياته، منذ لحظة ولادته، مرورا بكل مراحل حياته، وصعوده ثم هبوطه.. وانتهاء برحيله عن الدنيا.

لم ينل هذا الفنان الأسطورة ما استحقه من تكريم ومكانة لائقين به، وما مر به من رحلة شقاء حتى وصل إلى القمة.. ليبدأ المنحى فى الرجوع مرة أخرى.. وينتهى من حيث بدأ، وبالتالى ظل التعتيم على مناطق عديدة طواها النسيان بمرور السنين.

وربما كان هذا هو السبب الرئيسى، والأهم لتناولنا هنا رحلة هذا الأسطورة بهدف محاولة درء بعض من ظلم كبير وقع عليه.. وإعطائه ولو جزءا قليلا.. من كثير جدا يستحقه.

فهذا الفنان الأسطورة قدم للسينما المصرية العديد، بل والعديد جدا من الأعمال، حيث إن هناك آراء تؤكد أنه يوم وفاته كان رصيد إسماعيل ياسين من الأفلام فقط ـ بخلاف المسرحيات ـ ما يقرب من ٦٠٠ فيلم.. نعم الرقم صحيح وليس خطأ مطبعيا، ٦٠٠ فيلم، وهو ما قدر وقتها أيضاً بما يقرب من ربع رصيد السينما المصرية عند رحيله، ما بين أدوار ثانوية وأدوار ثانية وبطولات مطلقة، فضلا على أنه الفنان الوحيد فى تاريخ السينما المصرية وحتى الآن الذى قدمت له سلسلة أفلام ـ تزيد على ٢٠ فيلما ـ تحمل اسمه.

لذا كان من أهم الصعوبات التى واجهتنى، بعيدا عن البحث والتدقيق فى العديد من المناطق المعتمة فى حياة هذا الأسطورة، هو اختيار عنوان لهذا الكتاب بعد الانتهاء من كتابته.. غير أن المثير فى الأمر أننى اكتشفت أن العديد من أفلام هذا الفنان تصلح عنواناً رائعًا لكتاب عنه ومن بينها: "خلف الحبايب ـ البنى آدم، الصيت ولا الغنى، السعادة المحرمة، الناصح، المليونير، ماكنش ع البال، نهاية قصة، قليل البخت، الدنيا لما تضحك، بشرة خير، إنسان غلبان، المليونير الفقير".. وغيرها.

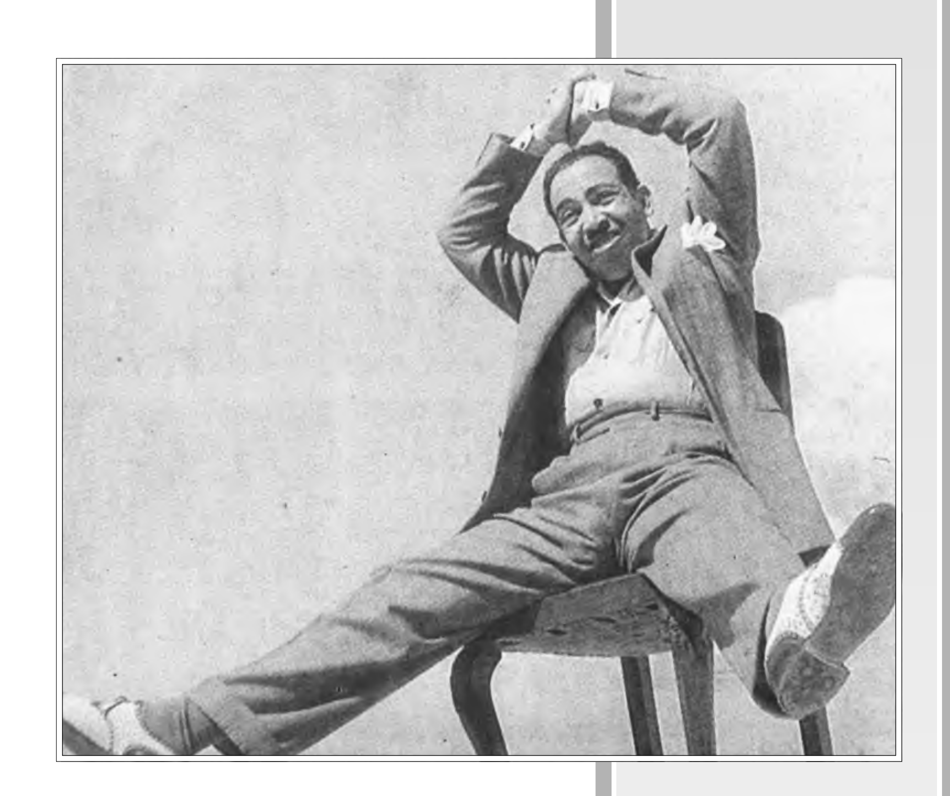
فضلا على سلسلة أفلامه التى تحمل اسمه "إسماعيل ياسين فى....." والتى من بينها ما يصلح أيضاً عنوانا لهذه السيرة الدرامية مثل: "مغامرات إسماعيل ياسين" و"إسماعيل ياسين للبيع"!!

وبعد بحث وتفكير طويلين اكتشفت أن أفضل عنوان لهذه السيرة الدرامية، وأفضل تعبير عن هذا الفنان الأسطورة هو اسمه فقط.. دون ألقاب أو عناوين أخرى تعبر عن مضمون سيرة حياته ولن تضيف إلى اسمه.. "إسماعيل ياسين".

**ماهر زهدى**

# خلف الحبايب







أبصر إسماعيل ياسين النور فى مدينة السويس فى الخامس عشر من سبتمبر ١٩١٢، والتحق طفلا بأحد "الكتاتيب" ثم تابع فى مدرسة ابتدائية مدة أربع سنوات، انتهت بعدها علاقته بالدراسة، ذلك أن الأحداث المؤلمة بدأت رحلتها معه، حيث توفيت والدته، ودخل والده السجن إثر إفلاس محل بيع الذهب الذى كان يمتلكه، ثم تكفلته جدته لأمه، والتى كانت إحدى علامات القسوة فى حياته، ما اضطر الفتى للعمل فى أكثر من مهنة "مناديا" أمام محل لبيع الأقمشة (يقف على الرصيف ليحث الناس على الدخول والشراء.. معدداً مزايا الأقمشة المتوافرة فى المتجر) فقد كان عليه أن يتحمل مسؤولية نفسه منذ صغره، فى تلك المدينة الفقيرة قليلة الموارد، إلا باستثناءات لبعض العائلات التى اختارتها موطنا لها، من بعض المحافظات والمدن القريبة منها، ولأسباب عديدة ربما كان أهمها موقعها الجغرافى الذى حباها الله به، فكتب الجغرافيا تقول إن المدن التاريخية ذات الأصول الحضارية دائما تنشأ وتنمو على موقع طبيعى متميز.. كأن تطل على البحر وتتصدر قناة ملاحية، أو تتربع على واد، ما يجعلها على احتكاك مستمر بحضارات العالم القديمة والحديثة.

وهكذا كانت مدينة السويس منذ آلاف السنين، لا يخلو كتاب للجغرافيا أو التاريخ من ذكر اسمها أو الإشارة إليها.





وهذا الموضع الذى شغلته مدينة السويس، وإن كان قد تغير وتبدل نتيجة لظروف جغرافية وسياسية، إلا أنها بقيت مدينة تطل على ميناء مصر وعلى برزخ السويس رغم اختلاف اسمها على مر العصور.

وقد شاء القدر لهذه المدينة المناضلة أن تظل الحارسة الأمينة بمكانتها الفريدة على حدود مصر الشرقية، فسطرت بدماء شهدائها أسمى آيات البطولة والبذل والعطاء، واستعذب شعبها كل التضحيات من أجل إعلاء شريعة الحق ولواء الشرف والكرامة، وسجلت أسطورة تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، وأكد شعبها أن إيمان الإنسان بالله ووطنه، لا ينفصل عن إيمانه بقضيته وبحقه فى الحياة الكريمة، كما أثبت شعبها المناضل أن إرادة الشعوب فوق كل عدوان وهى التى تنتصر دائما، فقد حملت فى عنقها اسم الشعب المصرى كله وعبرت عن بطولة كل مدينة وكل شبر من أرض مصر، منذ أن وجدت هذه المدينة الباسلة على أرض مصر، والتى يؤكد المؤرخ "جيمس هنرى برستد "أنها وجدت منذ فجر التاريخ».

مدينة السويس لها تاريخ عريق بدأ مع العصر الفرعونى، ففى عام ٢٥٦٣ ق. م كانت تسمى "سيكوت" وفى عهد الأسرتين الفرعونيتين ١٩ ، ٢٢ كان الفراعنة يطلقون عليها "يو ـ سويتس" وقد اتخذ منها فرعون مصر وقتها قاعدة لعملياته الحربية لتأمين مناجم سيناء ولردع الغزاة.

وأطلق على مدينة السويس أثناء حكم اليونان لمصر اسم "هيرو بوليس" ومعناها مدينة الأبطال، وفى عصر الملكة كليوباترا أطلق عليها اسم "كليو باتريس" وفى القرن التاسع الميلادى أطلق عليها "خمارويه بن أحمد بن طولون" اسم "السويس".

وهذه المدينة العريقة تحتل موقعا فريدا، جعلها مطمعا لكثير من الاستعماريين، ومدخلا لأى هجوم على مصر من جهة الشرق، كما أنها بمكانتها فى برزخ السويس تعتبر ملتقى ومعبرا بشريا للأجناس العربية والآسيوية على مر العصور، حيث تقع مدينة السويس جنوب شرقى

الدلتا فى أقصى غرب خليج السويس وعلى المدخل الجنوبى لقناة السويس على البحر الأحمر، ويحدها شرقًا قناة السويس ومحافظتا سيناء الشمالية والجنوبية، وغربًا الصحراء الفاصلة بينها وبين القاهرة والجيزة وبنى سويف، وشمالا محافظة الإسماعيلية، كما يحدها جنوبًا البحر الأحمر عند منطقة الزعفرانة.

وتمتاز مدينة السويس القديمة بشوارعها الضيقة، ومبانيها ذات الطابع المملوكى، وتبدأ نهضة السويس بشق القناة، وإنشاء ميناء "بور توفيق"، ليستقبل السفن المقبلة إلى الشرق الأقصى، وحوض إصلاح السفن.

ظلت السويس مدينة صغيرة هادئة، حتى القرن التاسع عشر، تقوم بوظيفة الميناء، الذى يربط مصر بالأراضى المقدسة، والشرق عموما، وما أن حُفرت القناة، حتى دخلت المدينة عهدا جديدا من تاريخها الحافل، فاطّرد نمو العمران فيها، وازداد عدد سكانها بمعدلات سريعة، وعندما أُنشئ الخط الحديدى بين القاهرة والسويس، تولّت الحكومة المصرية نقل الماء من القاهرة إلى السويس، فى صهاريج، لذلك يُعد حفر ترعة السويس العذبة "ترعة الإسماعيلية"، أحد العوامل المهمة التى أدت إلى تطوّر المدينة، ونموّ العمران فيها.

وما إن وصلت مياه النيل العذبة إلى السويس، حتى انقلبت الحياة البشرية فى منطقة برزخ السويس رأساً على عقب، وتحول الهدوء إلى حياة صاخبة، وإن لم تكن هذه الحياة من صنع قناة السويس، بقدر ما هى من صنع مياه النيل، التى وصلت إلى هناك.

كان يسكن السويس قبل الفتح الإسلامى جماعة من الناس تشتغل، غالبا، بالصيد والقرصنة ولكن السويس لم تلبث أن شهدت نشاطا واسعا، وانتعشت انتعاشا واضحاً، فى العصر الإسلامى.

وكان أول ما اشتهرت به السويس، فى ميدان النشاط الاقتصادى، بناء السفن حيث كان لها أهميتها الكبرى فى صناعة السفن، كما كانت

السويس أحد ثلاثة مراكز كبرى فى مصر، لبناء السفن التجارية، وغير التجارية.

كذلك، ظهر لمنطقة السويس أهمية اقتصادية، خاصة فى العصور الوسطى، نظرًا لغنى تلك المنطقة بالثروة المعدنية، مثل الذهب والزمرد، وهو ما جعل من السويس مركزا مهما لصياغة وصناعة الحلى والمشغولات الذهبية فى ذلك الوقت، وعلى وجه الخصوص فى حى الأربعين، الحى الأشهر على مر تاريخ المدينة، والذى يمثل أكبر نسبة من عدد السكان آنذاك، وكان يحمل طابعا شعبيا، بما يناسب غالبية سكانه الذين يعملون بالعديد من الحرف اليدوية والمنسوجات وصياغة الذهب.

وفى حى الأربعين العتيق بمدينة السويس ورث "ياسين على نخلة" مهنة صياغة وتشكيل الذهب وبيع الحلى عن والده التاجر "على نخلة"، وكانت هذه المهنة من المهن التى يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، ليس فقط لما بها من حرفية عالية وأسرار فى الصياغة، ولكن لما تحتاجه من أموال كثيرة، فكان لابد أن تكون العائلة التى تمتهن هذه المهنة، ليس فقط ميسورة الحال، بل بمعايير هذا الوقت من نهايات القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، لابد أن تكون أسرة ثرية، فضلا على اختيار بعض الأسر لتتخصص فى مهنة بعينها.

وقد اختار المعلم «على نخلة» الاتجار فى الذهب، وتصنيعه ـ على الرغم من أنها كانت من المهن المقصورة على التجار الأقباط فى ذلك الوقت، كما أنها لم تكن بالانتشار الكافى فى مدينة السويس ـ وكان حريصا على أن تنتقل هذه المهنة بأسرارها إلى نجله الوحيد من الذكور "ياسين".

**ـ على نخلة: اسمع يا ياسين.. أعرف أنك لاتزال طفلا ولكن لابد أن تعرف أنك ابنى البكرى والرجل الوحيد الآن.. وصياغة الذهب وبيعه مهنتنا.. فإذا أخلصت لها ستعطيك الكثير.. ولا تظن أننى بدأت كما**

**ترى الآن.. فما أكثر ما عانيته حتى أجد لى مكانا بين التجار.. وأصنع اسما.. لا أريد أن يضيع على يدك.**

- **ياسين: سأكون إن شاء الله كما تريد.. وأكثر.**

وبالرغم من ذلك فقد لاقى ياسين الكثير من التدليل والرفاهية، ليس فقط لأنه الابن الذكر الوحيد للأسرة إلى جانب فتاة أخرى شقيقة، بل لأن الأسرة أيضاً كانت ميسورة الحال، وهو ما جعل ياسين ينال ما يطلبه من أموال ينفقها على لهوه ولعبه.

كان ياسين حريصاً على أن ينال حظه من الشباب، حيث كان لا يترك مناسبة من أفراح أو حفلات يقيمها التجار الكبار، إلا وحضرها وتباهى بشبابه وأمواله، كما أنه لم يترك مكاناً يمكن أن يكون به لهو ورقص إلا وطرقه.

وفى الوقت الذى كانت تئن فيه مصر من وطأة الاحتلال البريطانى، وكان الكثيرون منهم ينتشرون، ليس فى مدينة السويس وحدها، بل فى كل الشريط الساحلى لمدن القناة "السويس، الإسماعيلية، بور توفيق، بور فؤاد، بور سعيد" كانت هناك أيضاً إلى جانب جنود الاحتلال، جاليات أخرى أجنبية تعيش فى مدينة السويس ـ بحكم أنها مدينة ساحلية ـ من اليونانيين والإيطاليين، والأتراك، وكانت تجارة أغلب هؤلاء تنحصر فى فتح البارات والمراقص والملاهى، وهو ما كان يجد فيها ياسين ضالته!

بعد أن أصبح شابا يافعا، لم يجد بدا من أن يقف إلى جوار والده فى تجارته، حيث كان والده يلح عليه فى أن يلتفت إلى مهنته ومهنة آبائه وأجداده، فاضطر ياسين إلى أن يلتزم بمشاركة والده عمله، على مضض، غير أن اللافت أنه كان سريعا فى التقاط أسرار المهنة وتفاصيلها، حتى أنه خلال فترة قصيرة أصبح واحدا من أمهر صناعها، وهو ما جعل والده يعتمد عليه بشكل كبير فى البيع والشراء بل وفى التصنيع.

شعر ياسين بذاته، ولم يكن قد أكمل عامه الحادى والعشرين حتى أصبح واحداً من أمهر صناع الذهب، وراح يتعامل مع الناس على هذا الأساس، فما إن ينتهى يومه فى المساء، حتى يعود إلى بيته يتهيأ بأفخم الملابس ليبدأ يومه الحقيقى فى بارات ومراقص حى الأربعين، وبقية أحياء مدينة السويس.

لم يكن ياسين يعود إلى بيته إلا مع النسمات الأولى للصباح، فى الوقت الذى كان والده يستعد فيه لأداء صلاة الفجر، ولأنه الولد المدلل لم يكن والده يرغب فى أن يثير معه المشاكل، خصوصا أنه كان يراه يتقدم بشكل جيد فى مهنته.

وعلى عكس ما جرت العادة، أن الأب يثور ويغضب لتصرفات الابن، والأم هى التى تدافع وتحمى الابن من غضب الأب، كانت أم ياسين هى التى تثور دائما على تصرفات الابن:

**ـ على نخلة: اتركيه فلن يبقى على هذا الحال طويلا.. أعرف أنها مرحلة طيش وشباب، وهو يريد أن يأخذ حظه منها.**

**● الأم: إلى متى... فقد بلغ مبلغ الرجال، وبدلا من الحالة التى يعيش عليها.. لماذا لا نزوجه، فهو الولد الوحيد فى العائلة.. ونريد أن يملأ الدنيا علينا أولادا ليعوض عدم وجود أشقاء ذكور له.**

**ـ على: لا تشغلى بالك كثيرا بهذا الأمر، فزواجه سيحدث اليوم أو غدا.. لكن أكثر ما يهمنى الآن أن يتحمل المسؤولية، ويحمل تجارة والده وجده خاصة وأن العمر يجرى.**

**وتتكرر شكاوى الأم.. مرة تتحدث مع ياسين.. وأخرى مع والده، وفى كل مرة يأتى الجواب على لسان الأب:**

**ـ على نخلة: ابحثى له عن عروس من عائلة محترمة، لأقيم له فرحا تتحدث عنه السويس بأكملها.**

لم يكن هذا الكلام يشغل بال ياسين أو يعبأ به، فهو يريد أن يعيش مثل أصدقائه من أولاد كبار التجار، والذين زاد عليهم عدد

كبير من الأصدقاء الجدد من الجاليات غير العربية من اليونانيين والإيطاليين، وغيرهم سواء من الرجال أو النساء.. وتحديدا النساء!

ومع ذلك ربما كان ياسين أحرص من والده على ألا تكون له مجرد علاقة من أى نوع مع جنود الاحتلال البريطانى، الذين كانت تعج بهم المدينة، وتحديدا عندما تجمعهم المصادفة فى البارات والحانات والمراقص الليلية.

بفعل ذكاء ياسين وحرص والده بدأت تجارته تزداد وتنمو، ما جعل والده يتوسع فى تجارته ويزداد عدد الصناع والعاملين لديه، بعد أن اطمأن إلى مهارة نجله، ويتغاضى عن كثير من أحواله التى لم تكن ترضيه.. غير أن التوسعات الجديدة خلقت من ياسين شخصا جديدا، فزاد إحساسه بذاته، وشبابه وثرائه، فبدأ يمارس سطوته كصاحب تجارة.. فى الوقت الذى بدأ دور والده يتراجع عن التجارة لكبر السن، فانحصر دوره فى أن يجلس بالمحل الذى زاد حجمه ليصبح فى خلفيته ورشة للتصنيع، يبيع ويشترى، وربما يذهب لتحصيل الأموال من بعض التجار، فى حين أصبح ياسين هو المشرف على التصنيع والصياغة، وقبل أن ينهى يومه يكون قد اتفق مع أصدقائه على المكان الذى سيقضى فيه ليلته.

وزاد إحساس الثقة بالنفس عند ياسين، لدرجة أنه لم يعد يعبأ متى يعود إلى البيت، وفى أى شكل، حتى كان اليوم الذى عاد فيه قبيل الفجر، وبينما والده يستعد لصلاة الفجر، يسمع صوت عربة "سوارس" فيطل برأسه من شرفة البيت، ليرى ابنه الوحيد ينزل من العربة وتودعه امرأة وداعا حارا.

وقف الأب فى انتظاره.. ويدخل ياسين البيت كعادته، ويزداد الأمر تعقيدا حين يشم والده رائحة الخمر تفوح من فمه.. عندئذٍ جن جنونه.. وكانت تلك هى المرة الأولى التى يصفع فيها الأب الابنَ المدلل على

وجهه، وعلى صوته الجهورى استيقظ كل من بالبيت.. الأم والشقيقة.. وربما الجيران!

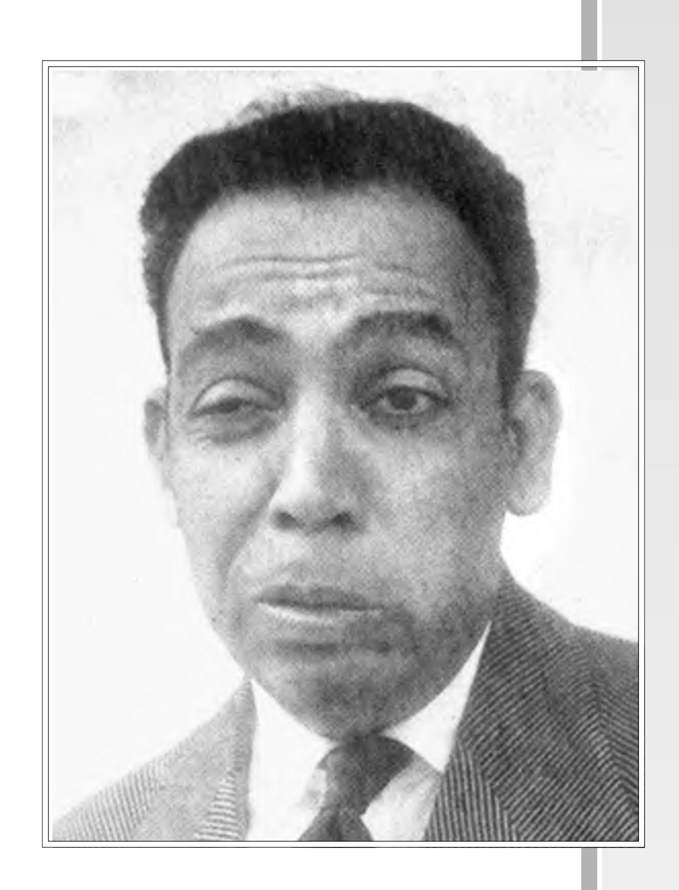
**ـ على: نساء وخمر.. وصل الموضوع إلى هذا الحد!!**

ويصبح هذا اليوم علامة فارقة فى حياة الفتى المدلل.. خاصة بعد أن تبدلت علاقة والده به، وتحول الأمر، فبعد أن كان الحزم والشدة يأتيان من الأم، واللين والحنان المتدفق من الأب.. خيم جو من التوتر فى العلاقة بين الأب والابن، التدقيق فى كل خطوة، الإنفاق بحساب، من يأتى له.. من يخرج معه.. متى يعود إلى البيت.. للدرجة التى جعلت الأم تشفق على "المدلل" الذى كان.

وعلى عكس ما جرت العادة بين الأسر فى ذلك الوقت، فالبحث يكون عن زواج الفتيات أولا، ومع اقتراب شقيقة ياسين من سن الزواج، إلا أن الأب قرر أن يكون الزواج للولد أولا.. قبل أن ينجرف إلى طريق اللا عودة.



# فرحة ما تمت





لم يتأزم الموقف بين ياسين ووالده تماما، غير أنه أحدث شرخا فى العلاقة بينهما، خاصة مع إحساس الأب بأنه كان وراء وصول الابن إلى هذه الحالة، فربما نجح فى أن يجعل منه صائغا ماهرا، ومشروع تاجر متميز، سرعان ما سيأخذ مكانه بين كبار تجار المدينة، غير أن دافعه إلى ذلك يعود إلى خوفه عليه من أن يسلك طريق الفدائيين الذين يحاولون مقاومة الاحتلال الإنجليزى بالمدينة بكثرة، كحال بقية مدن المحروسة، وهو الطريق الذى يمكن أن يأخذ منه ابنه الوحيد، فى مقابل ذلك كان تدليله الزائد عن الحد، كل هذا كان سببا فى ابتعاد الابن عن طريق الأب، واتخاذه طريقا خاصا به واهتمامات خاصة، زاد فيها انغماسه فى حياة اللهو والنساء، بزيادة صداقاته وعلاقاته، وخاصة مع أبناء الجاليات الأجنبية الموجودة بالمدينة فى ذلك الوقت.

فعلى الرغم من صغر هذه المدينة وهدوئها، إلا أنها كان تتسم بكثرة المراقص والملاهى الليلية والحانات، وكان أكثر المترددين عليها من الجاليات الأجنبية، وجنود الاحتلال، وعدد من الأهالى المتعاملين معهم، فضلا على كبار التجار الذين كانوا يعملون بتجارة الأسماك والأقمشة والزيوت والمعادن، فقد عاش الأجانب وخاصة اليونانيين والأرمن والفرنسيين فى السويس كأنهم من أبنائها، وكانوا يمتلكون الكثير من المتاجر والمصانع الصغيرة أو ما يطلق عليها "الورش" ومحلات البقالة

وبعض المطاعم، وكان الأمر المدهش أن هؤلاء الأجانب يتكلمون العربية كأنهم مصريون، ولم يكن أبناء المدينة يعاملونهم باعتبارهم أغرابا أو أجانب، بل اعتبروهم دائما جزءا أو بعضا منهم.

ولكن الأمر بالنسبة للإنجليز كان مختلفا، لأنهم مثلوا دائما رمزا للظلم والطغيان والاحتلال الذى كانت معسكراته وثكناته تنتشر على أطراف المدينة من كل الجهات، بل وتجثم على صدور سكان المدينة وفى قلبها.

كانت المدينة مثلها مثل سائر مدن مصر تعيش تحت نير الاحتلال البريطانى الذى كان هو الآمر الناهى فى نهاية المطاف، وما كان لشعب تحت الاحتلال أن تكون له أحلام أبعد من حلم الاستقلال فقد كان هذا هو الهم الأكبر الذى استحوذ على كامل الجهد والطاقة للقادة والشباب على السواء. وبهذا لم يكن من الممكن أن يكون ذلك الزمن جميلا مرصعا بالأحلام والآمال، ومن حيث التكوين الاجتماعى أو التركيبة السكانية، فإن السويس ـ ومثلها بقية مدن القناة ـ تكونت من خليط شكلته هجرات المصريين إلى مدن القناة، حيث تدفقوا إليها بالمئات فى وقت متزامن مع افتتاح القناة، وظهور شكل جديد للحياة فى هذه المنطقة، ولم يجد أهل الجنوب الذين نزحوا مع حفر القناة، أمامهم سوى خيار البقاء فى الحياة الجديدة منخرطين فى أعمال وحرف تتطلبها حاجات الحياة والمعيشة فى المدينة، مفضلين ذلك على العودة إلى منابع هجرتهم فى صعيد مصر.

أما الهجرة الثانية فجاءت من شمال الدلتا وتكونت من الصيادين فى المناطق التى تطل على بحيرة المنزلة، والذين وجدوا فى المجرى المائى للقناة الجديدة، موردا جديدا للرزق ، فنزحوا بعائلاتهم إلى مدن القناة ومن بينها السويس، ليكونوا مجتمعا يقوم على صيد الأسماك والتجارة فيها.

وكان للمعلم "على نخلة" علاقات اضطرارية مع البريطانيين، باعتباره أحد تجار تصنيع الذهب، حيث كان الذهب المصرى ينتقل بالسفن إلى

بريطانيا أولاً بأول، فلم تكن سوق الذهب رائجة فى مصر فى ذلك الوقت، وكان الاعتماد بشكل أساسى على البيع للجاليات الأجنبية، ثم البيع الاضطرارى بأبخس الأثمان للبريطانيين ليتم تصديره إلى بريطانيا وإعادة تصنيعه.

لهذه الأسباب كلها، ولضعف التجارة وهبوطها وصعودها وفقا لأهواء المحتل، كان الأب يخشى على نجله ومستقبله، لذا كان حرصه الأول أن يتعلم ياسين أصول التجارة ويكون شبكة علاقات واسعة مع كبار التجار، وهو ما جعله لاينظر سوى لهذا الزاوية المهمة، لذلك كان إحساسه بالندم على ما جرى مع ابنه، وانه جاء متأخرا، فقد بلغ ياسين مبلغ الرجال، وأصبحت له جلساته الخاصة بعيدا عن الجلسات التى كان يصطحبه فيها الأب، وأخذ يظهر فى شكل كبار التجار، وكان لافتا للنظر بين أصدقاء الأب وسؤالهم الدائم له كيف يترك ولده يصل إلى هذه السن - فى مرحلة العشرينات - دون زواج؟!

**● إلى متى تنتظر على زواج ياسين، فمن هم فى مثل عمره لديهم أولاد يجرون أمامهم.. كيف تتركه حتى الآن دون زواج؟**

**- وهل تظن أن هذا يرضينى.. فقد تعبت من كثرة الحديث معه فى هذا الموضوع.. بل إننى ليس لى دعاء فى كل صلاة سوى أن أرى حفيدا لى من ياسين.. فهذه أمنيتى أن أرى ولده قبل أن أموت.**

**● الرجال ليس لهم فى هذا الموضوع.. مثل هذه الأمور من اختصاص "الحريم" فلتبحث أم ياسين عن عروس بين الجيران والأقارب والمعارف.**

بدأت رحلة البحث عن عروس للفتى المدلل ياسين.. وكان ذلك من مهام السيدات، بحكم لقاءاتهن فى البيوت وجلسات الحريم، وقيام كل واحدة منهن بعرض ما لديها من مواصفات فتيات فى سن الزواج.. وكانت هذه الجلسات فى الغالب الأعم تسفر عن زيجات، وصلة نسب بين الأسر الأصدقاء.

وبدأت رحلة استعراض العرائس على الفتى المدلل.

**● الأم: ما رأيك فى نسب المعلم أمين الحداد.**

**ـ ياسين: يا أم ياسين.. اللى يجاور الحداد ينكوى بناره.**

**● الأم: بلاش الحداد.. الحاج على القماش لديه ابنة فى سن الزواج يتحاكون بأخلاقها**

**ـ ياسين: نعم يتحاكون عن أخلاقها لأنه لن يجرؤ أحد على أن يتحدث عن "خلقتها".. فلى صديق على صلة قرابة بهم.. وأكد لى مرة أن والدها الحاج على القماش يفوقها فى الجمال!**

**● الأم: احترت معك.. سأنفض يدى من هذا الموضوع.. وسأدع والدك يبحث لك عن العروس المناسبة.. ووقتها قل له.. هذه جميلة وتلك قبيحة.**

يجرى ياسين ويقبل يد والدته

**ـ ياسين: أبوس إيديك.. فأنا أعرف فيما يفكر.. ولو أنه زوجنى ابنة صديقه يوسف تاجر السمك.. سألقى بنفسى فى المالح فأنا لا أحب أكل السمك.. أتزوجه وأعيش معه بقية عمرى!!**

لم يدم البحث عن زوجة لياسين طويلا.. ففى الوقت الذى كان الوالد والوالدة مشغولين بالبحث له عن زوجة.. كان هو أكثر انشغالا منهما فى البحث عن زوجة، ليس حبا فى الزواج ولكن خوفا من أن يختارا له من تكون سببًا فى شقائه طيلة حياته.. حتى عثر أخيرا على الزوجة المناسبة.. ربما لم تكن أكثرهن جمالا، أو أكثرهن ثراء، ولكنه تعلق بها منذ اللحظة الأولى التى رآها تدخل عليه لتشترى بعض الأساور الذهب..

على الفور قرر ياسين أن ينقذ نفسه من العروض التى تنهال عليه ، ودخل على أمه يوما وهو متهلل الوجه.

**● ياسين: خلاص يا أم ياسين وجدت العروسة المناسبة.. وعرفت كل شىء عنها وعن أهلها.. من بكره نروح نزورهم.. كلمى أبو ياسين وحاولى تقنعيه.**

**الأم: أقنعه!! ليه هى مش بنت ناس**

**● ياسين: بنت ناس طبعا.. بس..!**

لم يكد ياسين يكمل جملته حتى سمع هو ووالدته طرقا على الباب.. ليدخل الأب محمولا بين أيدى بعض الرجال من أصدقائه.. فقد سقط فى الشارع أثناء عودته..

ويظل الأب عدة أيام طريح الفراش.. ويبدو أنها النهاية التى لم يكن يتوقعها ياسين بهذه السرعة.. ليرحل الأب قبل أن يرى ما عاش يتمناه لابنه: الزواج ورؤية الحفيد.

بفقدان الأب شعر ياسين بأنه أصبح فى العراء، وعلى عكس ما كان يظن البعض، من أنه برحيل والده سيصبح أكثر تحررا، وسيهمل تجارته، ويضيع كل ما كونه أبوه فى سنوات عمره، فى الملذات وشرب الخمر والنساء.

بل إن كل ما فعله رحيل الأب هو تأجيل فكرة الزواج، ربما إلى أجل غير مسمى، ولكن فى المقابل زاد إحساس ياسين بالمسئولية، فقد أصبح فجأة مسئولا عن تجارة والده بمفرده.. لذا كان حريصا على ألا تضيع منه خاصة بعد أن تكاتف عليه بعض أصدقاء الأب حرصا منهم على ألا يكون سببا فى ضياع اسم والده.

**● أنت الآن كبير الأسرة.. والرجل بعد والدك.. ووالدتك وشقيقتك أمانة فى عنقك.. لابد أن تلتفت لتجارة والدك وتبتعد عن الطريق الذى يمكن أن يأخذك بلا عودة.**

**ـ أعرف كل ما تريدون قوله.. فليس لى غيرهما الآن بل ولابد أن تتزوج شقيقتى فى فرح تحكى عنه السويس كلها وليس حى الأربعين.. وإذا كان الحاج "على" قد بذل سنوات عمره ليصنع اسمه وتجارته.. فلن يكون لى هم سوى أن يكبر الاثنان.. الاسم والتجارة.. وستكشف الأيام عن صدق كلامى.**

التف كبار التجار حوله.. اعتبروه واحدا منهم، ومرت الأشهر سريعة..

وياســين يفى بما قطعــه على نفــســه.. أصــبح الرجل فـى البــيت وفى التجارة.. التجارة تكبر وتنمو، ويزداد فخر الأم به يوما بعد يوم.

ومع أول عـرض من أحد الأصـدقاء القـدامى.. بدأت مـرحلة الانهـيار والتراجع

**● إيه يا عم ياسين.. خلاص نسيتنا ونسيت أيامنا؟!**

**ـ معـقـول.. وإحنـا نسـتـغنى.. بس من يوم المرحـوم والواحـد حـاسـس إن الدنيـا كلها علـى دماغـه.. وبعدين يا سـيدى الأيام جاية.. شـوف أنت بس مناسبة ورتب لنا سهرة حلوة.**

**● المناسبة موجودة.. والسهرات الحلوة مفيش أكتر منها..**

**ـ وأنا جاهز من دلوقت..**

**● كلام جميل.. يبقى النهارده عند المعلم أبو العز السويسى..**

**ـ بتاع السمك**

**● أيوه.. جايب صبيت من مصر.. والسهرة صباحى**

**ـ أكيد جايب الشيخ يوسف المنيلاوى.. ده مفيش زيه**

**● الشيخ يوسف المنيلاوى تعيش أنت من قبل رمضان اللى فات..**

**ـ عليه رحمة الله.. أمال جايب مين**

**● جايب الشيخ عبد الحى حلمى والتخت بتاعه**

**ـ يبقى السهرة صباحى.**

فقد كانت تلك الليلة شرارة البداية للعودة لأيام السهر واللهو والمشاركة كل ليلة فى مثل هذه الجلسات، حتى لاحظت أم ياسـين عودة ابنها للحال الذى كان عليه قبل رحيل والده: السـهر حتى أذان الفـجـر.. والعودة إلى المنزل مترنحا ورائحة الخمر تفوح من فمه.. والنوم لما بعد صلاة عصر اليـوم التــالى.. فى الوقت الذى يأتـى فـيــه العــاملون فى المحل وورشــة صـيـاغـة الذهب منذ الصبــاح البـاكـر إلى المنزل دون جـدوى، ويعـودون

للوقوف أمام المحل والورشة لحين استيقاظ ياسين والذهاب إليهم.. ولا يلبث أن يمضى ساعات قليلة فى المحل ثم ينصرف مسرعا إلى سهرات اللهو والطرب والحانات والمراقص.. فكل يوم مخصص لمكان يذهب إليه.

لم تجد أم ياسين حلا سوى إعادة إحياء فكرة الزواج مرة أخرى.. فقد مضى ما يزيد على العام على وفاة والده..

ويعود الكلام عن العروس التى كان قد وقع اختيار ياسين عليها.. فهى لاتزال غير متزوجة.. خاصة وأنها انشغلت به.. ووجدها ياسين فرصة لكى يبعد عن رأسه الصداع الدائم الذى تسببه له والدته بضرورة الزواج.. وهو على يقين بأن والدته لن ترفض هذه العروس على الرغم من بساطة أسرتها حيث إنها لم تكن فى نفس المستوى الاجتماعى لأسرة ياسين، فالعروس من أسرة بسيطة توفى عائلها، والأم "أليفة" هى الحاكم الآمر فى كل شىء، حيث إنها تتمتع بجرأة الرجال وصلابتهم.. والأمر كله بيدها وليس لأشقاء الفتاة أو أعمامها أو حتى أخوالها كلمة بعد كلمتها.

كانت المعلمة أليفة ـ كما كانوا يطلقون عليها ـ من نوعية تلك النساء اللواتى خلعن قلوبهن ووضعن مكانها قطعة من الحجر أو الحديد الذى لا يلين.. ففى الوقت الذى كان فيه الرجال يخشون التجول فى شوارع المدينة ليلا، كانت "أليفة" تذهب لتدخن "الشيشة" فى منطقة مهجورة على أطراف المدينة، بالقرب من المقابر، وفى كثير من الأحيان كان ذلك يتم داخل أحد أحواش المقابر!

هذا كله جعل لها كلمة مسموعة عند الرجال قبل النساء، وإذا قالت كلمة لا تردها، مهما يكلفها ذلك، وإذا أخذت انطباعا عن شخص ما تعاملت معه، لا يتغير هذا الانطباع مهما يجتهد هذا الشخص فى تغييره.

فقد كانت تتاجر فى الأقمشة والزيوت، حيث كانت تعمل كوسيط بين كبار التجار بسخاء وبين البائعين بالتجزئة، ولم يكن ذلك يدر عليها

بالمال الوفير، فى الوقت الذى كانت تنفق فيه الكثير على حياتها الشخصية، لذا لم تجلس معها أم ياسين سوى مرة واحدة.. تم الاتفاق فيها على كل شىء، فلم تستطع أن تجالسها مرة أخرى، خاصة بعدما عرفت أنها تدخن "الشيشة" حتى فى وجود الرجال، فامتنعت والدة ياسين عن الجلوس معها ثانية، وتولى ياسين فيما بعد الاتفاق معها على ما تبقى من تفاصيل الزواج.

وعلى الرغم من الاتفاق على كل شىء، وعلى الرغم من أن شيئا لم ينقصه ليتمم الزواج، فإنه حرص على أن يزوج شقيقته قبل أن يزف إلى عروسه، وهو الأمر الذى أدخل السرور كثيرا على قلب أمه.. فقد شعرت بالفعل أنه يمكن أن يحل بالفعل محل الأب..

ولم يمض وقت طويل على زواج شقيقة ياسين.. حتى أقيمت الأفراح.. وفى مطلع العام ١٩١١ زف ياسين لعروسه.. ليصبح لأول مرة مسئولا عن أسرة جديدة، وعاش ياسين مع زوجته وأمه، كأسعد ما يكون الزوج، كان حريصا على أن يبنى أسرة جديدة، وأن يحقق حلم والده فى أن يكون له "عزوة" من الأولاد يملأون عليه حياته، وهو ما جعل أم ياسين تبدأ فى الاطمئنان عليه بعد شهر واحد فقط من الزواج

**● مش تتجدعنى بقى علشان نفرح بعيالكم**

**فى خجل واضح:**

**ـ بلاش الكلام ده يا نينة.. أنا مالى!!**

وعلى الرغم من أجواء السعادة التى كانت تخيم على البيت.. فإنه كان على ما يبدو أن شهر العسل فقط.. هو ما عاشته زوجة ياسين معه..

فما إن انتهت الأسابيع الأولى من الزواج حتى بدأ الحنين إلى الحياة الأولى يأخذ ياسين مرة أخرى، وبدأ أصدقاء السوء يتكالبون عليه مرة أخرى:

**● يظهر أن أخلاقك فسدت بعد الجواز.. بقيت ما بتخرجش من البيت من بعد العشاء؟**

**●● سيبه بلاش إحراج.. يمكن الجماعة بيقفلوا باب البيت بدرى!!**

**ـ مفيش داعى للقباحة.. وبدل التريقة أنت وهو.. شوفولنا مكان نقضى فيه الليلة**

**● هو ده الكلام.. خللى أيام الأنس ترجع**

**●● إيه رأيكم نسهر النهاردة عند "ياسو" سمعت أنه جاب رقاصة من مصر.. بيتحاكو بجمالها.**

**ـ خلاص.. تبقى الليلة عند "ياسو"!**

كانت الأم تظن أن الزواج سيخلق من ياسين رجلا جديدا، بعيدا عن الفتى المدلل الذى تربى على أن تلبى كل طلباته حتى فسدت أخلاقه، حتى عندما بدأ يتعامل مع زوجته بعد مرور الشهر الأول من الزواج بشكل فيه كثير من الغلظة، كانت تعمل على ترضيتها وتطييب خاطرها حتى لا تنقل ما يحدث منها إلى أمها المعلمة "أليفة"، وفى الوقت نفسه حتى لا يفشل زواج ابنها الوحيد، وتتركه فريسة لحياة اللهو والعبث، ومع كل محاولاتها وكل حالات الود والحب التى كانت تحاول زرعها فى نفس زوجة ياسين، إلا أنه سرعان ما عاد ياسين مرة أخرى إلى سابق عهده مع حياة الليل وصحبة السوء، النساء والخمر والسهر حتى الصباح.

لم يستطع الزواج أن يغير من حياة ياسين التى تعود عليها سنوات طويلة: نوم طوال النهار، وسهر طوال الليل، دائم الشجار مع زوجته، ما إن تبدأ بمفاتحته فيما وصل إليه حاله وحال تجارته، بناء على نصيحة والدته لها، حتى يبدأ فى الشجار الذى كان غالبا ما ينتهى بالضرب، وفى إحدى المرات وقبل أن يهوى بيده على وجهها حتى سقطت مغشيا عليها.. حملها إلى السرير على الفور.. حضرت الأم وقامت بإفاقتها، غير أنها لم تمرر حادث سقوطها مغشيا عليها مرور الكرام، وبخبرتها استدعت على الفور "الست رزقة المولدة" لتكشف عليها، وصدق حدسها، حيث خرجت الست "رزقة" من الغرفة وهى تزغرد.. لتؤكد أنه على ياسين أن ينتظر ستة أشهر ليستقبل ولى العهد.

لم تتمالك أم ياسين نفسها من الفرحة.. وانهمرت دموعها.. فسوف تتحقق أمنية الأب ويأتى الحفيد..

نزل الخبر على سمع ياسين ليفعل فعل السحر، فلم تكن زوجته تتصور أنه سيفرح كل هذا الفرح.. لم يتمالك نفسه من فرحة الخبر.. وخرج إلى الشارع ليخبر كل من يقابله بأنه سيصبح أبا خلال شهور قليلة.

وعاش الجميع الشهور القليلة المتبقية فى شوق ولهفة انتظارا لوصول ولى العهد.



# بيت النتاش





كما هى عادة أهل مصر يستقبلون شهر رمضان بالاحتفالات والفرح والطبول تعبيراً عن سرورهم بهذا الشهر الكريم، وتضاء الشوارع والحوارى والأزقة بالفوانيس، وفى الليل يسهر الصائمون فى الليل حتى وقت السحور لصلاة الفجر، وفى النهار تضج الأسواق بالبائعين والمشترين، ولشهر رمضان عادات وتقاليد خاصة فى مدينة السويس يتوارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم، فما إن تثبت رؤية الهلال إيذاناً ببدء الصوم، حتى تغلق أغلب الحانات والمراقص أبوابها؛ بالرغم من أن أصحابها ليسوا مصريين ولا مسلمين.. ويجتمع الناس ـ رجالاً ونساءً وأطفالاً ـ فى المساجد والساحات العامة يستمعون إلى الأناشيد والمدائح النبوية و«حضرات الصوفية»، ابتهاجاً بقدوم هذا الشهر كما يقوم العلماء والفقهاء بالطواف على المساجد، والتكايا التى كانت تفتح أبوابها طوال الشهر ـ على طريقة موائد الرحمن الحالية ـ لتفقد ماجرى فيها من تنظيف وإصلاح وتعليق قناديل وإضاءة شموع وتعطيرها بأنواع البخور والمسك والعود الهندى والكافور، وتجهيز أدوات الطهى والطبخ.

كما كان أيضاً ـ ولايزال ـ للفانوس أهمية خاصة ـ منذ دخول الفاطميين مصر ـ واستعمالات عديدة فكان الكبار يحملونه لكى ينير دروبهم أثناء السير، أما الأطفال فكانوا يحملونه ويجوبون الحوارى والأزقة والشوارع وهم ينشدون الأغانى الرمضانية الجميلة.

## رحيل الأم.. وولادة النجم

ما إن حل شهر رمضان فى العام ١٣٣٠ فى التقويم الهجرى، والذى يقابله شهرا أغسطس وسبتمبر من العام ١٩١٢ فى التقويم الميلادى ـ كحال هذا العام (٢٠١٠) تحديدا ـ وهو الشهر الذى كان مقدرا أن تلد فيه زوجة ياسين مولودها الأول، وفق حسابات السيدة "رزقة المولدة"، حتى بدأت أسرة ياسين فى الاستعداد لاستقبال مولودها، وراح ياسين يشترى كل ما لذ وطاب، وكل ما يمكن أن يستقبل به مولوده، بما فى ذلك "الفانوس"، غير أن حسابات السيدة "رزقة المولدة" لم تكن دقيقة بالقدر الكافى، ومر الشهر سريعا، دون أن يصل الضيف المنتظر.

ويأبى القدر أن يمهل والدة ياسين لتتحقق أمنيتها بأن ترى حفيدها الذى انتظرته طويلاً، فقد وافتها المنية، ورحلت وهى فى شوق ولهفة لأن ترى ذرية ياسين الذى حزن حزناً كبيراً على فراقها كما لم يحزن من قبل، حتى على والده الذى كان مصدر سعادته وتدليله، فقد شعر ياسين باليتم ـ على كبر سنه ـ واعتصر الحزن قلبه حزناً على فراق من أحب.. وجلس فى انتظار أن يأتى من أحببت هى قبل أن تراه.. الحفيد.

مر شهر رمضان بأكمله، وثلاثة أيام من عيد الفطر المبارك.. وفى اليوم الرابع يستقبل ياسين.. والدنيا كلها هذا المولود الذى أطلق عليه والده اسم "إسماعيل" فى الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩١٢، الموافق الرابع من شوال عام ١٣٣٠.. ليتم الإعلان عن مولد "إسماعيل ياسين".

## آمال.. وآلام

فرحت الأم كما لم تفرح من قبل بقدوم مولودها "إسماعيل" فعلى الرغم من أن زواجها لم يمر عليه سوى عام أو يزيد قليلاً، فإنها شعرت بأن السماء أرادت أن تعوضها عن أيام الشقاء والتعاسة التى عاشتها خلال هذه الفترة.. فها هو إسماعيل سيملأ حياتها، خاصة بعد أن فرغ

البيت عليها برحيل الحماة جدة إسماعيل، وسيكون هو سلواها فى ظل غياب والده ياسين عن البيت.

وفى ظل حالة الانكسار التى أصبح عليها ياسين برحيل والدته، فإنه كان فرحا بأول مولود له، وراح يمنى نفسه بأنه ما إن يشتد عود إسماعيل حتى يبدأ فى إعداده ليكون خليفة له، كما فعل معه والده، يعلمه تجارته ويشربه "الصنعة" التى نشأ وتربى عليها، وهى صياغة الذهب، وإن كان لأم إسماعيل رأى آخر، فهى تريد له أن يكون طالب علم، أن يكون أحد علماء الأزهر الشريف فى مصر، أو الذين يلتحقون بمدرسة "المهندس خانة" - كلية الهندسة - أو غيرها من المدارس العلمية، وهو ما جعلها ترفض نية الأب فى أن يكون الابن امتداداً له.

قرر ياسين أن يبدأ حياة جديدة بوصول ابنه إسماعيل، فقد أصبح أكثر حرصاً على العودة مبكراً إلى البيت، لم يعد لسهرات المراقص والملاهى الليلية، ابتعد عن شرب الخمور، أصبح أكثر انضباطاً كرب أسرة مسئول عن أسرته، وزاد من إحساسه بالمسئولية أنه فقد من كان يركن إليهما، ويفعل ما يفعله فى ظل وجودهما، وهما والده ووالدته..

التغيير الذى حدث فى حياة ياسين بوصول نجله استشعرته "أم إسماعيل"، وراحت تمنى نفسها بحياة جديدة بعيداً عن المشاكل التى أرقتها فى السنة الأولى من زواجها.. وبتربية "إسماعيل" كما تريد له.. ولم تكن تدرى أن هناك الكثير - بين المر والحلو - الذى يخفيه القدر لها ولهذا الطفل الذى لم يمض على وجوده فى الدنيا سوى شهور قليلة.

كانت بداية المصائب برحيل الجدة، وانعكس ذلك بشكل كبير على الأب ياسين، الذى شعر بأنها رحلت وأخذت معها كل شىء جميل، رحلت وأخذت معها الخير، وحين جاء إسماعيل اعتقد من يعرفون الأب أنه لابد أن يقلع عن ألاعيبه وما عُرف عنه من تحرر وأنه سيتفرغ لتربية ابنه والعناية بعائلته، وراح بعض المقربين منه يحاولون إثناءه عما كان يعيش فيه من لهو وعبث:

**● أنت الآن كبير العائلة يا ياسين.. وأصبحت أباً ولا بد أن تلقى ما كنت تفعله من قبل خلف ظهرك.. وأن تلتفت لتجارتك وابنك لتحسن تربيته**

**ـ أعرف ذلك.. هذا بالفعل ما أنوى عمله.. ولكن لا أخفى عليك أننى لأول مرة أشعر بالوحدة فى هذه الدنيا.. لأول مرة أشعر بالمسئولية بحق**

**● جميل أن تشعر بالمسئولية.. ولكن لست وحدك.. فكلنا أقرباؤك وأهلك ولابد أن تعلم أننا معك فى الخير فقط.. ولكن إذا ما عدت لما كنت عليه.. فلن تجد أحداً بجوارك!**

## بداية الكوارث

منذ بداية الحرب العالمية الأولى، أصبحت السويس ـ كميناء ـ موضعاً مهماً جداً على الحدود الشرقية لمصر، تضج بالجنود فى معسكرات جيش الاحتلال الإنجليزى، حيث كانت معسكرات السويس إحدى نقاط الارتكاز لهم فى الحرب، وبسبب ذلك انتشرت بشكل كبير المحلات التجارية التى تقوم على خدمتهم، خاصة البارات والملاهى الليلية، وبيوت البغاء، لتستطيع هذه الأماكن تقديم خدماتها لجنود الاستعمار والأجانب، بل وبعض أهالى السويس الذين يتعاملون معهم، خاصة تلك الفئات التى تجد فى يديها فى آخر اليوم فائضاً من الربح دون تعب أو عناء!

ولم يمض وقت طويل على استقامة ياسين حتى عاد لسابق عهده، غير أن هذه المرة كان الأمر أسوأ.. عاد من جديد لسهراته ومغامراته النسائية والسهر حتى الصباح.. انصرف عن عمله وشغلته غرامياته الكثيرة عن أسرته وابنه، وباتت زوجته تعيش عيشة المر والشقاء من جديد، فى الوقت نفسه بدأ الجميع ينصرفون عنه، بمن فيهم أصدقاء السهرات والحظ، لسبب بسيط أنه لم يعد لديه ما يبتغونه منه.. فقد بدا إفلاسه وشيكاً.. أهمل تجارته.. بدأ يقلص عدد العاملين لديه.. حتى أنه لم يبق إلا على قلة منهم..

وبسبب سوء أحواله أصبح ياسين دائم الشجار مع زوجته "أم إسماعيل" لأنه لم يعد ينفق على البيت.. فى أبسط الأمور.. حتى ولو نقود الأكل والشرب فقط.. فلم يعد يؤمن لأسرته "مصروف البيت" فقد كان يترك الأم وطفلها أياماً، وربما أسابيع دون أن يسأل عنهما، ومن أين يأكلان ويشربان، وكيف تدفع ثمن تعليم الصغير فى "الكُتاب" الذى كانت حريصة على أن يلتحق به ليتعلم قراءة القرآن الكريم.

لذا لم يكن أمامها إلا أن تلجأ لأسرتها من أجل تدبير بعض نقود المأكل والمشرب فقط.. تشكو الزوجة لأمها "أليفة" فهى الأقرب لها ومستودع أسرارها، ولكن لم تكن الأم تملك من الأمر شيئاً، ولا تملك سوى أن تدبر لها نقودا بسيطة تكفل لها الأكل والشرب بالكاد، وتفعل ذلك على مضض، فقط من أجلا ابنتها!!

لم تكن والدة "إسماعيل ياسين" راضية بهذا الوضع المهين بأى شكل من الأشكال فقد كرهت المعيشة مع زوج يهمل بيته وابنه، ويهجرها ليلاً، وما أكثر الخلافات التى وقعت بين الزوج والزوجة، والتى تؤدى أحياناً إلى الغضب وإساءة معاملة الزوجة، بل وتشويه صورتها أمام الجيران!

وتحاول الأم أن تتماسك وتتحمل من أجل ابنها وبيتها الذى يوشك على الانهيار، وزوجها الذى يسير فى طريق لا نهاية له، سيجرف استقرار البيت ومستقبل الابن معه، الذى بدأ يكبر ويفهم معنى أن يتشاجر والداه يومياً، لدرجة أنه كثيراً ما كان يستيقظ فى أواخر الليل على أصوات شجار والده مع والدته، عندما يأتى فى ساعات متأخرة يتمايل مخموراً.

## يُتْمٌ مبكر

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى عمت البلاد حالة جديدة من الكساد.. ووصل الأمر بياسين إلى حد الاستدانة من القريب والغريب.. غير أنه فى ظل هذه الظروف، ما إن تدخل جيبه أية نقود حتى يسارع إلى شراء الخمر..

ومع برد الشـتـاء القـارس.. وفى ظل عـدم وجـود مـا يحـمى الأم وصـغـيـرها من البـرد، ولا يمـلأ بطنهـا من طعـام، بدأت الأمـراض تداهمها، فأصاب المرض صدرها، وبالرغم من ذلك كان همها الوحيد هو الحـرص على حـياة هـذا الوليـد.. فـلا ذنب له ليـأتى إلى الدنيـا ليشقى.. فكانت تحرم نفسها من الطعام لتطعمه.. وتتحمل برودة الجو لتدفئه.. وتدبر بالكاد ما يكفل استمرار تعليمه الذى حرصت عليه لعله يحقق حلمها يوماً ويكون كما تمنت، كل ذلك جعل صحتها تتدهور وتفترسها الأمراض وتصبح وهى فى ريعان الشباب، عجوزاً طاعنة فى السن!

ويمضى الحال بالأسرة من سيئ إلى أسوأ.. حتى جاء اليوم الفصل.. ليس الفصل فى العلاقة بينهما، بل فى حياتهما معاً.. وحياة طفلهما.. فلم يكن شجارهما معا فى هذا اليوم مثلما سبق.. فكان المرة الأولى.. بل والأخيرة التى يصل فيها الشجار بينهما إلى هذا الحد:

**● ألم تعد ترى كيف أصبحنا أنا وابنك.. هل تدرى أننا نتسول قوت يومنا.. هل ترى الملابس التى نرتديها.. هل تعلم أننا لم نذق الطعام منذ عصر الأمس؟!**

**ـ وماذا أفعل؟ البلد حالها توقف تماماً.. ولم يعد هناك بيع ولا شراء**

**● أى حال وأى بلد.. أنت وحدك الذى توقف حالك.. وأوقفت حالنا معك.. الناس تعمل وأحوالها إلى خير.. إلا أنت وحدك.. لأنك اخترت طريق الشر.. الخمر والنساء والعربدة**

**ـ ألن تنتهى من هذه السيرة.. أية نساء؟!.. فلم يعد لى علاقة بأية نساء.. ألن تنتهى غيرتك العمياء تلك؟**

**● أنت واهم.. أية غيرة وأية نساء؟!.. افعل ما تشاء ولكن أمِّن لى ولهذا الطفل طعامنا وشرابنا وكسوتنا..**

**ـ ولماذا لا تتحملين معى هذه الظروف العصيبة؟!.. فهى فترة وسيعود كل شئ إلى ما كان عليه.. بل وأفضل.**

**● لقد تحملت الكثير.. ويمكن أن أتحمل أكثر.. ولكن ما ذنب هذا الطفل الذى يشعر باليتم وأبواه على قيد الحياة؟!**

**احتدت الزوجة واحتد ياسين، ولم يتحمل كلامها الذى شعر بأنه سكين يمزق أحشاءه فدفعها بيده ليبعدها عن طريقه.. وهم بالخروج من البيت، غير أنه فوجئ بها تسقط على الأرض.. فعاد إليها مسرعاً.**

**● أم إسماعيل.. مالك.. ردى علىّ.. أم إسماعيل**

**ولكنها لم تنطق سوى كلمة واحدة**

**- إسماعيل......**

وضع رأسه على صدرها لم يسمع نبضاً، جرى إلى الشارع يحاول أن يستغيث بالجيران.. يفعل أى شىء.. وتجمع الجيران.. ولكن أحداً لم يستطع أن يفعل شيئاً.. فقد ماتت الزوجة المسكينة على الفور.

## عزيز قوم ذل

رغم أن والد إسماعيل كان يسوم زوجته سوء العذاب فى حياتها، فإنه حزن حزناً شديداً على رحيلها، ربما لأنه أدرك أنه السبب فى العذاب والبؤس والشقاء والحرمان الذى عاشته؛ بسبب جريه وراء ملذاته، ولكنه لم يشعر بمدى حبه لها إلا بعد فقدها وحُرم منها للأبد.. ففى ظل المشاكل والشجار اليومى الذى كان يدور بينهما باستمرار، لم تكن تترك بيتها، بل كانت حريصة على أن يظل مفتوحاً لترعى شئون الصغير الوحيد إسماعيل، الذى أصبح مشكلة المشاكل بالنسبة لأبيه، فقد خلا البيت عليهما.

ولم يجد ياسين ما ينسيه همومه وتراكم الكوارث فوق رأسه سوى أن يعود مرة أخرى إلى الخمر، شعر بأنه يضيع.. أصبح عاجزاً عن فعل أى شىء، وبعد أن فشلت الخمر فى أن تنسيه ما هو فيه، اتجه إلى تعاطى المخدرات، وأدى هذا به إلى أن يهمل الورشة، لدرجة أنه لم يعد يبقى على أحد من العاملين فيها، فلم يعد قادراً على أن يدفع لهم أجورهم

بعد أن تراكمت عليه الديون، فاضطر فى النهاية إلى أن يبيع ما فيها لكى يستطيع أن يسدد جزءاً من ديونه، وينفق ما تبقى على شرب الخمر، وتحول المحل من بيع الذهب إلى بيع بعض مشغولات الفضة التى لم تكن تكفى حتى لقوته اليومى هو والصغير إسماعيل، وعندما زاد الموقف تأزماً اضطر لأن يضحى بتجارته وتجارة والده وأجداده، لتنتهى إلى الأبد، حيث قرر أن يبيع الورشة ويغلق المحل، وبالرغم من ذلك لم يبق ثمن الورشة معه أكثر من شهر.. وما إن نفدت نقوده حتى تبدل شكله وحاله.. وبعد أن كان يرتدى أفضل الملابس وأغلاها ثمناً.. أصبحت ملابسه رثة، وفى بعض الأحيان ممزقة.. يبدو لمن يراه ولا يعرفه أنه يتسول قوت يومه!!

و بعد أن أغلق المحل اضطر لأن يعمل عند زميل له، عطف عليه، وأشفق على حاله بعد أن وجد أنه تحطم تماماً. ولم يعد يجد ما يسد به رمقه ورمق صغيره.

وعلى الرغم من أن إسماعيل كان فى سن مبكرة من عمره، فإنه كان على درجة من الوعى والمعرفة ما جعله يدرك حجم الكارثة التى حلت بأبيه، ففضلا على حزنه الشديد على رحيل أمه.. القلب الوحيد الذى عشقه وتألم له.. حتى وهى فى النفس الأخير لها فى الحياة لم يكن هناك شىء فى الدنيا يهمها سواه.. وكان اسمه هو آخر ما نطقت به.

## أيام الرعب.. والشقاء

كان الصغير يقضى نهاره مع الأولاد فى الشارع، يلعب ويلهو معهم.. وكان أكثر ما يتمناه أن يستمر اليوم نهارا بشكل دائم.. لأن ما كان يثير الرعب فى نفسه أن يأتى الليل، ويضطر مثل بقية أقرانه إلى أن يعود إلى البيت، غير أن أقرانه يعودون ليرتموا فى أحضان آبائهم وأمهاتهم.. يأكلون ويشربون وينامون وهم يشعرون بالأمان.

كانت الساعات تمضى ثقيلة مرعبة، وإسماعيل بمفرده فى البيت،

الذى يسيطر عليه الظلام من كل جانب، وربما تشعر بذلك إحدى الجارات فتتطوع لتشعل له "لمبة الجاز"، وفى كثير من الأحيان يتم نسيانه، أو أن تأخذه إحداهن ليأكل ويظل مع أولادها حتى تنتهى رحلة الأب من العمل ثم المرور على إحدى الخمارات ليشرب كأسين أو "ربع زجاجة" ويعود إلى البيت، معه بعض اللقيمات التى يسد بها جوع صغيره.. وربما لا يأكل هو ليوفر للصغير هذه اللقيمات ويكتفى هو بالشراب.

حياة بؤس وشقاء وجوع وفقر.. بل ورعب.. تلك التى كان من المفترض أن يتحملها هذا الصغير.. وفى هذه السن المبكرة.. وكان والده كلما رأى ما عليه صغيره يزيد حزنه وغمه.. ويفرط فى الشراب.. وكأنه كان يتمنى لو انتهت حياته هو وبقيت أم إسماعيل.. فربما تبدل حال الصغير إلى الأفضل مما هو عليه الآن عشرات المرات.. ولكنه القدر الذى اختارها ليتركه يتعذب بذنبها.

مرت الأيام ثقيلة.. وياسين يعانى الأمرين.. سواء من حالة الكساد التى يعيشها.. أو من الحمل الثقيل الذى تركته له زوجته برحيلها.

فهو غير قادر على الاعتناء بابنه إسماعيل وتربيته، وكان يتألم كثيراً عندما يراه أمامه صامتاً.. غير أن نظرات الصغير تتحول إلى سكاكين تقطع أحشاءه، فكان يحنو عليه أحياناً ويصطحبه معه إلى العمل، يتركه يلهو ويلعب أمامه لحين الانتهاء من عمله.. ويبدو أن وجود إسماعيل معه جعله يخجل من أن يذهب كعادته اليومية إلى الخمارات والمراقص التى تعود أن ينفق فيها ما لديه من مال.

وبعد فترة بدأت الأموال تجرى فى يد ياسين من جديد، فقرر شراء بعض المشغولات الذهبية والفضية بالأجل.. وأعاد فتح المحل مرة أخرى.. وعادت الحياة تبتسم من جديد.. ولو قليلاً.. إلا أن الحال أصبح غير ذى قبل.. ولفت نظر ياسين أن البيت أصبح مهجوراً، وأنه لم يعد قادراً على خدمة إسماعيل.. والأهم من هذا وذاك أنه لم يعد قادراً على

العيش بدون امرأة.. ففكر فى الزواج من أخرى، فربما استطاع أن يكون أسرة من جديد.. تعيد إليه ما فقده.

وتسرع الأيام لتقدم له مفاجأة جديدة، فسرعان ما ينسى الأب المحب للحياة والنساء، الزوجة التى ماتت، وأن لديه ابناً يحتاج إلى رعايته، ويشرع فى الزواج مرة أخرى، فالمال أصبح متوافراً، وهو لم يزل بعد فى حاجة إلى امرأة.. فيقرر الزواج.



# السنات عفاريت





لم تكد الحرب العالمية الأولى تطوى صفحاتها فى العام ١٩١٧، حتى اشتعلت كل مدن ومحافظات مصر بالثورة فى العام التالى ١٩١٩، حيث كان المصريون يطالبون بالإفراج عن سعد ورفاقه الذين اعتقلهم الإنجليز لأنهم طالبوا باستقلال مصر ومنعوهم من السفر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح والمطالبة بحق مصر فى تقرير مصيرها طبقاً للمبدأ الذى أعلنه الرئيس الأمريكى ويلسون "حق كل شعب فى تقرير مصيره".

كانت سلطات الاحتلال البريطانى قد رفضت السماح لهم بالسفر، بحجة أنهم لا يمثلون الشعب المصرى وليست لهم أية صفة رسمية، وبناءً على ذلك قام الوفد بطبع آلاف التوكيلات وتوزيعها فى كل أقاليم مصر للحصول على توقيع المصريين عليها، وقد أرسل سعد برقية إلى ويلسون يطالبه فيها بمساندة القضية المصرية، كما نجحت حملة جمع التوكيلات نجاحاً كبيراً، وتوالت البرقيات على الديوان السلطانى تعلن تأييد سعد زغلول وعليها آلاف التوقيعات؛ ما جعل السير «ونجت» - المندوب السامى البريطانى آنذاك - يخشى من تبلور زعامة مصرية جديدة، بعد أن خلت الساحة من زعيم يلتف حوله المصريون بوفاة مصطفى كامل وهجرة محمد فريد، ولذلك قام وينجت بالقبض على أعضاء الوفد وأرسلهم إلى بورسعيد فى يوم ٨ مارس ١٩١٩، ومن هناك تم نقلهم فى إحدى السفن الحربية إلى مالطة.

فى اليوم التالى، قامت المظاهرات فى كل محافظات مصر، بدأها طلبة الجامعة المصرية، ثم طلبة الأزهر، وانتشرت المظاهرات فى كل الأقاليم، وشاركت فيها كل طوائف الشعب من عمال وفلاحين وتجار وغيرهم، كما شاركت النساء فى المظاهرات لأول مرة، وانهالت الاحتجاجات والبرقيات على الديوان السلطانى تعلن تأييد الأمة لسعد، والاحتجاج على القبض عليه، وتطالب بالإفراج عنه والسماح له بالسفر إلى باريس. ولم تجد إنجلترا بُداً من الإفراج عن سعد والسماح له بالسفر إلى باريس، لإقناع برلمانات الشعوب الأوروبية بحق مصر فى تقرير مصيرها.

وقد عملت إنجلترا على عزل الوفد المصرى والالتفاف عليه بمحاولة التفاوض مع الحكومة المصرية وبعض زعماء الصف الثانى للوصول إلى حل وسط، خاصة أن سعداً لم يكن يرضى عن الاستقلال التام بديلاً. فأرسلت إنجلترا لجنة برئاسة اللورد ملنر لهذا الغرض، ولكن الشعب المصرى قاطعها وأعلن احتجاجه عليها، مؤكداً أن الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول هو الممثل الشرعى والوحيد للشعب المصرى، ولم يجد ملنر بُداً من العودة خاوى الوفاض، وأوصى فى تقريره بضرورة التفاوض مع سعد، وقد استجابت إنجلترا للتوصية، ولكن المفاوضات (سعد ـ ملنر) فشلت؛ نتيجة لإصرار سعد على حصول مصر على الاستقلال التام، وإصرار ملنر على ضرورة وجود بريطانى فى قناة السويس تحت دعوى حماية الأجانب فى مصر، الأمر الذى أدى إلى زيادة قوات وجنود الاحتلال فى مدن القناة (السويس والإسماعيلية وبورسعيد) وهذا ما أدى إلى اشتعال الحركة الوطنية وتنشيط حركة الفدائيين فى مدن القناة من ناحية، وزيادة حركة التجارة وارتفاع الأسعار من ناحية أخرى، كما خلق ذلك الوضع حالة جديدة من النشاط وثراء بعض التجار الذين أوشكوا على الإفلاس.

وكان من بين هؤلاء التجار الذين انتعشت حالتهم ياسين، وكان ذلك مرتبطاً بإقدامه على الزواج من جديد، ومع حالة الرواج المادى التى أقبل

عليها عاد إلى سابق عهده فى السهر والنساء والخمر.. ليترك صغيره "إسماعيل" فريسة بين براثن زوجته الجديدة.

**● خد يا إسماعيل.. جبت لك جلابية جديدة أهه.. زى ما جبت لنفسى**

**●● بس أنت جبت تلاته لنفسك.. وكمان جبت طواقى وشيلان**

**● أيوه ما هو علشان العروسة.. أنا عايزك تسمع كلامها علشان تحبك وتاخد بالها منك.. دى هتبقى زى أمك.**

**نظر إليه إسماعيل طويلاً ثم قالها وانصرف:**

**●● أنا أمى ماتت عند ربنا.**

## عذاب زوجة الأب

مر عامان على زواج الأب، وبلغ إسماعيل الثامنة من عمره، وبدأ يعرف اليتم بحق ومعنى فقدان الأم، القلب الحنون الذى كان يحتضنه ويحميه، ويبحث الصغير عن الحنان المفقود، وعن القلب الذى يضمه ويعوضه ما فقد لكن بلا جدوى.

وكالعادة.. لا تطيق أو تقبل الزوجة الجديدة، أن ترى ابن "ضرتها" السابقة، فقد أذاقته كل صنوف العذاب.. وراحت تتعامل معه باعتباره خادماً فى البيت.. وليس كصاحب بيت له الحق قبلها وبعدها، فى كل شىء، ولكنها كانت تجعله يقوم بكل شىء فى البيت، من التنظيف إلى قضاء حوائجها من الشارع.. لدرجة أنه لم يكن يلتقط أنفاسه، أو حتى يشعر بطفولته أو يمارس حياته مثل بقية أقرانه فى الشارع من لعب ولهو، بل إنها كانت تتعمد ألا يذهب إلى المدرسة التى ألحقه بها والده لينال حظه من التعليم.

**● تعليم إيه.. هو ده وش مدارس.. ده يفضل فى البيت علشان يجيب اللى يحتاجه البيت.. ولاّ عايزنى أنا أخرج للشارع؟!**

**●● أيوه بس الولد لازم يدخل المدرسة ويتعلم**

**● أهو كفاية اللى أخده فى الكُتاب**

لم يكن إسماعيل يشكو لوالده من سوء معاملة زوجته.. بل العكس ما كان يحدث.. فما إن يدخل ياسين البيت، حتى تبدأ زوجته فى سرد شكاواها من إسماعيل، من أنه قليل التربية، فلم يجد من يربيه، وأنه لا بد أن يجد له حلا.. فإما هو.. أو هى فى البيت.

وضعت الزوجة الجديدة الأب فى مأزق، فهو ابنه الوحيد، وليس له غيره، وعندما فكر فى أن يذهب به عند شقيقته (عمة إسماعيل)، ألح زوج شقيقته أن بيته أولى به.

وهنا طرأت فكرة على رأس ياسين، فإذا كانت الأم قد رحلت، فإن الأقرب للأم أمها، فلماذا لا يعهد بإسماعيل إلى جدته، فهى أقرب الناس إليه بعد أمه، ومن غير المعقول أن تتركه فى هذا العذاب، خاصة أنه لم يعد قادراً على أن يوليه رعايته، فقرر أن يذهب به إلى جدته لأمه "أليفة "، فهى الوحيدة فى هذا العالم التى يمكن أن تعنى به وترعاه.. أو على أقل تقدير يضمن له أن يأكل ويشرب وينام فى أمان.. بعد أن تبدلت كل الآمال التى كانت تحلم بها له والدته قبل رحيلها!

## الانتقال لعذاب الجدة

وينتقل الطفل إلى جدته بأمل أن يجد الأمان والاستقرار والدفء الأسرى والحب والحنان الذى حرم منه مرتين: مرة بوفاة الأم ، ومرة بتخلى الأب عنه، حين ذهب به إلى جدته!

**● إسماعيل أهوه يا خالة أليفة.. سلم على جدتك يا سمعة**

**– أيوه عارفاه.. أهلاً**

**● خالة أليفة.. أنا.. أنا كنت عايز..**

**– عايز إيه.. فلوس.. أنا سمعت أن الأشية معدن معاك.. والفلوس رجعت تجرى تانى فى إيدك.. ده حتى بيقولوا إنك اتجوزت.**

**● أيوه.. الحمد لله.. أنا بس كنت جايب إسماعيل يومين كده بس يتفسح عندك**

**- كانوا قالولك إنى صاحبة جناين.. جايبه يتفسح هنا**

**● لا مش القصد.. بس يعنى..**

**- متكملش.. سيب الواد واتكل أنت**

وكأن الجدة "أليفة" تنتظر هذه الفرصة الذهبية التى ساقتها إليها السماء، حتى تستطيع "أن تفش غلها" وتنتقم من زوج ابنتها.. فى ابنه.

كانت الجدة تعتقد أن ياسين هو السبب فى قصف عمر ابنتها مبكراً، وأن سوء معاملته لها هى التى أودت بحياتها سريعاً، فضلاً على تنكره لذكراها بزواجه السريع من أخرى.. وكلها مبررات كافية لأن تقتص منه فى شخص ابنه إسماعيل الذى يحمل اسمه.

وعلى عكس ما توقع إسماعيل أو والده.. كانت تتعمد الجدة أن تعامل الصغير معاملة قاسية جافة، بل وسيئة، ليس فقط لأنها قاسية بطبيعتها، وتتعامل بقلب خالٍ من العواطف والمشاعر، بل لأنها كانت تفعل ذلك بدافع الانتقام من ياسًين فى صورة "إسماعيل"، فكانت لا تهتم بطعامه أو شرابه أو نومه، حيث بلغت قسوتها أنها يمكنٍ أن تحضر لنفسها ما لذ وطاب من أنواع الطعام، وما إن تراه يقف بعيداً يبتلع ريقه، حتى تنهره:

● واقف **عندك بتعمل إيه؟**

**- ولا حاجة..**

**● طب امشى انجر ادخل نام**

**- أنا ما أكلتش من الصبح**

**● فين الطبق اللى كنت بتاكل فيه الصبح**

**- جوه**

**● خلاص خش كل اللى فاضل فيه**

**- ده فاضى.. خلص مفهوش حاجة**

**● طب أمال إيه عايز تاكلنى أنا كمان.. خش اتخمد نام**

وما أكثر الليالى التى نام فيها إسماعيل طاوياً بطنه على الجوع، والحلم بلقمة خبز يسد بها جوعه، وليس قطعة من الدجاج الذى كانت تأكله جدته، غير أنه كان يستخدم ذكاءه الفطرى فى سد جوعه وملء بطنه، فيجد فرصته التى ينتظرها كل يوم عندما يذهب لشراء طعام الإفطار لجدته، فقد كان يأخذ نصيبه منه وهو فى طريق العودة إلى منزل جدته، وتتنبه الجدة لما فعله، وبعد أن ينال "علقة ساخنة" ثمن ما ذاقه من طعام، تقرر أن تحرمه من فرصة شراء الطعام فيما بعد.

## الرعب بين المقابر

لم تكن جدة إسماعيل تحمل لإسماعيل أى شعور بالعطف أو الحب، بل كانت تكرهه لأنها كانت تعتقد أن والده هو المتسبب فى وفاة ابنتها، بينما الصغير لا حول له ولا قوة، وبالرغم من ذلك كانت تفرغ نار حقدها فى هذا اليتيم من الأم.. وكذلك من الأب الذى كان لا يزال على قيد الحياة..!!

وهكذا قضى إسماعيل السنوات الأولى فى حياته يتيم الأم، ومحروماً من حنان الأب، ودفء وحياة الأسرة، يعانى من هذه الجدة القاسية التى كانت حياته معها سلسلة ممتدة من الآلام والعذاب، ولم يكن الأب يعرف شيئاً عن تعاسة ابنه فقد كان مشغولاً بزوجته التى زادت من همه وعرف بعدها قيمة أم إسماعيل، ما جعله يدمن المخدرات إلى جانب الخمور، ولم يكن يعرف بالطبع أن الجدة كانت لا تطعم إسماعيل، وتضع له كل يوم وجبة واحدة عبارة عن رغيف واحد بالسمن والسكر، ولا يستطيع بعدها أن يطلب شيئاً آخر، حتى ولو مجرد أن يعبر عن شعوره بالجوع، حتى توقف تماماً عن المطالبة بالأكل، لأنها كانت فى كثير من الأحيان تعرضه لما يخيفه إذا تجرأ وطلب شيئاً..

وكان أشد وأكثر ما يخيفه ويثير الرعب فى نفسه هو أن يقوم بزيارة القبور، ليس طواعية، بل مرغماً، فقد كانت جدته تصحبه بشكل شبه يومى إلى القبور، وترغمه على أن يرافقها، ليس من أجل زيارة موتاها ومنهم ابنتها أم إسماعيل، بل لأنها كانت تلتقى هناك مجموعة من النسوة على شاكلتها، يقمن بتدخين "الشيشة"، وكان مكانهن المفضل لتدخينها بين الأموات!

وكان دور إسماعيل هو أن يحمل لها "الشيشة" ومستلزماتها، ثم يقوم على خدمتها وخدمة أولئك النسوة أثناء جلسة التدخين.

وذات يوم تأخرت جدة إسماعيل عن موعد عودة النساء اللاتى كن معها، وبقيت وحدها وإسماعيل حتى حل الظلام، هى تدخن "الشيشة" وهو يكاد قلبه ينخلع من شدة الرعب الذى يزداد كلما زاد الظلام، فهما يجلسان فى المقابر وسط الأموات، وكما صور له عقله الطفل، فإن هذا هو المكان الذى يجتمع فيه "العفاريت" كل ليلة قبل أن يتم توزيعهم على المناطق، حيث يقف كبيرهم، ليقول لهذا: أنت تذهب إلى هنا، ولذاك أنت تذهب إلى هناك، وهكذا، وبالتالى لابد أن يطلع لإسماعيل أحد هؤلاء العفاريت الآن، فعفريت واحد يكفى لكى يقضى عليه، فما بالك بمجموعة من العفاريت؟!

هكذا مرت على إسماعيل الدقائق ثقيلة مرعبة، عيناه فى وسط رأسه، وكلما زاد الظلام حاول أن يزيد فى اتساع عينيه لكى يرى جيداً، ولا يغافله أحد العفاريت، حتى ابتلع ريقه أخيراً حين طلبت جدته أن يلملم الأشياء ليرحلا.

وحين بدأت رحلة العودة كان الظلام قد خيم على المكان بأكمله، ولا يوجد مصباح واحد على امتداد الطريق، لدرجة أنك إذا بسطت يدك أمامك قد لا تراها، ما جعل الجدة تضل الطريق.

وكما يقال فى المثل الشعبى المصرى "اللى يخاف من العفريت يطلع له"، حدث ما كان يخشاه إسماعيل: عينان واسعتان تطلقان الشرر، لابد

أنهما عينا عفريت كبير.. التصق إسماعيل بملابس جدته، وهى تبعده وتطلب منه أن يبتعد عنها، وكلما اقتربت العينان زاد رعبه، وفجأة وجد إسماعيل نفسه فى مواجهة سيارة من سيارات جيش الاحتلال البريطانى.

وما كاد الجنود يرون الجدة وحفيدها، حتى أشهروا أسلحتهم واقتربوا منهما مهددين لأنهما دخلا منطقة محرم على المدنيين من الأهالى الدخول إليها.

**● قفا مكانكما..**

**- إيه ده؟ هو فيه إيه؟**

**● من أين أتيتما وإلى أين أنتما ذاهبان؟**

**- إحنا كنا فى المقابر بنزور بنتى أم الولد ده**

**● ماذا تقولين.. لماذا دخلتما المعسكر..؟!**

**- معسكر إيه.. إحنا كنا مروحين**

**● هذا معسكر الجيش البريطانى**

**- أنا معرفش..**

**● ماذا معك.. هل معك سلاح أو نقود؟**

**- أنا مش معايا أى حاجة غير الولد ده تاخدوه**

وهنا ينكمش إسماعيل من الرعب وينظر إلى جدته فى استعطاف.. ماذا تقول.. هل تريد أن تبيعه.. هل تتخلص منه حتى ولو دون مقابل؟

وكاد الجنود يفتكون بها وبإسماعيل لولا أن حدثت معجزة تمثلت فى وصول ضابط برتبة كبيرة تساءل عن سبب ذلك الهرج، وطلب أن تؤخذ العجوز والطفل للتحقيق، وتم ذلك بعد أخذ الشيشة منهما، وأمام المحقق وقفت الجدة تقول:

**- ارحمونى.. أنا ست كبيرة فى السن.. لو عايزين تاخدوا الولد ده**

**خدوه وافعلوا به ما تريدون.. حتى لو قتلتموه.. ولكن اتركونى فى حال سبيلى!!**

● **انصرفى أنت وهذا والولد.. ولو رأيتك ثانية أنت التى ستقتلين.**

خرج إسماعيل مع جدته من مكتب الضابط الإنجليزى.. وقد خلق منه هذا الموقف شخصاً آخر.. فقد بدأ يفهم.. وأدرك أى كره تكنه له جدته، ولكن ماذا يفعل وكيف يتصرف وإلى أين يذهب؟

## علقة ساخنة

أدرك إسماعيل بعد هذا الموقف أن الحياة مع جدته أصبحت صعبة وتكاد تكون مستحيلة، خاصة أن هذا لم يكن الموقف الأول، كما أنه لم يكن الوحيد، فقد كانت جدته تعمد فى كثير من الأحيان إلى وضعه فى مواقف مخيفة تثير الرعب فى نفسه، وكأنها تريد له أن يموت، خاصة عندما ترسله فى الليل إلى أماكن بعيدة، فى الوقت الذى كان التجول ممنوعاً بعد العشاء، بأوامر من جيش الاحتلال.

وذات مرة أرسلته فى مشوار عند قريبة لها تعمل على رعى الغنم، وتقوم بتربية الماعز، وحين دخل إسماعيل "الحوش" الذى تربى فيه الماعز، فرح جدا برؤيتها وبدأ يداعب "الماعز" وهو يصرخ فرحاً:

● **معيز.. معيز!**

وعلى الفور تعالت أصوات سكان البيت بالاستغاثة فقد ظنوا أن الولد كان يقول إنجليز إنجليز، وكانت مجرد كلمة "الإنجليز" تثير الرعب فى نفوس الناس، لأنهم كانوا عادة ما يهجمون على البيوت فى ذلك الوقت من الليل، ويعتدون على حرماتها!

وعلت أصوات النساء وهب نصف سكان الحى لكى ينجدوا العائلة المسكينة، غير أنهم اكتشفوا أن الحكاية ليست حكاية إنجليز بل حكاية "معيز"، وظنوا أن الصغير إسماعيل فعل ذلك متعمداً فأوسعوه ضرباً، وأخذوه إلى جدته وهم يضربونه طول الطريق، فما كان منها إلا أن زادت

فى ضربه، بل وقامت بحبسه ثلاثة أيام فى المنزل، وربطت يديه ورجليه بحيث لا يستطيع أن يتحرك.

عانى الصغير كثيراً وكان أول ما فعله حين أطلقت جدته سراحه أن هرب من البيت، ولكن الجدة استطاعت أن تعثر عليه، وأن تعيده وأن تشد وثاقه من جديد، وراحت تتفنن فى ابتكار أساليب جديدة من العذاب.

وفى ذلك الوقت، كان إسماعيل يغتنم فرصة غياب جدته ساعة أو بعض الساعة لكى يخرج إلى الشارع ويلتقى بأصدقائه الصغار ويسلى نفسه معهم باللعب تارة، وبأن يغنى لهم تارة أخرى بعض الأغانى، فعلى الرغم من صغر سنه، فإنه كان يحب التردد على المقهى القريب من الميدان بالقرب من الشارع الذى تسكن فيه جدته، فيجلس على الرصيف المجاور للمقهى، لا لشىء إلا ليسمع فقط صوت "الفونوغراف" الموجود بالمقهى، والذى كان يخرج أصواتاً لم يكن إسماعيل يعرفها فى ذلك الوقت، غير أنه كان يتمايل معها طرباً، وفى كثير من الأحيان كان يردد خلف الفونوغراف هذه الأغانى، حتى حفظ الكثير جدا منها، وأخذ يعيد ترديدها على مسامع أصدقائه من الأولاد الذين يلعب معهم، حتى إنه اشتهر بينهم بـ "الصييت" لجمال صوته، وإتقانه ترديد الأغانى، كما يرددها أصحابها: عبداللطيف البنا وزكى مراد وصالح عبدالحى، والمطرب الجديد محمد عبدالوهاب.



# 5

# إنسان غلبان





كانت المقاهى المنتشرة فى حى الأربعين هى السلوى التى يمكن أن يسرى بها الطفل إسماعيل ياسين عن نفسه.. فما إن يلاحظ "صبى المقهى" جلوسه وقتاً طويلاً بشكل يلفت الأنظار، حتى يبادر بسؤاله:

**● قاعد كده ليه.. عايز حاجة يابنى؟**

**- لا مش عايز**

**● طب اسرح.. هنا مش تكية**

**- لو طلبت شاى ممكن أقعد؟**

**● أيوه.. بس أنت هتشرب شاى!!.. عشنا وشفنا العيال تشرب شاى**

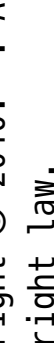
**- والشاى بكام يا عم؟**

**● بتلاتة مليم.. معاك ولا هتشرب على النوتة (بالأجل)**

قبل أن يكمل صبى المقهى حديثه ينصرف إسماعيل على الفور.. فهو لايملك ما يأكل به.. أو ما يطلب به مشروبات، فيتنقل من مقهى إلى مقهى.. وكلما لاحظ "صبى المقهى وجوده.. يهم إسماعيل بالانصراف قبل أن ينهره صبى المقهى.. أو أحد روادها.

وتجذبه أحياناً أخرى "حضرة الذِّكر" التى يقيمها أصحاب "الطرق الصوفية" فى إحدى الزوايا القريبة من بيت جدته.. أو أحد الموالد





الكثيرة التى كانت تقام فى الحى، أو أحد الأحياء المجاورة، تجذبه دقات "الصاجات" المتناغمة وأناشيد الذكر المسجوعة، وهمهمات التجلى الصاعدة من الحناجر وقراءة القرآن الكريم مرتلاً، وأصوات المنشدين المنغمة ذات الإيقاعات من مختلف الطبقات.

ويعرف عنه أصدقاؤه ولعه وحفظه للأغانى، والتغنى بها تسرية عن نفسه، ويغنى لهم فى إحدى جلسات اللهو البرىء، فيحبون فيه خفة دمه، وسرعة بديهته، ويصبح إسماعيل "مطرب الشلة" الذى يغنى لها فى جلسات المرح، أو المناسبات الخاصة.

كان إسماعيل فى ذلك الوقت قد حفظ العديد من أغانى عبداللطيف البنا وزكى مراد وصالح عبدالحى والشاب الجديد محمد عبدالوهاب من "الفونوغراف" المنتشر فى أغلب مقاهى الحى، باستثناء المقهى المواجه لبيت جدته، فكان يحبذ أن يكون المقهى بعيداً، وكان أصحاب المقاهى يتبارون فى تقديم كل ماهو جديد ومُطرب لروادهم، ويكون يوما مشهوداً، يجلس رواد المقهى ينتظرونه وكل منهم يهيئ نفسه للسماع، وبعضهم يحضر معه عشاءه أو ما سيأكله أو يشربه.

يتخذ كل منهم ركنا من أركان المقهى، يجلس مستعداً لوصلة استماع من العيار الثقيل يعيش فيها لحظات جميلة من الطرب والتجلى، كل ذلك يحدث عندما يعلن أحد أصحاب هذه المقاهى أن لديه مفاجأة كبيرة لرواده، وأنه حصل مؤخراً على أسطوانة جديدة للشيخ سيد درويش.

يزدحم المقهى.. وكل واحد يحجز مكانه مبكراً..

**● جاى النهارده قهوة المعلم فنجرى؟**

**- أنا وظروفى.. يمكن أعدى شوية بعد المغرب**

**● لا النهارده مفيهاش يمكن.. وكمان مفيهاش بعد المغرب.. لازم تيجى من بدرى**

**- اشمعنى؟!.. هم هيجوزوا المعلم فنجرى من تانى ولا إيه**

**● لا وأنت الصادق النهارده هنسمع الشيخ سيد درويش عند المعلم فنجرى.. بيقول جايب أسطوانة محصلتش**

**- من العصرية هكون هناك طبعاً.**

فإذا كان هؤلاء مجرد "سميعة" يحتفون كل هذا الاحتفاء بسماع إحدى أسطوانات الشيخ سيد.. فكيف يكون حال إسماعيل وهو يقوم بتحضير نفسه ليكون فى يوم من الأيام أحد هؤلاء "الصييتة" ويجلس السميعة هكذا فى انتظار أن يطل عليهم بصوته.

## استعداد خاص لسيد درويش

يكون هذا اليوم يوم عيد عند إسماعيل.. يقوم فيه بتجهيز نفسه مثلهم تماماً، فيحتفظ بطعام غدائه ولا يأكله مثلما تعود فى موعد بعد صلاة العصر، بل يدخره إلى المساء.. ويقوم بإحضار أحد "الأجولة" التى كانت عادة ما يمتلئ بها بيت جدته، بعد أن تفرغ من البضائع التى كان يحضرها لها التجار، ويأتى إلى أحد الأركان على "الرصيف" الملاصق للمقهى ويفترش "الجوال" ويجلس عليه وبحوزته طعام غدائه.

ويدور "الفونوغراف" وتبدأ وصلة السماع.. والسميعة يهتفون:

**● الله الله يا شيخ سيد..**

**- الله يفتح عليك يا شيخ سيد**

ويجد إسماعيل نفسه يهتف مثلهم.. وما إن تنتهى وصلة السماع الأولى حتى يبدأ الجميع فى احتساء الشاى والزنجبيل واليانسون.

ومثلهم يفعل إسماعيل.. يبدأ فى تناول طعامه، ولكن دون أن يطلب شيئا يشربه.. وحتى لو لم يأكل فيكفيه أن يعيش مع صوت الشيخ سيد.. وهو يردد خلفه ما يسمعه منه.. ويسرح بخياله أن يكون يوماً مكانه.

كان الطفل إسماعيل ياسين يشعر باستمتاع كبير فى الغناء، لدرجة أنه يمكن أن يغنيه عن الطعام، لذا كان يشعر أيضاً براحة كبيرة بعد الغناء، وكأنه تناول وجبة دسمة، وبدأت منذ ذلك الوقت فى مطلع العشرينيات

من القرن الماضى، لهفته إلى الفن وعلاقته به، وكثيراً ما كان يتخيل نفسه مطرباً مشهوراً يرتدى الملابس "السموكنج" التى كان يرتديها المطربون فى الحفلات الكبرى لكى يغنى للناس الكبار.

ظلت هذه الصورة تملأ خيال الطفل إسماعيل ياسين، خصوصاً كلما اجتمع بأولاد الجيران، وكانوا كثيراً ما يطلبون منه أن يغنى أحدث ما سمعه وحفظه، وكان أكثر ما يسعده عندما يطلبون منه الإعادة ثانية وثالثة، ولم يكن يفسد عليه الانسجام إلا وصول جدته فجأة وهى تصرخ فى وجهه.

**● ولد يا إسماعيل.. تعالى هنا.. أنت مش عايز تبطل المسخرة اللى بتعملها دى.**

**- دى أغانى الشيخ عبداللطيف البنا وصالح عبدالحى والشيخ سيد**

**● أغانى.. ما أنت عايز تطلع هلاس زى أبوك.. قطيعة تقطعك أنت وأبوك فى يوم واحد.**

**- أبويا ملوش دعوة.. أنا اللى بحب الغنا**

**● بتحب الغنا.. والله ما أنت فالح فى حاجة.. أمشى قدامى.. داهية تاخدك وتاخد أبوك.**

تسحبه من يده بعنف وهى تنهره عن هذا "الهيافة" وتأمره بأن يتوجه إلى فراشه الذى لم يتغير صيفاً أو شتاءً، والمكون من "حصيرة خشنة، و"لحاف" رقيق!

## التفكير فى الاحتراف مبكراً

فى الشوارع والهرب إليها، كان الصغير يستطيع أن يكون على سجيته، يتصرف بحرية، لا تقيده أوامر أو نواهى الجدة، بأن يفعل هذا وألا يفعل ذاك، فكان يقضى أغلب يومه فى الشوارع، بعضه يستمع إلى الغناء فى المقاهى.. وبعضه الآخر يلعب مع الأولاد أقرانه ويغنى لهم بمتعة.

عندما لاحظ الطفل إسماعيل ياسين مدى الإعجاب والاستحسان

اللذين ينالهما من الأولاد عندما يستمعون إلى غنائه، فكر فى حيلة يستغل بها هذا الإعجاب ليسد بها جوعه، فإذا كان الأولاد يستمتعون إلى هذا الحد بصوته، فلماذا لا يدفعون ثمن هذا الإعجاب؟! على أن يكون الثمن أن يقتسم معهم ما يأكلونه من سندوتشات يخرجون بها من بيوتهم، أو ما يشترونه بمصروفهم.

وكانت هذه الحيلة تفلح أحياناً.. وتفشل فى أحيان أخرى.. وفقا لما يأكلون أو ما يشترونه بمصروفهم.

كانت الأيام تمر ثقيلة.. ويزيد من ثقلها إحساس إسماعيل بها، كمن ينتظر حدوث حادث ما أو شىء ما، ويظل فى انتظاره، ما يزيد الإحساس بصعوبة مرور الوقت والأيام التى لم يكن يدرى إسماعيل ماذا تخبئ له، غير أن أكثر ما أحزنه وأشعره باليتم الحقيقى، وأنه ليس له أم تدافع عن مستقبله، أو أب يحرص على أن يكون ابنه الوحيد له مستقبل يفخر به، عندما قررت جدته أن تمنعه من مواصلة تعليمه فى المدرسة الابتدائية، ليس فقط من أجل توفير ما تنفقه عليه فى المدرسة من مأكل وملبس ومصروفات مدرسية، ولكن نكاية فى والده الذى ارتكن إلى وجوده عند جدته، ونسى أن له ابناً يسأل عنه وعن أحواله كيف تسير.. وكيف يأكل.. ومن أين ينفق؟!.

**● لحد إمتى هفضل أصرف عليك.. وأنت بقيت زى البغل كده**

**- أنا مش عايز آكل ولا أشرب.. بس بلاش أخرج من المدرسة**

**● يعنى هتبقى إيه.. قنصل زى أبوك.. الولاد كلهم بيشتغلوا.. شوفلك شغلانة اصرف بيها على نفسك**

**- إللى أقوله تنفذه بالحرف الواحد.. مفيش مدرسة يعنى مفيش مدرسة.**

حزن إسماعيل حزناً شديداً على خروجه من الصف الرابع فى المرحلة الابتدائية، فقد كانت طموحاته تزداد كلما تخطى مرحلة من مراحل الدراسة، حتى اصطدم بصخرة جدته القاسية، وقرارها الذى قضى على طموحاته بخروجه من المدرسة.

## الطرد بسبب الغناء

فى الوقت الذى كان فيه إسماعيل يبحث لنفسه عن مكان فى الحياة، كان سقوط الأب يزداد وحياته تنهار، فإدمانه المخدرات، جعله ينسى تماماً الابن الذى بدأ يكبر، وأصبحت له متطلبات حياتية، غير أن الأب لم يعد قادراً حتى على الإنفاق على نفسه وبيته وزوجته.

لم يجد إسماعيل بداً من أن يعتمد على نفسه ويشق طريقه بحثاً عن عمل حتى لا يظل عالة على جدته، التى أعلنت تخليها تماماً عن الإنفاق عليه، فكان لابد أن يجد ما يقيم به حياته، ليس لكى يكمل تعليمه، فهذا الحلم قد انتهى تماماً من بين أحلامه التى لا يزال منها الكثير.

وحاول إسماعيل أن يستغل علاقاته التى كونها من خلال تردده على المقاهى، ولأنه كان صبياً خفيف الدم يحفظ النكات وله أسلوب خاص فى إلقائها، أصبح محبوباً من الكثيرين، ما شجعه على أن يطلب عملاً من هذا أو ذاك، فكان أحياناً يجد بغيته فى بعض الأعمال الهامشية الصغيرة، مثل أن يعمل منادياً أمام أحد محلات بيع الأقمشة، وتكون مهمته أن يقف أمام باب المحل ينادى بأعلى صوته عن الأسعار وأنواع الأقمشة الموجودة بالمحل.. غير أنه فى أحد الأيام طرأت فكرة على رأسه، وهى أنه طالما ينادى بصوت جهورى على البضائع والأقمشة، فما المانع من أن ينادى على البضائع بطريقة مغناة..

- قرب تعالى "لحم الهوانم" دى قماشة عال..

قرب تعالى بضاعة رخيصة.. وعال العال

وسمعه صاحب المحل.. وظن أنه يسخر من البضائع أو يتخذ من عمله لعباً ولهواً، فما كان منه إلا أن نهره ووبخه قبل أن يطرده من المحل.. وتبدأ رحلة البحث عن عمل مرة أخرى، ويعمل هذه المرة عند خواجة يونانى لديه محل لبيع وإصلاح الساعات، ولكن كان إسماعيل يسهر فى أحد المقاهى لسماع الأسطوانات الجديدة، وتمتد به السهرة إلى ما بعد منتصف الليل، وبالتالى يستيقظ متأخراً ويذهب إلى عمله متأخراً عن

موعده.. ولكن "الخواجة" لا يعرف سوى الالتزام فيقرر على الفور طرده من المحل.

وتستمر رحلة البحث عن عمل من جديد، ولا يعجب هذا "الحال المايل" الجدة، فتضطر أن تذهب يومياً وتبحث عنه فى أحد المقاهى التى يسهر فيها، فقط لتعكر صفوه وتسوقه إلى المنزل من بين أصدقائه، حتى لا يتأخر فى الاستيقاظ مبكراً للذهاب إلى عمله.

ولم يكن أمام إسماعيل من متنفس ينسيه عناء العمل وقسوة الحياة ومطالبها سوى جلسات الأصدقاء على المقهى، أو المشى بمفرده - ربما بالساعات - فقط يغنى لنفسه ما سمعه مؤخراً من أغنيات.

## الأفراح.. تجمع الابن مع الأب

ما بين قسوة معاملة الجدة واستهزائها به وبموهبته التى بدأت تظهر عليه، وتدهور حالة الأب المالية والصحية، يعيش إسماعيل أياماً صعبة من حياته، لم يهون عليه صعوبتها إلا حلمه بأن يصبح يوماً من الأيام مطرباً كهذا الشاب الذى بدأ يشق طريقه بسرعة "محمد عبدالوهاب"، وانتظاره لليوم الذى يسمح له فيه القدر أن يحقق هذا الحلم الذى قرر أن يتخذ خطوات عملية لتحقيقه، فجميع من حوله يؤكدون له أن صوته جميل، بل ويطربهم، فما المانع من أن يكون مطرباً بالفعل، ولكن كيف؟!

ويجد إسماعيل فى حفلات "الطهور والسبوع والأفراح" التى يحضرها مجاملة للأصدقاء والأحباب متنفساً له، ليفرغ طاقته وشحنته الغنائية، وفى الوقت نفسه يزيد ذلك من اقترابه من الحلم يوماً بعد يوم، وفى الوقت نفسه يجد مهرباً له من الحياة البائسة التى يعيشها، ويزيد من سوئها معاملة الجدة، وما يسمعه عن حال والده.

ويستقبله جمهوره البسيط الاستقبال الذى لا يجرح، بل يجد منه التشجيع الذى يدفعه للاستمرار، فى الطريق الذى يحب، على الرغم من

أنه لا يجد فى صوت إسماعيل المغنى الذى يطربهم، ولكنهم يقضون وقتاً سعيداً، لأنهم أتوا ليفرحوا ويمضوا ساعات جميلة.

وتمضى الأيام ويكبر إسماعيل قليلاً، فقد بلغ الثالثة عشرة من عمره، وبدأ يسأل عن أبيه، وكان فى كثير من الأحيان يهرب من بيت جدته لكى يبحث عنه لعله يجده فيطلب منه أن يخلصه من عذابه.. ولكنه فى الغالب كان يعود بائساً دون أن يعثر عليه.. فلا أحد يعرف مكان والده.

وفى إحدى الليالى سمع إسماعيل من أحد أصدقائه أن فرحاً سيقام فى أحد الأحياء القريبة لواحد من كبار التجار، وأن هذا التاجر قام باستقدام مطربين و"صييتة" من مصر ـ القاهرة ـ وستكون السهرة "صباحى"، ولم يصدق إسماعيل نفسه، وهى فرصته لكى يحقق جزءاً من حلم حياته، بأن يرى المطربين و"الصييتة" الذين طالما استمع إليهم، فسيراهم وجها لوجه.

لم يدر إسماعيل أن القدر يحمل له مفاجأة أخرى غير رؤيته لهؤلاء "الصييتة" الذين أحبهم.. فقد ساق له القدر مفاجأة أخرى، فما كاد يدخل الفرح حتى وجد نفسه وجهاً لوجه مع والده.. فوالده الذى بحث عنه طويلاً.. أخيراً استطاع أن يعثر عليه بترتيب القدر.. ودون أن يرتب أحدهما للأمر.

وما كاد الاثنان يلتقيان حتى غمرتهما الدموع، احتضنا بعضهما بعضا، وغسلت دموع الأب عذاب الابن، وتحول "الفرح" الذى حضر كل منهما للمشاركة فيه، إلى مأتم حقيقى، شعر إسماعيل كأن والدته ماتت اليوم، وشاهد ياسين شريط حياته الطويل، وما مر بها من عذابات ومراحل صعود وهبوط.. جلسا معاً، وراح يشكو كل منهما همه للآخر، الأب يشكو تدهور أحواله الاقتصادية وضياع تجارته وتجارة أبيه، وحياة الشقاء التى يعيشها مع زوجته الأخرى، وكيف تحولت الحياة بينهما إلى جحيم بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، ويشكو له إسماعيل أيام العذاب والشقاء، وما عاناه فى حياته فى بيت جدته، والأيام الطويلة

التى نام فيها وبطنه خاوية من أى طعام، وأيام الرعب والخوف، وتعمدها أن تتخلص منه حتى ولو عن طريق جنود الاحتلال.

قبل أن ينتهى الفرح كان كل منهما قد أفرغ ما بداخله من مرارة وعذاب الأيام، بعدها لم يعد يقبل بأن يترك والده وطلب منه أن يعيش معه، ورحب الأب بذلك.

**● معلش يا أبويا.. أنا ما بقيتش قادر أتحمل أعيش فى بيت جدتى.. متعرفش هى بتعاملنى إزاى**

**- عارف يا بنى.. عارف.. هى كده "أليفة" طول عمرها شايلة قلبها وحاطة مكانه حجر.. حتى أيام المرحومة.. مكانتش بترضى تروح عندها علشان كانت عارفة طبعها.**

**● أبويا.. تزعل يعنى لو...**

**- لو إيه قول يا إسماعيل.. لو إيه**

**● يعنى تزعل لو جيت أعيش معاك فى البيت**

**- أزعل.. أنت بتقول إيه يا بنى.. أنا أزعل إنك تيجى تعيش معايا.. صدقنى يا بنى أنا اللى خلانى بعتك عند جدتك الشديد القوى وقلة الحيلة..**

**● يعنى يمكن مراتك تزعل ولا تخليك تضربنى**

**- ولا تعمل حسابها.. ما تتحرق بجاز.. صدقنى يا إسماعيل يا بنى أنا مطلعتش من الدنيا دى غير بيك.. أنت اللى فاضللى.**

**فى هذه الليلة لم يعد إسماعيل إلى بيت جدته.. التى نامت ملء جفنها ولم يجزع قلبها لعدم عودته تلك الليلة، ولا حتى الليالى التى تبعتها، حتى عرفت من بعض المقربين أن إسماعيل قد عاد إلى والده.. ولم يزد تعليقها عن:**

**● والله بركة.. فى ستين داهية.. اتلم المتعوس على خايب الرجا!**

**عاش إسماعيل ياسين عدة أيام جديدة فى بيت والده.. رأى فيها بعض**

ملامح السعادة التى كاد ينساها: يأكل.. يشرب.. وينام مطمئناً.. يخرج ويدخل وقتما يريد، يذهب إلى المقهى الذى يجلس عليه والده.. يشرب زنجبيل وينسون، والحساب عند والده، أصبح يمتلك نقوداً..

● خد يا إسماعيل

- إيه ده يا أبويا

● فلوس.. امسك

- نص ريال بحاله.. أنا مش مصدق نفسى!!

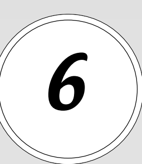
● لا صدق.. وكمان عايزك تصرفه كله النهارده.. ولو صرفته النهارده هديلك زيه بكره.

- أنت بتتكلم جد يا أبويا

● وجد الجد.. الفلوس فى إيدك.. وجرب وأنت تشوف

- ده كده أنا بقيت ابن معلم بجد

● أبوك طول عمره معلم ابن معلم.. بس هو الزمن.. لكن معلش بكره الحال يرجع أحسن من اللى كان.



# يحيا الفن





مرت أيام قليلة.. كان يجتهد فيها إسماعيل لإنفاق "النصف ريال" وكان أحياناً يفلح، وأخرى لا يستطيع إنفاقها كلها فى اليوم الواحد، حتى اكتشف إسماعيل سر هذا السخاء الذى هبط فجأة على والده، وسر "الأنصاف ريالات" الكثيرة التى تنهال عليه يومياً منه، ولماذا كان يعنفه طالباً منه أن ينفقها كلها، فقد اكتشف إسماعيل بطريق المصادفة أن والده على صلة بأناس "يزيفون النقود"!!

نعم والده يعمل بتزييف النقود، مع مجموعة يملكون آلة تزييف للعملات الصغيرة الفضية من فئة "القرش، والقرشين، والخمسة قروش، والعشرة قروش"!

لم ينكسر ياسين أمام ابنه عندما انكشف أمره.. بل كانت المفاجأة الأكبر التى لم يتوقعها إسماعيل، هى أن يطلب منه والده وبلهجة الآمر، أن يروج هذه العملات التى يتم تزييفها فى الأسواق بين الباعة والمتاجر.. أى أنه عرض صريح لأن يعمل إسماعيل معه ضمن أفراد "عصابة التزييف"!!

لم يكن إسماعيل يملك غير الطاعة، خوفاً من أن يطلب منه والده العودة إلى جدته، وافق إسماعيل على مضض، وكان دوره - كما أوضحه له والده - أن يقوم بتصريف العملات المعدنية من فئة (الخمسة والعشرة قروش)..

يبدو أنه لا راحة فى العمل حتى عندما تعمل ضمن "أناس" مهمتهم "تصنيع النقود" من خلال تزويرها، وليس الحصول عليها مقابل عمل، فكان على إسماعيل أن يظل طوال اليوم متنقلاً على قدميه من حى إلى حى، ومن شارع إلى آخر، ومن حارة إلى زقاق، حتى يتمكن من تصريف ما معه من عملات، ليعود آخر اليوم وقد صرف ما صرف وبقى معه ما بقى.. حيث كانت مهمة إسماعيل أن يحول العملة المزيفة إلى صحيحة، وذلك بالتحايل على أصحاب المحلات التجارية بإعطائهم العملات المزيفة لشراء شئ ما، ويقوم صاحب المحل بإعطائه باقى المبلغ من العملة الصحيحة.. وهكذا.

**● صرفت كام النهارده يا سمعة**

**- أنا أخدت خمسة جنيه.. وإللى فاضل معايا بعد المصاريف.. أربعة جنيه وخمسة وستين قرش واتناشر مليم.**

**● طب عال كويس قوى**

**يدخل عليهما رجل يبدو أنه يعمل مع والده فى التزييف.. غير أن هيئته تقول غير ذلك.. لأنه يبدو خفيف الدم مرحاً.. يتحدث بلغة غير مفهومة لا هى إيطالية ولا إنجليزية ولا يونانية.. قد تكون خليطاً بين هذه اللغات.. أو لا شىء على الإطلاق، مجرد هواء!**

**● كليسيرا معلم ياسين**

**- أهلاً.. معلم فرج**

**يشير إلى إسماعيل**

**● بيبتو**

**- أيوه ابنى سمعة**

**● ياسو.. ياسو.. أفخر ستوبولى لا فروتا**

**- الواد مش هيفهم اللى بتقوله**

**● أوه.. إكسى أوريستا لا ذاكى كليمارا**

**●● هو بيقول إيه يابا**

**- متخدش فى بالك يا سمعة**

**● موسخرى لافروتا لابيستا لاميرميلاتا.. كليسيرا**

**يأخذ الرجل بعض النقود التى تم توزيعها اليوم من ياسين وينصرف**

**● أول مرة أشوف خواجة لابس جلابية**

**- خواجة إيه.. ده مصرى سويسى.. ومن حى الجناين**

**● سويسى ويتكلم أجنبى كده**

**- أجنبى إيه ده حمار.. كلمتين إيطالى على كلمة جريجى على كلمة إنجليزى.. والباقى هوا من عنده**

**● بس عاجبنى قوى.**

**- لأنك حمار زيه!**

ثم ينال إسماعيل نصيبه الذى لا يتعدى "القرشين" فقد انتهت مرحلة "النصف ريال" ـ عشرة قروش ـ لأنه اكتشف أنها مرحلة "جر رجل"، وبالرغم من أن القرشين كانا كافيين لأن ينفقهما إسماعيل فى ذلك الوقت، فضلاً على مأكله ومشربه ونومه فى بيت والده، بالإضافة إلى ما ينفقه وهو يقوم بتصريف النقود المزيفة، فإن هذا كله لم يكن أبداً طموحه، ولا حتى الهدف من العودة إلى بيت أبيه، بل إن هدفه من العودة كان من أجل البحث عن الحضن الدافئ والإحساس بالأمان وملء بطنه من قهر الجوع، ثم بعد ذلك التفكير فى مستقبله، والسعى لتحقيق حلمه الذى أصبح يسيطر عليه ويملأ كل حياته، ولم يكن الهدف مزيداً من النقود أو الثراء، فهو يبحث عن حلم آخر لم يعد له وجود فى بيت أبيه.. فى ظل المهمة الجديدة التى أسندها إليه.

## البحث عن مخرج

فى هذه الفترة كان إسماعيل على عتبات الشباب، وهنا بدأ أصدقاء ينصحونه بعد أن سمعوا صوته، فلكى يصبح مطرباً فإن أهم ما ينقصه

هو أن يتعلم أصول الموسيقى مثلما يفعل كبار المطربين، وأن المكان الوحيد الذى يمكن أن يدرس فيه الموسيقى هو "معهد الموسيقى العربية" فى القاهرة، فما إن يلتقى بأحد من المطربين الذين يزورون السويس فى مناسبة من المناسبات العديدة، إلا وقال له أحدهم هذا الكلام:

**● يا بنى علشان تبقى مطرب حقيقى لازم تتعلم أصول الموسيقى**

**- إزاى.. ما أنا بفهم فى الموسيقى كويس.. وأقدر أفرق بين أصوات المطربين، وكمان أقلد لك أى واحد منهم**

**● مش كفاية إنك تسمع كويس أو تقلد.. أو حتى تغنى كويس.. لازم تدرس أصول الموسيقى.. ودلوقت أى حد عايز يغنى أو يعزف لازم يدرس فى معهد الموسيقى**

**- حتى الشيوخ اللى لابسين عمة وجبة وقفطان**

**● اللبس ملهوش دعوة أنت عايز تتعلم موسيقى ومغنى ولا عايز تبقى شيخ بعمة؟**

**- عايز أبقى مطرب زى المطرب الجديد اللى اسمه محمد عبدالوهاب**

**● خلاص.. عليك وعلى معهد الموسيقى**

وظل كل من يقابله يقول له ذلك، حتى اقتنع بأنه لا مفر من أن هذا هو الطريق الصحيح الذى لابد أن يسلكه، وليس الطريق الذى اختاره له والده ـ مرغماً ـ والذى قد ينتهى به فى السجن، أو أن يكون واحداً من كبار المزورين أو المهربين.

ويفكر إسماعيل ومعه أصدقاؤه بأن أفضل طريقة لتحقيق حلمه أن يسافر إلى القاهرة، حيث هناك محمد عبدالوهاب وأم كلثوم وصالح عبدالحى والفرص الكثيرة.. فمصر أم الدنيا: الشهرة..المجد.. المال.. فرص العمل.. سواء فى شارع عماد الدين، أو شارع محمد على، ويشع الحلم فى عقل إسماعيل يس.. ويحلم بالأضواء والشهرة والنجاح.

عزم على اتخاذ قراره بالسفر إلى القاهرة التى لم يكن قد رآها قبل

ذلك فى حياته، ولكن قبل أن يتخذ هذه الخطوة كان هناك العديد من الأسئلة التى تلح عليه ويبحث لها عن إجابات:

**- ياترى أقول لوالدى على اللى نويت أعمله؟**

**- وياترى والدى هيوافق؟**

**- وإذا وافق.. إزاى هسافر وأنا مفيش فى جيبى مليم واحد؟**

بحث إسماعيل بداخله عن إجابات لهذه الأسئلة.. ولم يتوصل إلى إجابات شافية لدرجة أنه فكر فى أن يأخذ حصيلة ما يقوم بتصريفه من نقود مزيفة ويهرب بها إلى القاهرة.. ولكن الحصيلة قد لا تتعدى الجنيه أو الاثنين.. وهذا المبلغ لن يكون كافياً بحال من الأحوال، فهو لايعرف ماذا ينتظره فى القاهرة، وكيف ستكون حياته فيها، فهو لا يعرف أحداً بها، ولا يعرف كيف سيعيش أو بكم سيأكل ويشرب ويتعلم؟!

فكر فى أن يطلب من والده مبلغاً يعينه على السفر إلى القاهرة والعيش فيها لتعلم الموسيقى، ولكنه عاد بسرعة وأكد لنفسه أن والده سيرفض حتماً، فقد تقدمت به السن ويريد منه أن يبقى بجواره، ولكنه فى هذه الحالة سيبقى باعتباره مزيفاً للنقود، وسيضيع مستقبله.

وطرد إسماعيل من رأسه فكرة أن يستعين بوالده، وتذكر أن جدته "أليفة" كانت تحتفظ ببعض المال فى خزانة ملابسها، ولكن كيف الوصول إليها، وقد تركها وهرب من بيتها حتى دون أن يستأذن منها، وكيف يعود إليها الآن، وماذا سيقول لها؟!

- أطلب منها الصفح والغفران حتى تطمئن لى، ووقتها أستطيع أن أحصل منها على بعض المال.

لكن كيف سترضى أن تقرضنى مبلغاً كبيراً، وهى التى لم تكن تعطينى "قرش تعريفة" طوال فترة إقامتى عندها، هل ستأتى الآن وتقول خذ هذا المبلغ الكبير؟

ولمَ لا؟ فأنا أعرف أنها لا تحبنى بسبب والدى.. ولكن عندما تعرف

أننى سأبتعد عنها وعنه وأسافر إلى مصر لتعلم الموسيقى حتماً ستعطينى.

ولكن الظروف وفرت على إسماعيل ما كان يفكر به، فقد تصادف حين وصل إلى بيت جدته أنها لم تكن موجودة، جلس ينتظرها طويلاً، ولكنها لم تأت، وعندما هم بالانصراف طرأت على رأسه فكرة قرر تنفيذها، ولكنه تردد.. وقف ثم مشى.. ثم عاد ثم وقف.. فكر قليلاً ثم اتجه بسرعة قبل أن يتردد ثانية إلى "خزانة ملابس" جدته، أخذ آلة حادة وفتحها، ووجد بها نقوداً كثيرة، ولكن كما يقال، أخذ ما غلا ثمنه وخف وزنه، فلم يقترب من الجنيهات الذهبية أو النقود المعدنية، واكتفى بأن يأخذ ستة جنيهات، وهو يؤكد لنفسه أنها ليست سرقة، بل قرضاً سيرده فور أن يفتح الله عليه ويعمل فى هوايته التى يحبها، الغناء..

وضع إسماعيل الجنيهات الستة فى جيبه وغادر البيت على الفور دون أن يراه أحد، متجها إلى محطة "السكك الحديدية"، حيث جلس فى انتظار أول قطار متجه إلى القاهرة ليستقله.

مع النسمات الأولى من صباح اليوم التالى، يصل قطار السويس إلى "محطة مصر" فى قلب العاصمة المصرية القاهرة، التى كان - ولا يزال - يطلق عليها جميع أهل الريف والمدن والمحافظات الأخرى اسم "مصر" مجازاً..

والقاهرة كما هو معروف عنها لا ترحب عادة بالصور المقلدة ولا ترضى بأقل من الأصل، بل والمتميز والجديد، فهى تضج بمن يطلق عليهم "الصور الكربونية" سواء فى شارع محمد على، أو فى عماد الدين، أو روض الفرج

ويأتى إسماعيل وحيداً.. غريباً لا يعرف أحداً يلتجئ إليه أو يقود خطاه، وليس لديه بوصلة تهديه، ولكن يكفى أن لديه الرغبة الصادقة ويملك الأمل والثقة فى النفس، ولا يملك سوى الجنيهات الستة التى اقترضها من جدته، وكل ملابسه المتمثلة فى "بدلة" قديمة، و"جلباب

بلدى" للنوم، وقبل كل ذلك رأسماله الحقيقى متجسداً فى صوته، الذى هو كل موهبته إضافة إلى قدرته على تقليد الآخرين فى الغناء، وأحلامه فى أن يصبح مطرباً.

خرج إسماعيل من "محطة مصر" ينظر يميناً ويساراً، مبهوراً بما يراه، فهى المرة الأولى التى يخرج فيها من مدينته السويس، التى كان يظن أنها أجمل بقاع الأرض، بشوارعها المزدحمة بالمحلات ومبانيها القديمة، وبمياهها الصافية، ولكنه اصطدم بواقع لم يره من قبل، وكان أول ما وقعت عليه عيناه تمثال "نهضة مصر" الذى انتقل إلى هذا المكان حديثاً، عندما أسهم الشعب المصرى فى اكتتاب عام لإقامته، حيث أقيم حفل كبير فى ميدان باب الحديد لوضعه فى هذا المكان فى ٢ مايو عام ١٩٢٨، قبل أن ينتقل إلى مكانه الحالى فى مواجهة جامعة القاهرة.

انتقل إسماعيل ياسين من أمام باب محطة مصر إلى الرصيف المقابل فيما يقرب من الساعة.. قضاها يتأمل التمثال والمكان المحيط به، ومبانى وسط القاهرة، وبانتقاله إلى الرصيف المقابل شعر بالجوع، ذلك عندما وقعت عيناه على عربة تبيع "الفول المدمس" يلتف حولها مجموعة من البشر يلتهمون طعامهم بشراهة، ولم يتردد.. واندس بينهم وراح يأكل وقلبه يتراقص من الفرح.

قبل أن يفرغ إسماعيل من طعامه، كان قد سأل عن مكان معهد الموسيقى العربية، ودلوه على مكانه والذى لم يكن بعيداً، فقط محطتان بالترام، الذى شعر باستمتاع غريب وهو يركبه متجهاً إلى المعهد.

ذهب إسماعيل إلى معهد الموسيقى العربية ففوجئ به مغلقاً، وسأل عن السبب:

**● كل سنة وأنت طيب المعهد دلوقت فى "المسامحة" ـ الإجازة الصيفية ـ ارجع وعليك خير بعد أربعة أشهر**

**– أربعة أشهر؟**

**● أيوه المسامحة أربعة أشهر.**

حسناً لابد طبعاً أن يعود.. ولكن ماذا سيفعل حتى تنتهى هذه الشهور الأربعة، وأين يقضيها؟

وتاه إسماعيل فى شوارع القاهرة فكان يمشى من مكان إلى مكان دون هدف أو غاية، لأنه لا يعرف إلى أين يذهب أو ماهى غايته، وكان يفكر أحياناً:

● **ترى هل أعود إلى والدى أو إلى جدتى، وهل تغفر لى جدتى ما فعلته حين سرقت جنيهاتها لو عدت إليها؟**

واستقر رأيه على أن يبقى فى القاهرة، وليفعل فيه القدر ما يشاء.

لكن القاهرة قاسية القلب، لا تحسن استقبال الغرباء، فهى تستقبل الألوف مثله كل يوم من النازحين من قرى ومدن الريف، ليس فقط بحثاً عن فرصة عمل، ولكن أيضاً من أجل ثراء المدينة وحياة الترف.

ولكنه ليس مثل هؤلاء الذين لا يهمهم ماذا سيعملون، سواء فى معسكرات الإنجليز، أو لدى الأسر التى تحتاج إلى خدم، أو فى أفضل الظروف تجدهم "يخدمون" أيضاً فى صالات عماد الدين والعتبة وروض الفرج التى تحتاج إلى "أرتستات" وشارع محمد على وحديقة الأزبكية والجنينة التى تحتاج إلى عاهرات.

## هنا القاهرة

ذهب إسماعيل إلى واحدة من "اللوكاندات" الرخيصة، والقريبة من منطقة وسط القاهرة ومحطة مصر، وفى الوقت نفسه تكون قريبة من معهد الموسيقى، أقام فى "اللوكاندة" أياماً عاطلاً فيها عن العمل، يخرج فى الصباح يجوب شوارع القاهرة ومنطقة وسط البلد، نهاراً، ثم منطقة الأزبكية وشارع عماد الدين ليلاً، ويعود إلى اللوكاندة منهكاً لينام، ويتكرر الحال فى اليوم التالى، يوماً وراء يوم انتهت نقوده، ولم يبق معه من الجنيهات الستة سوى قروش بسيطة، وقد صادر صاحب اللوكاندة كل ما يحمله من ثياب ومتاع.

**● الفلوس خلصت وبقيت "أبيض يا ورد".. تعمل إيه وتروح فين ياواد يا سمعة.. ده كمان لسه المعهد قدامه فترة طويلة علشان يفتح..**

وخطرت له فكرة.. فهو يعرف أن خاله له ابنتان تزوجتا هنا فى مصر، بل إن عناوينهما معه، فقد ذكرها خاله لجدته أمامه أكثر من مرة، وهنا قرر أن يلجأ إلى واحدة من بنات خاله.

وذهب إسماعيل إلى ابنة خاله الأولى، والتى كان زوجها أزهرياً عصبى المزاج يكره كل أقاربها وله أسبابه، أو حتى دون سبب، المهم أنه ما كاد يرى إسماعيل حتى "كشر" فى وجهه، خصوصاً بعد أن قال إنه جاء إلى القاهرة لكى يتعلم الموسيقى.

**● قلت لى بقى جاى مصر ليه؟**

**- علشان أقدم فى معهد الموسيقى العربية.. نفسى يا عمى أبقى مطرب مشهور**

**● مطرب مشهور.. عليك لعنة الله.. عايز يعنى تشتغل مع العوالم وبتوع "هشك بشك"**

**- لا.. مش العوالم.. بقولك زى سى محمد أفندى عبدالوهاب، أو الشيخ زكريا أحمد.. أو......**

**● والشيخ زكريا بقى.. شيخ فى أى مسجد إن شاء الله.. قوم فز من قدامى.. باب السكة أهه قدامك شايفه..**

**- أيوه شايفه.**

**● تخرج منه متورنيش وشك هنا تانى.. فز امشى**

## البحث عن مأوى

يخرج إسماعيل حزيناً.. ولكنه لم ييأس بعد.. فمازال الأمل معقوداً على ابنة خاله الثانية.. على الفور ذهب إليها، ولكن القدر لعب لعبته معه:

**● الست إحسان سافرت من هنا**

**– وراجعة إمتى**

**● لا يا بنى مش راجعة.. دى قاعدة مع جوزها القاضى الشرعى.. فى المنصورة أصله اتنقل من الشتوية اللى فاتت هناك.**

وهكذا وجد إسماعيل نفسه بلا مأوى.. وبلا مليم فى جيبه، هام من جديد على وجهه فى شوارع القاهرة حتى قادته قدماه إلى مسجد "السيدة زينب"، دخل المسجد فرأى الصلاة قائمة، توضأ وأدى صلاة المغرب، وبقى فى المسجد حتى حانت صلاة العشاء صلى مع المصلين، وقبل أن يخلو المسجد من المصلين كان قد اختفى فى ركن من أركان المسجد، وحين أطفئت الأنوار غرق فى نوم عميق إلى أذان الفجر.

عاش أسبوعاً فى المسجد، يأتيه عند صلاة العشاء ويتركه بعد صلاة الفجر أما الطعام فقد كان يقتسمه مع بعض من يطلق عليهم "مجاذيب الست" الذين يعيشون حول المسجد وبجواره، يقتاتون على "الحسنات والخيرات والنذور" التى يقدمها أهل الخير من بعض الموسرين لمثل هؤلاء، وكان أحياناً يتظاهر بأنه واحد منهم، مجذوب مثلهم فيعطونه حصته من الطعام.



# محسوب العائلة





ظل على الحال التى عليها أياماً طويلة، حتى حدث ذات يوم أن اكتشفه أحد خدام المسجد، وكان رجلاً ضخماً فظاً غليظ القلب، وهوى على وجهه بعدة صفعات قبل أن يطرده.

وتمر الأيام، وتزداد حالته سوءاً! وتظهر على هيئته ملامح البؤس والفقر ومظاهر عدم الاستحمام وقذارة ملابسه، وكما تبخرت نقوده.. تبخرت كل الوعود والأحلام، فلم تسنح فرصة واحدة للمطرب الشاب القادم من السويس لغزو القاهرة، ويزداد انبهاره بشارع عماد الدين ورواده من الفنانين، وبالأضواء التى لا تنطفئ ليلاً وتحيل الشارع إلى نهار.

وتزداد مشاكل المأوى والطعام، فلا يستطيع الحصول على دخل، ويلجأ إلى محطة "كوبرى الليمون" بعد طرده من النوم فى المساجد، ولكن لم يدم الحال.. فخوفه من عساكر الشرطة جعله يهرب من المحطة.. ليعود من جديد إلى رحلة البحث عن مأوى، ويهيم على وجهه مرة أخرى فى شوارع القاهرة، حتى أعياه التعب فجلس وارتاح على الرصيف.. ومن شدة التعب نام فى مكانه.

ومع أول إشراقة للفجر، وحين بدأ الناس يتجولون فى الشوارع، خاف أن يلاحظه أحد "عساكر البوليس" فيأخذه إلى السجن، فقام وواصل

رحلة المشى فى الشوارع على غير هدى، وبلغ به التعب فى الليل حداً كبيراً، فكان يمشى وهو نائم إلى أن وجد مقهى ليس فيه الكثير من الناس فدخله وارتمى بجسده المتهالك فى زاوية بعيدة عن العيون ونام!

ومرة أخرى فتح إسماعيل عينيه فى الصباح على رجل غليظ القلب يضربه برجله ويقول له:

● **قوم.. قوم يا متشرد يا ابن المتشردة.. قوم من هنا.**

**ثم عاد لكى يضربه فى بطنه الخاوية من الطعام منذ يومين، وليت الرجل اكتفى بضربه، بل بعد أن ضربه.. تطلع إلى وجهه فبرقت عيناه وصرخ:**

● **هو ده الواد اللى سرق طقم الشاى إمبارح.. أنا الخلقة دى متروحش من بالى أبداً .. هو يعنى هو.**

**وجاء عدد من أهالى الحى.. واشتركوا مع الرجل فى الضرب، وهم يصرخون:**

● **كده تسرق طقم الشاى يا حرامى يا وش الإجرام**

وتنساب دموع إسماعيل ساخنة على خديه.. يبكى من أثر الاتهام الكاذب وقسوته، وعلى ما ينتظره من مستقبل مظلم نهايته السجن!

**– والله عمرى ما شفت أى طقم شاى فى حياتى.. ولا حتى سرقت جدتى ولا حاجة.. أنا مش حرامى يا ناس.. أنا غلبان!**

ولكن الجميع صمموا على اقتياده إلى مركز البوليس، وبدأت المظاهرة صغيرة، وما لبثت أن كبرت وانضم إليها ناس كثيرون أخذوا يشتركون فى جذبه وصفعه وشتمه، ويشهدون هم أيضاً على أنه هو الذى سرق طقم الشاى، وإسماعيل يقول لهم:

● **يا ناس حرام عليكم تشهدوا زور**

ولكن لم تشفع له عندهم دموعه وملامح البراءة البادية على وجهه وتصرفاته وحيرة الإنسان الصادق عندما تحاصره الأكاذيب، ونبرات

الصوت المشحونة بالحزن والمرارة الصادرة منه نافية الاتهام ونظرات عينيه الحائرة المستجيرة، الباحثة عن قلب رحيم يأخذ بيده وينقذه من هول الموقف الذى يقف فيه، وفى الطريق إلى مركز البوليس.. سقط إسماعيل مغشياً عليه من شدة الضرب.

وتدخل القدر لينقذه حين ظهر فى الطريق شيخ المسجد الذى كان قد لمح السارق وهو يهرب ونظر إلى إسماعيل ثم قال لمن تجمعوا حوله:

● **اتركوه يا جماعة.. إنه ليس سارق الشاى.**

وتركه الجميع، وحين أفاق من إغمائه وجد شيخ المسجد أمامه، فارتمى على صدره واندفع فى نوبة بكاء حادة بين يدى الشيخ، ارتعش فيها كل جسده وكل نبرات صوته، وقص على الشيخ قصته فى كلمات حارة صادقة، وبعيون حزينة باكية نافية للاتهام الظالم الذى تعرض له، فينصحه الشيخ بالعودة إلى السويس، حتى لا تسوء حالته أكثر، وحتى لا يتعرض لمصاعب أخرى فى بلد غريب.

● **اسمع منى يا ابنى.. الأفضل لك أن تعود إلى والدك فى السويس**

**وأحنى إسماعيل رأسه وقال:**

**- حاضر يا مولانا.**

وصمت إسماعيل وهو يجفف دموعه.. ومد الشيخ يده فى جيبه وأخرج منه جنيهاً - وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت - وأعطاه له، تردد إسماعيل ثم مد يده على استحياء وأخذه، ودون تفكير اتجه على الفور إلى محطة السكك الحديدية، يقطع تذكرة إلى السويس، ويأخذ الشيخ بيده ويودعه فى المحطة، وهو يستقل القطار إلى السويس، بعد أن تكفل له أيضاً بوجبة غذائية.

ويشعر إسماعيل بالاطمئنان والثقة فى الناس مرة أخرى، وأن القلوب الرحيمة لا تزال موجودة وعلى استعداد لكى تنقذ "غريقاً" على وشك الغرق، أو بريئاً قد يحيط به الاتهام.

وحين بدأ القطار يتحرك هطلت دموعه مرة أخرى، ولكن هذه المرة ليس لأن الدنيا لا تزال بخير، وأن فيها أناسا طيبين، ولكن لإحساسه بأنه فشل فى أن يحقق أحلامه، فشل فى أن يتعلم الموسيقى لكى يصبح مطرباً ولابد أن يطرد من ذهنه هذا الحلم.. وأن يعود إلى بلده مهما يحدث بعدما شاهد قسوة الظروف التى مر بها.

يعود إسماعيل إلى السويس: حزيناً.. مكتئباً، مهزوماً، غير أن جذوة الأمل لم تكن قد انطفأت بالكامل فى قلبه الذى لايزال متعلقاً بالغناء والطرب.

وصل إسماعيل إلى بيت والده، ولم يجد ما يسره أو يزيح عنه هموم ما رآه فى القاهرة، فقد وجد والده فى حالة يرثى لها، كان يرتدى ملابس رثة، وقد تدهورت صحته، وتم القبض على عصابة تزييف النقود، غير أنه لحسن حظ الأب كان قد تركهم قبل أن يتم القبض عليهم، وتبدل حال الأب بعدها، وتحول إلى صنايعى أجير فى أحد محلات "الصاغة" بعد أن كان صاحب محل، ولم يعد بإمكانه مساعدة ابنه أو الإنفاق عليه، فهو بالكاد يسد متطلبات حياته وزوجته، فقد أذله المرض وهده إدمان المخدرات، وبدأت تظهر عليه آثارهما، ولأن قلب ياسين أصبح أكثر تفهماً لأحلام ابنه الغامضة فى السفر إلى القاهرة.

لم يستقر الحال طويلاً بإسماعيل ياسين فى السويس، كانت الأمور العائلية تسير فى طريق التدهور أكثر فأكثر.. عاد إسماعيل ليجد صورة أخرى غير تلك التى تركها.

أكثر ما أسعد إسماعيل أن شلة الأصدقاء التى تركها لم تزل كما كانت تحمل له الود والحب، واستقبلته كابن لها يعود من رحلة غياب، وليس من رحلة فشل يستحق عليها التأنيب أو السخرية منه، كما كان يخشى.

وسمع الأصدقاء تجربته المريرة القاسية فى القاهرة، وعن أحلامه لو أنه استطاع الاستمرار، فمعركة إثبات الوجود طويلة، وتحتاج إلى جهد كبير من المثابرة والصبر.

وكعادة الأصدقاء، لا ترضى الشلة بالفشل لأحد أفرادها، وتتولد الرغبة فى المساعدة، والتصميم على إعادة المحاولة، والوقوف بجوار إسماعيل حتى يعود مرة أخرى ليغزو القاهرة ليظل الأمل دائماً موجوداً.

وتستقبل السويس إسماعيل مرة أخرى فى حفلات الزفاف، مع تلك الفرق البسيطة التى "تحيى الليالى" بالغناء والموسيقى والرقص، لتبعث البهجة فى النفوس المتعبة، والتى تحاول أن تكسر رتابة أيامها.. ولو من خلال مناسبة بسيطة تخفف عنهم أعباء الحياة، وما يعيشونه من ضيق وذل فى ظل وجود الاحتلال البريطانى.

يجتهد الأصدقاء فى الدفع بإسماعيل فى تلك المناسبات التى تحدث فى الحى أو الأحياء القريبة من أجل مساعدته، فلم يعد لديه عمل أو مهنة يمتهنها، حتى تقوده المصادفة فى أحد الأيام إلى "إحياء" ليلة فرح فى منزل رجل من أثرياء مدينة السويس يدعى "الشيخ إسماعيل الفار"، وفى الفرح يلقى قبول الجميع، ويصبح محط أنظارهم، وما إن ينتهى من الغناء حتى يتقدم منه شاب وسيم يحييه على غنائه وما قدمه فى الحفل، ويثير فضول إسماعيل هذا الثناء والإعجاب، حيث يشعر لأول مرة بأن له معجبين، ويتعرف على هذا الشاب الذى يتضح أنه من عائلة قدرى باشا التى كان الكثير من أفرادها يحضرون الفرح، ويبدون إعجابهم به، ويجدون فيه "شيئاً" طريفاً جديداً، ويطلبون منه أن يزورهم فى القاهرة، فقد وجدوا فيه وجهاً جديداً غير ما يشاهدونه فى أمثاله من المطربين من أبناء القاهرة، وأن لديه من خفة الظل و"النكات والقفشات" ما يستطيع من خلالها أن يدخل البهجة والسرور إلى قلوبهم، ووجد فيهم إصراراً على أن يحيى لهم ليالى وجلسات "السمر" بنكاته وطريقة تقليده للأغانى والمطربين الجدد.

## عودة الروح

على الفور ناوله هذا الشاب الوسيم من عائلة "قدرى باشا" بطاقة تعارف، فيها الاسم والعمل والعنوان.. واندهش إسماعيل عندما لم يجد شيئاً بالبطاقة، مجرد ثرى من الأثرياء، فماذا سيفعل لديه حتى يطلب منه أن يمر عليه؟ وأن لديه عملاً له بالقاهرة.. ولكن ماذا يمنع.. فقد تكون البداية من هنا.

يرى أصدقاء إسماعيل أن هذه "الدعوة الفرصة" هى "القشة" التى ينتظرها الغريق لتحمله إلى بر الأمان فى القاهرة، وأن الفرصة أصبحت مواتية له ليعيد التفكير فى تحقيق طموحاته وأحلامه التى وضعها جانباً منذ عودته من القاهرة، فقرر الأصدقاء أن يتكاتفوا فيما بينهم، ويذللوا عقبة المصاريف الأولى واللازمة لبداية الرحلة، ويجمعوا فيما بينهم مبلغاً من المال، ربما لا يتعدى المبلغ نفسه الذى بدأ به رحلته السابقة - الجنيهات الستة - التى لا تزال ملامحها عالقة بذهنه.. وربما لن ينساها طوال حياته.

يشعر الأب بالوحدة والعجز، ويعارض سفر ابنه، معارضة العاجز الذى لا يقدر على المساعدة أو المنع، غير أنه لا يجد بداً من أن يوافق على سفره، فربما فتحت له الأبواب المغلقة، واستطاع أن يعيد الأسرة إلى سيرتها الأولى.

يسافر إسماعيل ياسين إلى القاهرة، تملؤه هذه المرة الرغبة فى الانتصار، وأن يتخطى كل العقبات، فهذه المرة ليست مثل الأولى، فهو يسافر الآن على هدى، يعرف أين يذهب، ولمن سيذهب، ومن المؤكد أن القاهرة هذه المرة ستفتح له ذراعيها.

فى القاهرة لم تكن الحياة قاسية ومتجهمة فى وجهه منذ اللحظة الأولى لوصوله، كما استقبلته أول مرة.

توجه إسماعيل ياسين فور وصوله إلى قصر قدرى باشا، وكما توقع وربما أكثر كان استقبالاً حافلاً، واستطاع فى خلال الساعات القليلة

التى قضاها بينهم فى القصر أن يكسب ثقة وإعجاب جميع من يعيشون فيه، من نساء ورجال، وتحديداً الأطفال، فقد دخل بظله الخفيف يروى لهم النكت والحكايات الضاحكة، وسعدوا به، فبدأوا يعاملونه معاملة طيبة. وبعد أيام فقط بات وكأنه أحد أفراد الأسرة، واختاره الشاب الذى استدعاه ليكون سكرتيراً خاصاً له.. يأكل ويشرب وينام ويلبس على نفقته.. بالإضافة إلى راتب يعطيه له فى نهاية الشهر.

وكانت مهمة إسماعيل ياسين كسكرتير خاص لهذا الشاب هى أن يرافقه فى كل مكان يذهب إليه. وأن يغنى له فى سهراته الخاصة، ويسامره فى جلساته ويروى له النكات التى تثير ضحكاته كلما تجهم وجهه، أو غضب من شىء.

**● اسمع يا سمعة.. أنت مش مطلوب منك أى شىء غير أنك تخلينى أضحك على طول**

**- بس كده سيادتك تأمر.. أنا مفيش حاجة ورايا غير كده**

**● أيوه.. أنا عندى هموم كتير.. حسابات وأطيان وبورصة**

**- طب والغنا.. مش هغنى؟**

**● تغنى ترقص تقول نكت.. اعمل أى حاجة تبسطنى**

كأن هذا الرجل أعطى لإسماعيل مفتاح السعادة.. فقد كانت أسعد أوقاته فى الأيام التى كان مخدومه يقضيها فى المساء بين المسارح والملاهى الليلية ودور السينما، ولم يكن هذا يحدث كلما سمحت الظروف، ولكنه كان يحدث كل يوم، فلم يكن عند هذا الشاب ما يشغله - وتحديداً فى المساء - سوى ساعات الحظ فهو ابن ذوات ومن الوارثين وذوى الأملاك، ولابد أن يجد ما يقتل به الوقت كل ليلة، ويسعد نفسه.

فقد كان من عادة الأسر الثرية فى ذلك الوقت عندما تقيم سهرة أو حفلاً، أن تتضمن الغناء والرقص كنوع من الترفيه، حيث لم تكن هناك من وسائل ترفيهية سوى "الفونوغراف" أو العزف على "البيانو" وكانت كل

أسرة تحتضن واحداً أو أكثر من المغنين أو الراقصات يكون ضيفاً دائماً لإحياء هذه الليالى.

بدأ إسماعيل ياسين من خلال هذه السهرات التى يذهب فيها إلى المسارح والملاهى والسهرات الخاصة، يتعرف على نجوم فن "المونولوج" فى القاهرة فى تلك الأيام. من أمثال حسين المليجى وسيد سليم، ومصطفى صالح وحسين إبراهيم وغيرهم من الأسماء التى كانت تلمع فى سماء المونولوج ذلك الوقت، وبتردده على أماكنهم وسهراتهم بدأ يحفظ مونولوجاتهم ويرددها فى السهرات الخاصة التى يحضرها مع مخدومه.

من هنا عادت أحلام الفن تراود إسماعيل ياسين، ومن آهات الاستحسان والتصفيق التى كان يتلقاها جعلت أفكاره تمنيه بأن يصبح مطرباً حقيقياً مثل عبدالوهاب، وليس مجرد "مسلياتى" لمخدومه ومجموعة أصدقائه، غير أنه بعد السهرات والليالى الملاح، وحفظه للكثير من المنولوجات التى يسمعها، بدأ يجد فى نفسه ميلاً شديداً إلى فن "المونولوج الفكاهى"، بل إنه اختبر نفسه فى ذلك الفن من خلال جلساته مع مخدومه وسهراته التى كان يقلد فيها هؤلاء الذين يقدمون المونولوج فى الملاهى.

لقد غرق إسماعيل ياسين تماماً فى حب المونولوج ووقع أسير حبه، وأصبح يحفظ جميع مونولوجات سيد سليمان، وحين كان يرددها فى السهرات الخاصة كان الجميع يشجعونه ويصفقون له ويطلبون منه أن يعيد ما يغنى على مسامعهم، ومن هنا اتخذ إسماعيل القرار الأهم فى حياته وهو أن يحترف غناء هذا النوع فن "المونولوج"، ويتخلى لأول مرة عن حلمه بأن يصبح مطرباً كبيراً مثل المطرب محمد عبدالوهاب.

شجعه على ذلك بعض الشباب من أولاد الذوات الذين كانوا من أصدقاء الشاب الذى يعمل عنده وكان هذا الشاب يهوى التلحين ومن هواة المونولوج، ويتعرف عليه ويقترب منه، ويعرف أنه "خليل حمدى"

المحامى، فهو من ذلك النوع من المحامين الذين يقبلون قضايا مهمة ولعدد من العائلات الكبيرة، غير أنه فى الوقت نفسه يمكنه أن يقبل واحدة من قضايا الفنانين أو المثقفين، لذا لم يكن غريباً عن ذلك الوسط، وكانت معرفته بمثابة "طاقة القدر" التى فتحت له، فقد كان ذلك المحامى مغرماً بالغناء والرقص والموسيقى ومحباً لجلسات اللهو والمرح، وكان دائم التردد على المسارح والصالات.

كان لزاماً على إسماعيل أن يفكر ويقرر بسرعة، فهو لن يستطيع أن يكون بينه وبين أسرة قدرى باشا، فقد آن الأوان أن يفكر فى مستقبله، وبقاؤه عند أسرة قدرى باشا ليس بالأمر السيئ، ولكنه سيظل على حاله، بل سينتهى به الأمر كما بدأ، وليس هذا ما يتمناه، فإذا كان قد تخلى عن أحلامه وطموحاته الفنية، فإن هذا يكون بشكل مؤقت حتى تسير الأمور وتضحك له الدنيا ويتخلى عن أيام الفقر والبؤس، ولكن لن يقبل بحال من الأحوال أن يكون هذا هو كل دوره فى الحياة، أو أن يكون هذا منتهى طموحه.. وقبل أن يتخذ إسماعيل قراره راح يعاتب نفسه:

● **لكن يا سمعة مش لما تتخلى عن أسرة قدرى باشا تبقى "قلة أصل منك**

– **وإيه قلة الأصل فى كده؟**

● **الناس أكرموك وفتحوا لك بيتهم كأنك واحد منهم وبعدين تسيبهم أول ماتلاقى غيرهم**

– **وبعدين أنت عارف كويس.. إنهم لو زهقوا منك ممكن بسهولة يرموك ويشوفوا حد غيرك برضه علشان يسليهم ويضحكهم**

● **يعنى فكرك أسيبهم وأشتغل عند المحامى ده**

– **مفيش غير كده.. لازم تفكر بقى فى مستقبلك**

● **تقصد إيه؟**

– **أقصد اللى أنا وأنت فاهمينه**

**● إيه يا أخويا اللخبطة دى.. ما هو أنا أنت وأنت أنا..**

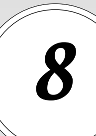
**– أنا عارف بقى.. أنا قلتلك وخلاص.. سلامو عليكو**

قــرر إسـمـاعـيل أن ينتـقل للعـمل عند المحـامـي، ولكن قـبل ذلك راح يستأذن أسرة قدرى باشا، وجاء الرد بسيطاً وسهلاً:

**● إحنا موافقين بس بشرط.. أوعى تتسانا.. ونحب نشوفك دايماً.. ولما نحتاجك متقولش لأ.**

**– بس كده.. من عنيا الجوز**

ولم يستغرق الأمر طويلاً قبل أن ينتقل إسماعيل ياسين من العمل لدى أسرة قدرى باشا.. إلى المحامى الثرى.



# عفريتة هانم





كان إسماعيل قد انتقل للعمل عند المحامى.. وسرعان ما أحبه إسماعيل، وأحبه المحامى وأعجب بسرعة بديهته وتصرفاته وحركاته، وخفة دمه، فقد قرر أن يتخذ منه رفيقاً وسكرتيراً وكاتماً لأسراره وخادماً، فهو أعزب، ويحتاج إلى من يؤنس وحدته ويرافقه فى جلساته، فى البيت وخارج البيت، أصبح إسماعيل يلازمه كظله فى كل مكان يذهب إليه، وبدأ إسماعيل يعرف طريقه إلى السهرات فى الصالات والكازينوهات.

بدأت تظهر على إسماعيل اهتمامات أخرى، فكان يستغل وجود الصحف والمجلات بمكتب المحامى، وكان يحرص يومياً على أن يقرأ كل ما تصل إليه يداه من المجلات الفنية وغير الفنية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت، فأخذ يتابع الأخبار بشكل عام، ويطلع على آخر أخبار الفن والفنانين فى بر مصر، وأخبار المونولوج بشكل خاص، وبدأ يسمع عن الفرق المسرحية المنتشرة فى ذلك الوقت، مثل فرقة رمسيس ليوسف وهبى، وعزيز عيد ونجيب الريحانى وعلى الكسار، ومن بين ما عرفه إسماعيل من خلال الصحف وشد انتباهه أن الزجال "أبو بثينة" هو الذى يؤلف مونولوجات سيد سليمان، ففكر إسماعيل كيف يصل إلى هذا الرجل، وإذا وصل إليه هل يستطيع أن يقنعه بأن يعطيه مونولوجاً يغنيه؟ ومن يكون إسماعيل ياسين ليكتب له "أبو بثينة"؟!

أسـئلة كـثيـرة دارت فى رأسـه حول "أبو بثينـة" الزجال، ولكن كل هذه الأسئلة وإجاباتها المحبطة، لم تستطع أن تثنيه عما انتوى أن يفعله.

كانت حقبة الثلاثينيات فى ذلك الوقت فى مصر تشهد أزمة اقتصادية طاحنة، كان تأثيرها واضحاً على كل شىء بما فيها الفنون، وفى الوقت نفسه شهدت هذه الحقبة أيضاً الكثير من التطورات السياسية والثقافية والفنية، حيث كانت الحكومة المصرية قبلها قد بدأت فى إرسال البعثات إلى الخارج وعاد هؤلاء الدارسون، ليقدموا كل ما درسوه وبحب على طبق من ذهب، للمجتمع المصرى، الأمر الذى شكل حركة فكرية وثقافية كبيرة، فضلاً على تنمية الوعى السياسى.

فى ذلك الوقت كان الفنان الكبير نجيب الريحانى يواصل نجاحاته المسرحية، ويواصل تقديمه للملحنين الموهوبين والجدد، فبعد رحيل أسطورة الموسيقى الشيخ سيد درويش، وتقديمه الشيخ زكريا أحمد تعاون مع محمد القصبجى فى تقديم رواية (نجمة الصبح) بطولة المطربة الجديدة هدى، وبعدها قدم أول محاولة للاقتباس من خلال رواية (اتبحبح) التى اقتبسها عن الفرنسية، وفى عام ١٩٣١ شكلت الحكومة المصرية لجنة للإشراف على المسرح كان من بين أعضائها الشيخ مصطفى عبدالرازق و د.طه حسين الذى كان يشيد كثيراً بالريحانى وفرقته، فقد كان الريحانى بارعاً فى اجتذاب الناس وذلك من خلال تقديم أعمال فنية يجد الناس أنفسهم فيها وكان يحرص على تناول شخصية الإنسان المطحون المكافح فى سبيل لقمة العيش، وقد بدأ ترسيخ هذا الاتجاه مع أعماله المسرحية مثل (الجنيه المصرى) وغيرها.

غير أن التمثيل لم يكن من أهداف إسماعيل ياسين، غير أنه بدأ يسمع عن نجوم هذا المجتمع الجديد عليه، وكان يعرف أخبارهم خلال وجوده فى كازينو "بديعة مصابنى" أكثر مما يعرفها من خلال الصحف، من هنا بدأ يغرى مخدومه لأن يسهر كل يوم فى كازينو "بديعة" حتى لا تفوته أخبار هؤلاء النجوم، من ناحية، ومن ناحية أخرى ليمتع نفسه بالاستماع إلى مونولوجستات كازينو بديعة الذى كان يضم أشهر من يغنون المونولوج

فى ذلك الوقت، بعد أن وقع إسماعيل ياسين فى غرام المونولوج.

وفى كازينو بديعة شاهد إسماعيل ياسين للمرة الأولى، تلك الأسماء التى طالما سمع عنها وعن أخبارها، شاهد ملك المونولوج وأكثرهم شهرة فى ذلك الوقت "سيد سليمان" وازداد إعجاب إسماعيل به، وحفظ مونولوجاته وكان أشهرها آنذاك "بُريه من الستات" و"هنا مقص".

كما شاهد أيضاً المونولوجست "حسين المليجى" وهو يلقى مونولوجاته "سوسو.. حنتوسو"، وغيره من المونولوجات التى اشتهرت فى ذلك الوقت، يوماً بعد يوم وجد إسماعيل ياسين المنولوج يحتل مكانة متميزة داخل نفسه، فى الوقت الذى بدأت فيه صورة المطرب محمد عبدالوهاب تتوارى لتحل محلها صورة مونولوجات "سيد سليمان" و"حسين المليجى".

تردد إسماعيل على كازينو بديعة، وشاهد الشعبية التى يحتلها فنانو هذا اللون، وما يلاقونه من ترحيب كبير من عشاق هذا الفن، تمنى إسماعيل أن يكون مونولوجست مثل سيد سليمان، بل بدأ على الفور يقلده ويلقى مونولوجاته فى السهرات الخاصة التى يقيمها ولى نعمته خليل حمدى، والتى خرج منها بفائدة أخرى جديدة، فمن خلالها تعرف على "حمدى سالم" الموسيقى والملحن الهاوى وتصادقا بعد أن جمعت بينهما هواية حب الغناء والموسيقى.

## الغناء أمام جمهور

بالرغم من أن الحب الجديد (المونولوج) بدأ يسيطر على عقل وقلب إسماعيل ياسين، فإنه كما يبدو لم ينس حبه القديم، وهو أن يصبح مطرباً عاطفياً، مثل مطربه المفضل محمد عبدالوهاب، فبعد أن توطدت علاقة الصداقة بين إسماعيل ياسين بالموسيقى حمدى سالم، بدأ يدعوه إلى حفلات بعض الأصدقاء والمعارف، وكانت المرة الأولى التى قرر فيها أن يدعوه لإحياء حفل زفاف أحد أصدقائه:

**● إسماعيل عندى لك خبر حلو**

**- اوعى تقولى أنك قررت تسلفنى بدلتك الجديدة**

**● لا يا أخى.. مفيش فايدة فيك أى جد تحوله لهزار**

**- يا سيدى حقك عليا.. بطلت أهزر.. خير إن شاء الله**

**● أنت هتغنى فى فرح**

**- شوفت بقى مين اللى بيهزر دلوقت**

**● أنا بتكلم جد.. يوم الخميس فرح ماجد ابن شوكت بك.. وأنا رشحتك تبقى مطرب الفرح**

**- اعدلونى ع القبلة.. أنا مش مصدق نفسى.. الكلام ده بجد**

**● وجد الجد.. جهز نفسك يا بطل.. عايزك من دلوقت لحد يوم الخميس تشرب كل الزنجبيل اللى فى البلد علشان صوتك يجلجل**

**- هو هيجلجل وبس.. ده أنا يا أستاذ هخليهم يصرخوا من حلاوة الصوت.**

**● ولك ياعم زى ما قلت.. هسلفك بدلة جديدة علشان تبقى آخر شياكة**

قفز الحلم النائم فى قلب إسماعيل إلى خارج صدره، فقد جاءت الفرصة التى طال انتظارها، ليغنى فيها إسماعيل ياسين أمام جمهور حقيقى لأول مرة فى القاهرة، ليثبت لهذا المجتمع قدراته كمطرب.. بعد أن باءت كل محاولاته السابقة بالفشل فى أن يشترك فى أى حفل مع إحدى الفرق المحترفة، سواء فى شارع محمد على، أو واحدة من صالات شارع عماد الدين.

ويحلم إسماعيل بيوم الخميس.. ويأتى يوم الفرح، وينسى المناسبة التى يغنى فيها.. وينسى أن يختار أغنية تتناسب وتلك المناسبة السعيدة، أو أغنية تدخل البهجة والسرور على العروسين والحضور من المدعوين والمدعوات، ينسى كل هذا ولا يتذكر سوى حلمه فى أن يكون مطرباً،

وأنه يستطيع أن ينافس مطربه المفضل محمد عبدالوهاب، وأن يكون نداً له.

ولا يجد إسماعيل ياسين شيئاً يغنيه سوى أحدث أغنية لمطربه محمد عبدالوهاب "أيها الراقدون تحت التراب"!!

وكالمتوقع حدث هرج ومرج، وثار الحاضرون على المغنى، لسوء اختياره أغنية كهذه فى هذه المناسبة، ولولا أن القدر أنقذه فى تلك اللحظة، لكانوا فتكوا به ومن أتى به عندما شاهد صديقه حمدى يلطم خديه.. وتنبه إسماعيل إلى حجم الكارثة التى فعلها، وبسرعة خاطفة استطاع بذكائه أن ينقذ الموقف، ودفعت العناية الإلهية إلى حنجرته مونولوجاً من مونولوجات سيد سليمان، وزاد من إتقانه أنه قلد فيه طريقة سيد سليمان الأشهر فى فن المونولوج فى ذلك الوقت، ولا شك أن كل المدعوين يعرفونه ويحفظون طريقته، واستطاع برباطة جأشه، وخفة ظله وطريقته فى الإلقاء والتقليد أن يجبر المدعوين على متابعته.. ليس هذا فقط، بل جعلهم ينفجرون صراخاً من الضحك.. ودفعهم إلى نسيان هفوته السابقة.. بأغنية عبدالوهاب، ولولا ذلك لحدث ما لا تحمد عقباه.. وبدلاً من أن تكون البداية تكون النهاية.

كأنما أراد القدر فى هذه الليلة أن يصحح إسماعيل ياسين مساره الذى عاش طويلاً يخطط ويحلم به، وأن يجعله يكتشف حقيقة نفسه، مرتين: الأولى والأهم كانت من خلال رد فعل جمهور المدعوين على الأغنيتين وأدائه لكل منهما، والثانية كانت من خلال نصيحة وجهها له الزجال المعروف فى ذلك الوقت محمد عبدالمنعم الشهير باسم "أبو بثينة" له، والذى تصادف أن كان مدعوا مع الحاضرين.

**● أنت قلت اسمك إيه**

**- إسماعيل ياسين**

**● اسمع يا إسماعيل.. أنا راجل بقالى سنين فى الكار ده، ونصيحتى لك يا بنى أنك تركز فى المونولوج.. وسيب الأغانى العاطفية لأهلها**

- **تقصد إنى مش كفء للأغانى دى**

● **الحكاية مش بالكفاءة.. لكن فيه حاجات كتير بتحكم المسألة.. وربنا خلق كل واحد.. وخلق له سكته فى الدنيا.. وأنا بخبرتى شايف إن المونولوج هو سكتك.**

كانت نصيحة "أبوبثينة" له أن يبتعد عن الغناء، بمثابة الباب الذى أغلق فى وجهه بعد أن كاد يفتح له، وزاد من حزنه فى وقتها، تأكيده له أن شكله وتقاطيع وجهه، قد لا تجعله ينجح كمطرب، ولكنه بسرعة بديهته وخفة دمه، وحسن حركاته وطريقة إلقائه يمكن أن يصبح مونولوجستاً كبيراً.

سمع إسماعيل النصيحة، التى سببت له حزناً كبيراً، وما إن خلا إلى نفسه حتى أعاد التفكير فيها مرات ومرات، وشيئاً فشيئاً اقتنع بها.. خاصة عندما كان يطيل الوقوف أمام المرآة:

● **بالذمة ده منظر!!**

يبتعد عن المرآة ويعود وينظر إليها

● **يا نهار أسود.. كل ده بق؟!**

بعدها قرر إسماعيل أن يعمل بالنصيحة، ويودع أحلام الغناء وأن يكون مطرباً منافساً لمحمد عبدالوهاب، ولكن إذا كان حلمه كمنافس لعبدالوهاب قد انتهى، فإن حلمه كمطرب لن يموت أبداً، وسيظل يبحث له دائما عن متنفس.. وسيجده فيما بعد بطريقة أو بأخرى.

## نصيحة أبو بثينة

فكر إسماعيل طويلاً فى كلام "أبو بثينة" واستقر إلى أنه إذا كان أبو بثينة صاحب النصيحة، فلماذا لا يكون صاحب فضل أيضاً؟! وجلس إسماعيل يحدث نفسه:

● **ولماذا لا أذهب إلى أبو بثينة وأطلب منه مونولوجا؟**

**● كده مرة واحدة.. أبو بثينة اللى بيكتب لسيد سليمان وحسين المليجى يكتب لإسماعيل ابن عم ياسين الغلبان.**

**● وفيها إيه.. ماهو أكيد سيد سليمان ولا حسين المليجى ولا حتى محمد عبدالوهاب محدش فيهم بدأ زى ماهو دلوقت..**

**● لكن الراجل أكيد بياخد فلوس كتير فى المونولوج الواحد.. وأنا محلتيش اللضا (أى لا يمتلك قرشاً واحداً)**

**● قال "ضربوا الأعور على بقه" (أصل المثل ضربوا الأعور على عينه) قال خسرانة خسرانة!!**

قرر إسماعيل أن يقطع الشك باليقين، وذهب بالفعل لمقابلة الزجال محمد عبدالمنعم "أبو بثينة"، وكان اللقاء حميماً وحمل أكثر من مفاجأة سارة لإسماعيل، الأولى عندما حاول أن يجتهد ليذكره بنفسه وما حدث يوم "الفرح"، ووجد أن أبو بثينة يتذكره تماماً، بل ويعرف اسمه:

**● مش أنت إسماعيل ياسين اللى كنت عايز تبقى زى محمد عبدالوهاب**

**- أيوه يا أستاذ.. بس خلاص الكلام ده بونو بونو!!**

**● مش فاهم يعنى إيه؟**

**- لا متخدش فى بالك يا أستاذ.. دى حاجة كده.. أنا أقصد أقولك إن الكلام ده خلاص انتهى.. وأنا دلوقت جايلك علشان كده.**

وقبل أن يطلب منه إسماعيل طلبه الذى جاء من أجله.. قرر أن يقص عليه أولاً قصة حياته، منذ أن حرمه القدر من أمه.. والعذاب مع زوجة أبيه، ثم جدته، حتى جلوسه أمامه الآن.. وطلب منه أن يقف بجواره ويشجعه، فوجد منه ترحيباً كبيراً لذلك، وهنا كانت المفاجأة الثانية التى لم يتوقعها إسماعيل، عندما طلب منه أن يعطيه كلمات مونولوج خاصة به يغنيها، فوافق:

**● كلامك ده يا أستاذ شجعنى أطلب منك منولوج يبقى بتاعى أنا أبدأ بيه**

**- وأنا شايف كده برضه.. موافق طبعاً**

**● أيوه يا أستاذ بس استنى قبل ما تتورط فى الموافقة**

**- إيه لك شروط أو طلبات؟**

**● شروط إيه بس يا أستاذ أنت بتتريق علىّ**

**- أبدا والله.. لو فيه حاجة عندك قول**

**● اللى عايز أقوله إن محسوبك (يقصد نفسه) محلتوش اللضا.. يعنى على رأى المعلم فرج السويسى.. "إل نيا با فلوس" علشان كده عاوز من حضرتك يعنى......**

**- يا سيدى فهمت وملوش لزوم كل المقدمة دى.. المونولج هديه من عندى**

**● بجد.. أنا مش عارف أقولك إيه.. بس تمن المونولوج ده دين فى رقبتى.. أول ما يجيلى فلوس هسدد تمنه على طول**

**- متقولش حاجة أبدا يا إسماعيل ومش عايزك تشيل هم.**

كانت دهشة إسماعيل كبيرة حين حقق أبو بثينة رغبته وأعطاه بالفعل مونولوجاً حمله إلى الملحن صديقه لكى يلحنه له بالمجان أيضاً، ثم كان دور السؤال الأهم: ما هى الوسيلة الآن لكى يخرج هذا المونولوج إلى النور؟!.

فهو لا يعمل فى أى من الصالات المنتشرة فى عماد الدين أو روض الفرج، فأشار عليه صديقه ابن الذوات الملحن أن يذهب به إلى الإذاعة، ففى ذلك الوقت كانت هناك أكثر من إذاعة أهلية منتشرة فى القاهرة وكانت منفذاً للشهرة.

**● الإذاعة حتة واحدة**

**- عندك حل تانى؟**

**● لا**

**- يبقى خلاص.. تروح الإذاعة.. أنت هتخسر حاجة**

● **بالعكس.. ده أنا هكسب**

تقدم إسماعيل ياسين بالمونولوج إلى محطة "إذاعة فؤاد"، وكانت المفاجأة أنهم قبلوه على الفور، وأذاعوا المونولوج فى اليوم نفسه.. ولم يصدق إسماعيل نفسه، بل زادت دهشته عندما طلبوا منه مونولوجاً آخر، وعلى الفور تمت كتابته وتلحينه وإذاعته.

خطوة هائلة لم يكن يتوقعها فى هذا الوقت الوجيز، وإن كانت لم تتح له أن يستقيل من خدمة صديقه الثرى وأن يتفرغ للمونولوج.

وتوالت الأيام على وتيرة واحدة، كان فيها إسماعيل يعمل سكرتيراً للثرى السويسى، إلى أن وقع له حادث أثر فى حياته.. جعله يتحول كلية إلى الفن.

## شهيد الغرام

توطدت العلاقة بين الثرى السويسى وسكرتيره إسماعيل، إلى أن أخذت شكل صداقة، أكثر منها علاقة خادم بمخدومه، وهذا ما شجع صديقه الثرى إلى أن يبوح له بواحد من أهم وأخطر أسراره، حيث فاجأه يوماً بأنه يقع فى غرام الزوجة الشابة التى يتزوجها خاله العجوز، حباً ملك عليه فؤاده.. وأنه بات لا يستطيع أن يستغنى عنها أبداً. ولا يعرف ماذا يفعل وكيف يتصرف؟!.

وكان إسماعيل يعرف خاله وزوجة خاله، لأنه يعيش معهم فى البيت نفسه، حيث يعيش الشاب مع خاله الثرى الذى تخطى السبعين من عمره، أما زوجته فكانت شابة يقترب عمرها من عمر إسماعيل، فى بداية العشرينيات من عمرها!

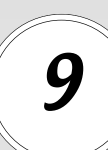
ووجد إسماعيل ينسى نفسه كخادم، ويقدم نصيحة مخلصة لمخدومه، بأن مثل هذا الأمر خطير جداً وأنه ضد الدين والعرف والتقاليد، وعندما وجد أن هناك إصراراً من صديقه الثرى على المضى قدماً فى هذا الطريق، قرر أن يتصرف على طريقته، فراح ينبه الزوج المخدوع،

ولكن بشكل غير مباشر، أن زوجته شابة ومطمع للشباب، وأنه يخشى عليها، فما كان من الرجل إلا أن كلفه بمهمة مراقبتها أثناء فترة غيابه عن المنزل، ومعرفة كل حركاتها وسكناتها خارج المنزل.

وبات لإسماعيل مهمة جديدة وهى أن يقيم فى البيت طوال النهار يراقب زوجة مخدومه الجديد، وينقل إليه كل تصرفاتها ويمنعها من الخروج من البيت، بل وحتى الاقتراب من الشباك أو الرد على الهاتف.

ومرت شهور، وبدأت الزوجة تضيق بهذا السجن فما كان منها ذات يوم إلا أن سكبت على جسدها كمية من "الجاز" وهمت بأن تشعل النار فى جسدها وتنتحر لولا تدخل إسماعيل المتابع لكل حركاتها فى الوقت المناسب.

وحين عاد الزوج إلى البيت علم بتفاصيل الحكاية، وفوجئ فى الوقت نفسه بأن الزوجة الشابة المدللة تطلب الطلاق لأنها لم تعد تستطيع أن تصبر على الحياة فى سجن يراقبها فيه سجان اسمه "إسماعيل ياسين"، وحاول الزوج أن يثنى زوجته عن الطلاق، وبعد جهد جهيد وافقت على عدم طلب الطلاق، ولكن بشرط واحد وهو أن يطرد سجانها من خدمته!



# 9 ماكانش على البال





جاء الصلح بين الثرى وزوجته على حساب إسماعيل ياسين، فطرده من خدمته، لتخلو الأجواء للعاشقة الشابة، ويطرد إسماعيل بدون "قرش" واحد تعويضاً عن طرده، ومن دون أن تسمح له الزوجة الشابة حتى أن يأخذ ثيابه، ليخرج بالملابس التى كان يرتديها فقط.

خرج إسماعيل من بيت الثرى السويسى حزيناً وقادته قدماه إلى منزل صديقه الملحن الذى كان يلحن له مونولوجاته بالمجان، فهون عليه الأمر وأعطاه بذلة قديمة من بذلاته وجنيها يتصرف به، ريثما يفرجها الله عليه.

ارتدى إسماعيل البذلة القديمة، والتى بدت كجديدة، فإذا به يجد فى جيبها الداخلى مبلغ خمسة جنيهات، يبدو أن صاحبها كان قد نسيها فى الجيب، ولكنها كانت بالنسبة لإسماعيل كنزاً.. فقد أصبح يمتلك ستة جنيهات كاملة.. ثروة!

قصد إسماعيل "لوكاندة الحميدية" فى حى السيدة زينب، واستأجر جناحاً - وهو ما يعنى وقتها غرفة مستقلة وحماماً خاصاً بها - ليس فيها فى هذه المرة ستة أو سبعة نزلاء، ودفع جنيهاً كاملاً كأجر للغرفة لمدة ١٥ يوماً.

مرت الأيام وإسماعيل ياسين لأول مرة منذ أن عاد إلى القاهرة ثانية،

يأكل وينام على نفقته الخاصة، ما جعل الجنيهات الستة تنتهى سريعاً، ولم يكن أمامه سوى أن يتذكر من جديد صديقه الملحن فذهب إليه، لكى يقترض منه، ولكنه فوجئ به يقول له:

**● أنا مش هديك أى فلوس سلف بعد النهارده..**

**- إيه.. طيب متشكر قوى**

**● مش هديك سلف.. لكن هديك كل يوم عشرة قروش**

**وتهلل وجه إسماعيل**

**● لكن بشرط واحد.**

**- اشرط**

**● متغنيش إلا المونولوجات اللى ألحنها لك أنا بس.**

**- بس كده ده أنا تحت أمرك**

**● وكمان شرط تانى صغير**

**- اشرط للصبح**

**● إنك تحضر الحفلات اللى أكلفك بحضورها.**

ومرة أخرى أعلن إسماعيل موافقته.. ولم لا.. فقد بات يملك كل يوم ثمن رغيف من "الفلافل أو الفول"، مع أجرة الفندق.

## الأسطى نوسة

كانت الحياة السياسية فى مصر مشتعلة فى مطلع الثلاثينيات، وعلى الرغم من نجاح الشيخ سيد درويش قبل رحيله فيما أطلق عليه "تثوير الموسيقى" أى جعل الموسيقى تضج بالثورة، وتلهب حماس الشعب بدلاً من الخطب، ما جعل المسارح والملاهى الليلية تعمل بشكل كامل، لاعتمادها على أشكال الغناء والموسيقى، إرضاء لجميع الأذواق، إلا أنه على الرغم من ذلك كانت الأزمة الاقتصادية حائلاً دون وجود حالة انتعاش على الرغم من هذه الكثرة، حيث كان المجتمع المصرى فى الثلاثينيات يشارف انهياراً

اقتصادياً كبيراً، ما ترتب عليه ازدياد معدلات الفقر وتهميش أغلب الفئات الاجتماعية المطحونة وتضخم ثروة الأقلية الأرستقراطية بمساندة الاستعمار والملك، ولهذا لم يجد إسماعيل ياسين طريقاً للخلاص من هذا الفقر سوى أن يعمل فى أكثر من مكان فى وقت واحد، فلم يكتف بالعشرة قروش التى كان يتقاضاها يومياً من صديقه الملحن.

فى اللوكاندة التى كان يعيش فيها تعرف إسماعيل ياسين على أحد أهم صبيان الأسطى "نوسة"، وكان يسمع جميع من فى اللوكاندة ينادونه باسم "عطية أفندى"، وكان هذا الـ "عطية" يصنع هالة لنفسه وسط هذه الطبقة الدنيا من البشر، ممن يعملون فى اللوكاندة، أو حتى سائر "الآلاتية" الذين يعملون مع "الأسطى نوسة" أشهر راقصات أفراح الدرجة الثالثة فى بر مصر فى ذلك الوقت، الأمر الذى جعل إسماعيل يشعر بأنه أمام شخصية مهمة، وهى شخصية "عطية أفندى".

فكر إسماعيل أن يفاتح عطية أفندى فى أن يعمل فى الملهى الذى تعمل به "الأسطى نوسة" سواء يصاحبها بالغناء أثناء رقصها، أو يقدم "نمرة" بمفرده فى الملهى.

**● مش برضه عطية أفندى**

**- أيوه يا حبيبى.. يلزم خدمة**

**● محسوبك إسماعيل أفندى ياسين.. أنعم وأكرم**

**- أنعم وأكرم ده اسم والدك**

**● لأ.. ده بس شىء لزوم التحية لحضرتك**

**- من غير تحية أو مقدمات عايز إيه يا سى أنعم أفندى وأكرم**

**● زى ما شفت وسمعت.. إن حضرتك الكل فى الكل فى فرقة الأسطى نوسة**

**يقوم بإحكام رابطة عنقه ويسحب طربوشه للأمام تباهياً بنفسه.**

**- وبعدين؟**

**● محسوبك بيغنى وبيقول مونولوجات مفيش كده**

**– فهمت.. فهمت**

**● لو بس حضرتك تقدمنى للأسطى نوسة علشان أشتغل معاها يبقى كتر خيرك**

**– قوى قوى.. دى حاجة بسيطة.. بالمناسبة أنت نازل فين**

**● أنا نازل هنا معاكم.. فى الأوضة دى**

**– خلاص يا إسماعيل أفندى اعتبر نفسك اشتغلت..**

ونام إسماعيل ياسين فى تلك الليلة تراوده أحلام النجاح والشهرة، غير أن الصباح كان يحمل له مفاجأة غير جيدة، فما إن استيقظ حتى اكتشف أن "عطية أفندى" سرق بذلته التى كان قد أعطاه إياها صديقه الملحن، وحافظة نقوده التى احتوت على ٣ جنيهات هى تحويشة عمره.

طار عقل إسماعيل ياسين، فقد تركه عطية أفندى كما يقولون "على الحديدة"، فراح يبحث عن صبى الأسطى من دون جدوى، فما كان منه إلا أن ذهب إلى الأسطى "نوسة" نفسها ليقص عليها ما حدث، متوسلاً إليها إعادة فلوسه، ورق قلب الأسطى لحال إسماعيل وما جرى له على يد "عطية" وأكدت له أنها هى الأخرى تبحث عن عطية هذا، وتتمنى لو تعثر عليه لتقتله، لأنه سرقها وأخذ كل مصاغها، وأنها لن تستطيع أن تعيد إليه نقوده، ولكنها يمكن أن تجعله يعمل معها فى فرقتها.

ووجد إسماعيل فى ذلك تعويضا مرضيا له، خاصة بعد أن عرضت عليه أيضاً أن توفر له حجرة فوق سطح إحدى عمارات شارع عماد الدين، ليكون قريباً من الملهى الذى تعمل به.

غير أن العمل مع "الأسطى نوسة" لم يرق له، خاصة أنها كانت تعامله باعتباره "صبى راقصة" وليس مطربا له احترامه وشخصيته، فقرر أن يتركها ويكتفى بالراتب اليومى ـ العشرة قروش ـ الذى يتقاضاه يومياً وفقاً للاتفاق المسبق بينه وبين صديقه الملحن.

## بين الأفراح والإذاعات الأهلية

مر ما يزيد على ستة شهور، والحال لم يتبدل، وإسماعيل فى رحلة إثبات الوجود، والبحث عن المأوى ولقمة العيش الدائمة، وهو ما تكفله له حفلات "الأفراح وسبوع المواليد" والحفلات الخاصة التى يساعده على الاشتراك فيها صديقه الملحن حمدى سالم.

فى ذلك الوقت، لم يكن هناك متنفس لمطربى ومطربات تلك الأيام سوى "الاسطوانات" أو محطات الإذاعة الأهلية، أو السفر مع الفرق الغنائية الجوالة التى تقطع قرى ومدن الوجهين القبلى والبحرى، أو رحلة إلى "بر الشام" مع الفرق الغنائية التى تتجول فى ربوع فلسطين ولبنان وسوريا.

وقرر إسماعيل أن يعاود الاتجاه إلى المحطات الأهلية ويقدم نفسه من جديد لها، خاصة أن عليها إقبالا لا بأس به من الجمهور، إضافة إلى أن أصحاب الملاهى والكباريهات يتعرفون من خلالها على المطربين الجدد ويدعونهم للعمل لديهم، لعل حظه "يضرب" ويقع عليه الاختيار.

كان معظم المحطات الأهلية فى ذلك الوقت يسيطر عليها الأجانب واليهود، وكان من بين هذه المحطات "فيولا ..سابو..شقال"، ورغم محدودية جمهور هذه الإذاعات، تقدم إسماعيل إلى محطة "فيولا" وقدم عدة مونولوجات، وعندما طلب من أصحابها أجرا، اندهشوا لذلك الطلب:

● فلوس.. فلوس إيه يا حبيبى..

– تمن ما غنيت المنولوج

● أنت مش فاهم ولا إيه يا حبيبى.. هو مين اللى مفروض يدى التانى فلوس

– أنتم طبعاً.. مش غنيت عندكم

● حبيبى إحنا بنعملك شهرة وبروباجندا كبير.. مفروض تدفع لنا عليها فلوس

وفى محطة "إلياس شقال" جاءه الرد نفسه، ولكن بطريقة أخرى:

● **أجر إيه؟! أنت مقدمتش غير المونولوجات نفسها اللى سبق إذاعتها، إيه الجديد فى كده.. لازم جديد علشان يبقى فيه فلوس**

وعى إسماعيل الدرس.. لابد من أن يقدم جديدا فى كل مرة حتى يعيش ويصبح له "سعر"!

وتمضى به الأيام.. خطوة أو أكثر إلى الأمام.. يبدو أن حاله استقر على تلك القروش البسيطة التى يتقاضاها من صديقه الملحن، ولكنه استقرار غير مضمون، متأرجح وفق ما يقدمه له "سوق العمل" من فرص.

## مولد الإذاعة المصرية

"ليكن فى علم الجمهور أنه لن يسمح ابتداءً من ٢٩ مايو ١٩٣٤ ببقاء التراكيب الكهربائية اللاسلكية التى بالرغم من مخالفتها أحكام الأمر العالى الصادر فى ١٠ مايو ١٩٢٦ تركت حتى الآن تسامحاً ويجب فك التراكيب قبل ذلك التاريخ وإلا طبقت الجزاءات المنصوص عليها فى ذلك القانون".

كان هذا بمثابة الإنذار الأخير الذى وجهته الحكومة المصرية إلى الإذاعات الأهلية المصرية التى عرفت طريقها إلى آذان المصريين فى العشرينيات من القرن الماضى، وبالرغم من اختلاف الروايات حول قصة أول بث إذاعى فإن هذه الإذاعات انتشرت بسرعة كبيرة واستغلها أصحاب المحال التجارية فى الترويج لبضائعهم، واستغلها تجار المخدرات لبث الشفرات فيما بينهم وبين أفراد العصابة، كما استغلها البعض فى بث رسائل الغزل والغرام والخيانات الزوجية، وكانت وسيلة للمنافسة بين المحال التجارية وبين المطربين فى ذلك الوقت فاتسم أغلب مضمونها بالسوقية والابتذال والخروج على الذوق العام، ولم يكن بغريب على الأسماع فى ذلك الوقت أن يخرج شخص بصوت عالٍ ينادى:

● **"ألو ألو الحق يا أخينا أنت وهو فى قنبلة انفجرت فى الموسكى" .**

**ثم يأتى مرة أخرى**

● **"القنبلة التى انفجرت الآن هى الأسعار المذهلة التى تبيع بها محال "الضبع للعب الأطفال".**

استمرت الإذاعات الأهلية على مدار عشر سنوات إلى أن جاء القرار بتوقفها وإنشاء إذاعة مصرية حكومية بعد أن زادت حدة السخرية بين هذه الإذاعات إلى درجة غير معقولة، وآلت إلى شركة "ماركونى" البريطانية، مهمة إدخال الإذاعة المركزية التى تغطى جميع أنحاء البلاد وتولت مسئولية تشغيل محطات الإذاعة لمدة عشر سنوات وفقاً للعقد المبرم بينها وبين الحكومة المصرية.

وفى مساء الخميس ١٣ مايو ١٩٤٣ استمع المصريون إلى صوت أحمد سالم أول مذيع للإذاعة المصرية يقول:

● **آلو.. آلو.. هنا الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية.**

كانت البداية بتلاوة قرآنية بصوت القارئ الشيخ محمد رفعت ليكون أول من تلا القرآن الكريم عبر ميكروفون الإذاعة المصرية، ثم يعود صوت المذيع الشاب أحمد سالم ليعلن عن أول فاصل غنائى بصوت أم كلثوم

● **هنا القاهرة.. سيداتى وسادتى أولى سهرات الإذاعة المصرية فى أول يوم من عمرها تحييها الآنسة أم كلثوم.**

وتخللت ساعات الإرسال التى امتدت من السادسة مساءً، وحتى الحادية عشرة فواصل موسيقية وزجلية وقصيدة شعر ومونولوج فكاهى، ثم كان الختام بفاصل موسيقى لمحمد أفندى عبدالوهاب مع التخت الخاص به.

منذ اليوم الأول، حرصت الإذاعة المصرية على استقطاب نجوم ذوى شهرة ومكانة رفيعة بين الجمهور حتى تنال بذلك ثقة واحترام المستمعين

فكان من بين نجومها فى ذلك الوقت أم كلثوم وصالح عبدالحى ومحمد عبدالوهاب وزكريا أحمد ورياض السنباطى، كما كتبت شهادات ميلاد مطربين صاروا نجوما كبارا مثل فريد الأطرش الذى كانت بدايته مع الإذاعة كعازف عود، كما احتل الفكر والأدب حيزا لا بأس به أمام ميكروفون الإذاعة فخرجت للمستمعين أحاديث لكبار الأدباء والمفكرين والمثقفين والصحفيين فى ذلك الوقت.

## النجاح فى الإذاعة

مع الافتتاح الرسمى للإذاعة المصرية، تكالب عليها المطربون والموسيقيون، خاصة أنها أصبحت الوحيدة الموجودة فى ذلك الوقت، فقرر إسماعيل ياسين أن يتقدم مع من تقدموا إلى هذه الإذاعة يطلب عملاً.

وانعقدت اللجنة وتقدم إسماعيل:

● **أنت مطرب؟!**

– **أيوه مش باين عليا**

● **لا.. باين.. قول هتسمعنا إيه**

صمت إسماعيل للحظة.. راوده فيها حنينه إلى تقديم نفسه كمطرب عاطفى ينافس المطرب محمد عبدالوهاب.. ولكنه تراجع على الفور، خشية أن يتم رفضه كما حدث من قبل، فكان لا بد أن يقتل هذا الإحساس بداخله إلى الأبد ، بدلاً من أن تضيع عليه الفرصة إلى الأبد.

● **إيه يا ابنى.. هتسمعنا إيه؟**

– **هاقول مونولوج**

● **مونولوجست يعنى.. معقول برضه.. قول:**

نجح إسماعيل ياسين فى الامتحان كمونولوجست فى الإذاعة المصرية، وتم الاتفاق معه على أن يذيع أربع حفلات فى كل شهر أو أربعة

مـونـولوجــات، على أن يتـقــاضـى فى كل مــرة أربعــة جنيـهــات أى أنه سيتقاضى ستة عشر جنيهاً فى الشهر!

لم تسع الدنيا كلها فرحة إسماعيل ياسين بهذا الخبر، وكان أول ما فعله أن استأجر حجرة فى بيت متواضع بحى السيدة زينب واشترى بدلة جديدة وقميصاً وحذاء وإن كان لم يشتر أى أثاث لهذه الغرفة، فاضطر لأن ينام على الأرض وقد سبب له ذلك على مدى أيام بعض المتاعب الصحية، لذلك قرر أن يشترى الصحف القديمة ويفرشها على الأرض، وحول سترته القديمة إلى مخدة واشترى "لمبة جاز" صغيرة لتنير له الغرفة فى الليل، وبالرغم من قسوة هذه الحياة، فإنه كان يبدو فى ذلك الوقت فى غاية السعادة، لأول مرة يشعر بأن له بيتاً يأوى إليه ولا يطرد منه.

## طريق المونولوج

بدأ اسم إسماعيل ياسين يتردد على ألسنة الناس، من خلال الإذاعة الحكومية التى أصبح بثها يغطى أغلب محافظات بر مصر، أو على الأقل يضمن إسماعيل أنها تغطى القاهرة كلها، ومن خلال هذا النجاح الذى حققه فى الإذاعة، ينجح فى الالتحاق بإحدى الصالات الكبرى فى شارع عماد الدين، للعمل كمونولوجست، وينتقل من صالة إلى أخرى، مرة بأجر أعلى، وأخرى من خلال صالة أكبر وأكثر شهرة.

لم يكن إسماعيل يستطيع أن يدفع بشكل دائم ومتلاحق أجور من يكتبون له المونولوجات ويلحنونها، فهداه ذكاؤه إلى طريقة كانت فى ذلك الوقت جديدة ومبتكرة، ولاقت نجاحاً كبيراً وشهرة واسعة بين الجمهور، وإن كانت أغضبت بعض كبار المطربين، فإذا كان الجميع قد رفض أن يكون إسماعيل مطرباً عاطفياً، فقرر هو أن يكون مطرباً عاطفياً على طريقته، حيث قام بقلب كلمات الأغانى العاطفية لكبار المطربين وغنائها بطريقته الخاصة، التى ما إن يسمعها الجمهور حتى يضج بالصراخ ضاحكاً، مثل أغنية محمد عبدالوهاب التى تقول: "سهرت منه الليالى.. مال الغرام ومالى" حولها إلى "مال السباق ومالى" وغيرها.

وفى عام ١٩٣٥ أصبح له مونولوجاته الخاصة، التى يقدمها فى الإذاعة، خاصة فى الدورة الإذاعية خلال أشهر "مارس وأبريل ومايو" ومنها: "يا اخواتى مراتى سبور" والتى كتبها له محمد عبدالمنعم "أبو بثينة" ولحنها حسن أبو زيد، ومونولوجات: "الإيجار، النونو عاوز يتجوز، أول يوم فى الشهر" وكلها من تأليف "أبو بثينة" وتلحين رضا إبراهيم، ومونولوج "لبخت" و"العجايز" تأليف مصطفى طوربيد، وتلحين صديقه حمدى سالم، و"ستات اليوم" كلمات مصطفى طوربيد وتلحين رضا إبراهيم ، و"الحشاشين" كلمات عبدالغنى الشيخ وتلحين رضا إبراهيم، و"عربجى" كلمات وتلحين محمد مصلح الحريرى، وكما يبدو من أسمائها فكلها مونولوجات تعالج المشاكل الحياتية للمواطن فى ذلك الوقت.

## غناء ورقص وتمثيل

تحسنت أحوال إسماعيل ياسين عن ذى قبل، فقد بات راتبه من الإذاعة ١٦ جنيهاً فى الشهر، وله غرفة يسكن فيها وبدأ اسمه يتردد على ألسنة الناس من خلال مونولوجاته!

حتى جاء اليوم الذى قرأ فيه إسماعيل إعلاناً فى إحدى المجلات الأسبوعية عن افتتاح مكتب فنى مهمته تقديم المواهب إلى الملاهى المصرية واللبنانية والسورية والعراقية، يديره شخص مصرى اسمه عبدالعزيز محجوب، وشريكه الخواجة "فيناسيون" الذى كان يعمل مدرباً للرقص فى صالة بديعة مصابنى، فتقدم إسماعيل إلى المكتب يطلب عملاً:

**● اسمك إيه؟**

**- إسماعيل ياسين**

**● أنا مسمعتش عن الاسم ده قبل كده**

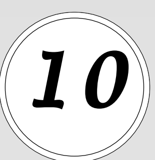
**- طب أعمل إيه أكيد سمعك تقيل**

**● لا خفيف.. انت هتتكت؟!**

**- بنكت وأقول مونولوج وأغنى وأرقص**

**● طب بس بس كفاية.. أهو الأستاذ عبدالعزيز صاحب الشركة وصل.. اتفضل بقى يا خفيف ورينا**

طلب منه عبدالعزيز أن يقدم شيئاً أمامه، وحين غنى إسماعيل وقدم نموذجاً من مونولوجاته أعجب به، وقدمه إلى ملهى يمتلكه ممثل قديم اسمه يوسف عزالدين، وما كاد يوسف يسمعه حتى قال له على الفور أنا مستعد لأن أتعاقد معه بخمسة عشر قرشاً يومياً، وعارض محجوب وطلب أكثر فهو يقول المونولوج ويقدم اسكتشات ضاحكة، ويقول النكت، فهو يستحق ليس أقل من خمسة وعشرين قرشاً فى اليوم، ولكن إسماعيل خاف أن "تطير منه الشغلانة" فتدخل مقاطعاً محجوب ووافق على أن يعمل بهذا المبلغ.



# سيبونى أغنى





بدأ إسماعيل ياسين العمل مع فرقة يوسف عزالدين، التى كانت تقدم روايات مسرحية، وبين الروايات كانت ـ كعادة أغلب مسارح هذه الأيام ـ تقدم فواصل من "الاسكتشات الغنائية" أو المونولوجات أو النكات.

وكعادة أصحاب هذه الفرق أيضاً فى ذلك الوقت، يريدون ممن يعمل لديهم أن يفعل كل شىء، يغنى ويرقص ويقول المونولوج والنكات، ويمثل.. وهذا التمثيل هو ما كان جديداً على إسماعيل ياسين، فقد تعود كثيراً على أن يواجه الجمهور كمطرب يقول المنولوج، أو حتى يدخل مع الجمهور فى "قافية" من خلال النكات، ولكنه أبدا لم يجرب نفسه كممثل.. ولكن ماذا يفعل، فقد طلب منه يوسف عزالدين أن يشترك معهم فى الرواية الجديدة التى تقدمها الفرقة، ولن تكون مشاركته مقصورة على الغناء والمونولوج فقط، بل سيمثل.

ووجد إسماعيل نفسه فى مواجهة مع هذا الوافد الجديد عليه "التمثيل"، فما إن يظهر على خشبة المسرح حتى يضج الجمهور بالضحك، حتى قبل أن ينطق بكلمة واحدة، ما سبب له الرعب فى البداية، غير أن يوسف والعاملين معه فى الفرقة أكدوا له أنه كلما ضحك الجمهور وصفق فهذا دليل نجاح وليس سخرية.

استمر فى عمله مع فرقة يوسف عزالدين قرابة ثلاثة أشهر، يمثل فى

الروايات ويلقى المونولوجات والنكات، إلى أن حدث ذات يوم أن كان يمثل فى رواية من روايات الفرقة، وكان المشهد أمام صاحب الفرقة يوسف عزالدين، الذى اندمج فى التمثيل ولم يدر بنفسه وهو يدفع بإسماعيل دفعة قوية - وكان رجلاً ضخماً يزن أكثر من ١٢٠ كيلو جراماً - فوقع إلى أسفل خشبة المسرح فى الصالة، ورغم أن إسماعيل أصيب فوراً فى وجهه ويديه وببعض الرضوض فى جسمه، فإن الناس ضجوا بالضحك، واعتبروا ما حدث جزءاً من مشاهد الرواية.

غير أن إسماعيل ثار غاضباً، وخرج إلى ما وراء الكواليس ليلعن أبو "التمثيل" ومن يمثلون، وكانت مشادة حامية بينه وبين صاحب الفرقة يوسف عزالدين، الذى قرر على الفور طرده، دون أن يدفع له أجر يومين، أى أنه أكل عليه ثلاثين قرشاً بالتمام والكمال.

## استوديو مصر

فى العام ١٩٣٥ أنشأ الاقتصادى الكبير طلعت حرب أكبر استوديو فى تاريخ مصر والشرق - فى ذلك الحين - كأول مدرسة حقيقية للتقنية السينمائية، فقد حرص على أن يكون الاستوديو متكاملاً، فقرر إنشاء وإدارة دور العرض والمختبرات (المعامل) وحشد وصقل الخبرات واستغلالها فى كتابة وإنتاج أفلام تسجيلية وإعلانية قصيرة، كان يصقل الخبرات ويجهزها للإنتاج الروائى الضخم، وبدأ يحشد لهذه الأعمال ويختار كبار الممثلين والمطربين الموجودين على الساحة الفنية فى ذلك الوقت، وكان جميعهم من المسرحيين أو الذين يعملون فى الفرق المسرحية، كتلك التى كره إسماعيل ياسين الاستمرار فيها، ليس هذا فحسب، بل إنه كره التمثيل، أو على وجه الدقة، كره التمثيل على هذه الشاكلة.

خرج إسماعيل ياسين من فرقة يوسف عزالدين لاعناً التمثيل والممثلين، واتجه من فوره إلى مكتب المتعهد عبدالعزيز محجوب وشريكه اللذين طيبا خاطره، ووعداه بأن يلحقاه بعمل جديد فور الشفاء من جروحه وكدماته.

وكانا بالفعل عند وعدهما لإسماعيل، فلم يمر أسبوع إلا وكانا قد تعاقدا له على العمل مع فرقة "حورية محمد".. وكانت من أشهر الراقصات وصاحبات الفرق فى الثلاثينيات وكانت فى ذلك الوقت بالذات تستعد لافتتاح كازينو جديد باسم "تياترو مونت كارلو" بمدينة الإسكندرية، وتحتاج إلى أن تحشد لهذا "التياترو" عدداً كبيراً من المطربين والمونولوجستات والراقصات، وما إن عرض عليها عبدالعزيز محجوب هذا المونولوجست الجديد حتى وافقت عليه على الفور ودون أن تعرف اسمه.

وفرح إسماعيل بهذا التعاقد الجديد، خاصة أنهما استطاعا هذه المرة أن يتعاقدا له بمبلغ عشرين قرشاً فى الليلة، وأنه سيعمل فى الإسكندرية، التى لم يرها من قبل.. وكان قد سمع الكثير عن الفن والفنانين بها.

## مع حورية فى إسكندرية

فى أول قطار اتجه إسماعيل ياسين إلى الإسكندرية، وبالرغم من كونها مدينة ساحلية، وتطل على البحر تماماً مثل مدينته السويس، فإنها تختلف تماماً عنها، فلم تكن تشبهها فى شىء، بل إن الحياة فيها تختلف تماماً، وربما عن القاهرة أيضاً بكل ما فيها من سحر خاص يختلف عن بقية مدن مصر.

وكان أول ما فعله إسماعيل هو البحث عن مكان يسكن فيه طيلة فترة عمله مع فرقة "حورية محمد"، فقام باستئجار غرفة فى "بانسيون " كانت تمتلكه سيد يونانية متزوجة من مصرى يمتلك أسفل "البانسيون" محل "مكوجى" لكىّ الملابس، ومنذ الليلة الأولى لإقامة إسماعيل فى "البانسيون" صادق زوج صاحبة البنسيون، واقترب منه كثيراً، وعرف أنه فنان يقدم المونولوجات على خشبة المسرح، ووجه له إسماعيل الدعوة لحضور برنامجه فى "التياترو" وما إن رآه الرجل على خشبة المسرح يغنى ويقدم النكات حتى زاد حبه له، وأصبح صديقاً مقرباً له، واستفاد

إسماعيل كثيراً من هذه الصداقة، بأن قرر الرجل أن يقوم بكى ملابس إسماعيل طيلة فترة إقامته فى إسكندرية مجاناً.

لم يكن الراتب الذى كان إسماعيل يتقاضاه من فرقة "حورية" - ستة جنيهات فى الشهر - يكفى لدفع أجرة البانسيون والطعام والشراب، ولكى يستطيع أن يعادل الإيراد مع المصروف، اتفق مع صاحب مطعم بجوار الكازينو يملكه رجل فتوة يدعى "على القداح"، أن يتعامل معه:

**● هو مفيش تعامل مع المحل بالشهر**

**- ممكن.. بس فى الحالة دى يا خفيف المعلوم هيزيد حبتين**

**● مفيش مشكلة.. إلا قوللى يا معلم مفيش عندك فى المحل أكل بنى آدمين**

**يسحب المعلم "السكين" ويشهرها فى وجه إسماعيل**

**- إيه.. بتقول إيه يا "بقو" أنت**

**● لأ ولا حاجة.. أصل أنا شايف المحل مليان كلاب وقطط.. وأنت عمال ترمى لهم اللحمة..**

**- علشان أورى الزباين "الجعرات" إن اللحمة مفيهاش حاجة وبتتاكل أهه**

كانت مأكولات هذا المطعم سيئة، وقلَّ أن يتناولها إنسان وكان صاحب المطعم يعامل زبائنه بالقوة والضرب إذا ما اعترضوا على ما يقدمه لهم ويجبرهم على دفع الحساب، سواء أكلوا أم لا!!

ومع ذلك فقد رضى إسماعيل بأن يأكل عنده لأنه وافق على أن يدفع له حسابه فى آخر الشهر.

ووقع ما كان يخشاه إسماعيل.. فى آخر الشهر عجز عن دفع أجرة البانسيون، ولم يكن هذا يشغله، إنما كيف يدفع للمعلم "على القداح" ثمن الطعام الذى أكله طوال الشهر، ولولا صديقه زوج صاحبة

"البانسيون" لكان إسماعيل ياسين راح طعاماً لقطط وكلاب محل المعلم "على القداح"!

وبينما كان إسماعيل يشكو ضيق حاله لمجموعة من الزملاء الذين يعملون معه فى الفرقة، أوعزوا له بفكرة قد يكون فيها حل لكل مشاكله المادية، وهى أن يلعب فى "سباق الخيل" فمنهم من يربح يومياً جنيهين وثلاثة جنيهات، وربما يضرب حظه ويكسب الجائزة الكبرى..

## الجمهور يهتف باسمه

حظ إسماعيل العاثر جعله يخسر وظل يخسر، بل إنه لم يربح أبداً، ما زاد من تراكم الديون عليه، ولكنه فى الوقت نفسه كان يكسب كل يوم فنياً، وكانت الجماهير تأتى لكى تشاهده وتسمعه، وأصبح لأول مرة هناك جمهور حقيقى يأتى خصيصاً من أجل الاستمتاع بفن إسماعيل ياسين.

وحدث ذات مرة أن كان عصبى المزاج بعد أن خسر فى السباق كل ما كان فى جيبه، وقبل أن يبدأ فقرته راح "عازف القانون" يفاتحه فى خطأ حدث بالأمس أثناء فقرته، ولم يتحمل إسماعيل أن يحدثه الرجل فى ذلك الأمر، وعلى الفور دخل معه فى معركة كلامية على المسرح أمام الجمهور، ولم يلحظ إسماعيل أن الجمهور يضج بالضحك وسعيد جداً بوجوده، وما إن انتهى من وصلة "الشتائم" لعازف القانون، حتى ترك المسرح غاضباً ودخل إلى الكواليس، وكانت المفاجأة التى لم يتوقعها أحد.. ولا حتى إسماعيل ياسين نفسه..

لأول مرة فى حياته الجمهور يهتف له مطالباً بعودته:

**- عاوزين سمعة..**

**- سمعة.. سمعة..**

**- لأ.. لأ عاوزين سمعة**

حاولت حورية محمد - بوصفها نجمة الفرقة الأولى - أن تهدئ

الجمهور فخرجت بسرعة لتقدم واحدة من رقصاتها الشهيرة والتى كانت تنال كل الإعجاب.. فقط قبل هذه الواقعة، فخرجت إلى الجمهور وهى تعتقد أن الجمهور فور ظهورها على خشبة المسرح، سيصفق لها ولن يطالب بظهور إسماعيل ياسين أو عودته إلى خشبة المسرح، ولكن العكس هو الذى حدث، فما كادت حورية تظهر حتى زاد ضجيج الجمهور وزادت مطالبته بأن يعود إسماعيل ياسين لكى يكمل نمرته، وكاد الجمهور يحطم الكراسى، بل كاد يحطم التياترو نفسه!!

كان إسماعيل فور نزوله من فوق خشبة المسرح قد اتجه على الفور إلى حجرة تبديل الملابس، ولم يسمع أصوات الجماهير الغاضبة وهى تهتف باسمه وتطالب بعودته، وراح يخلع الملابس التى يظهر بها على المسرح.

كان قد انتهى من خلع ملابس المسرح ومازال بملابسه الداخلية فقط، لكنه رأى ذراعين تمتدان من خلال الباب تحملان مسدساً، تطلع إسماعيل وهو يرتعد ليرى أن الذى كان يحمل المسدس هى سيدة بدينة جداً يكفى أن تضربه بيدها لتقتله دونما حاجة إلى مسدس. وعرف أنها "الست نرجس" والدة صاحبة التياترو حورية محمد:

**● مين!! إيه ده يا نهار أُسكت (يا نهار أسود) مسدس.. يا عمتى!!**

**– أنت بوظت نمرة بنتى.. وما ينفعش معاك غير القتل**

**ارتجف إسماعيل خوفاً:**

**● وتقتلينى ليه.. أنا تحت أمرك.. اعملى اللى أنت عاوزاه**

**– أنا لازم أشرب من دمك.. وأكسر ضلوعك زى ما الجمهور كسر الصالة**

**● وأنا مالى ياعم.. قصدى يا عمتى**

**– وأنت مالك إزاى.. الجمهور عمل كده علشانك**

**لم يصدق إسماعيل نفسه**

**● علشانى أنا؟!**

**- أيوه.. علشان كده تطلع الأول تخلص نمرتك.. وبعدين تيجى أخلص أنا عليك**

**● حاضر.. بس بشويش**

**وأشهرت المسدس فى وجهه**

**- امشى اطلع..**

**● طب ألبس بس هدومى**

**- على بال ماتلبس هدومك يكون الجمهور كسر الصالة اطلع كده!**

وخشى إسماعيل أن تضربه بالمسدس بالفعل، وهرع إلى المسرح وهو بملابسه الداخلية وعاد ليغنى أمام الجمهور.. وأكمل وصلته الغنائية، بل وغنى أكثر من مونولوج زيادة على وصلته، والجمهور يستزيده ويطلب منه الإعادة.. فغنى كما لم يغن من قبل.

بالرغم، من هذا النجاح الكبير الذى حققه إسماعيل، ولمسته كل من حورية محمد ووالدتها، فإن الست نرجس أمرت بطرده من العمل فور نزوله من على خشبة المسرح.

خرج إسماعيل من كازينو "مونت كارلو" فى الإسكندرية وقد اسودت الدنيا فى وجهه من جديد، وحين ذهب إلى البانسيون طردته السيدة اليونانية، ولم يشفع عندها تدخل زوجها للتوسط لديها لكى يستمر، وكل ما فعلته شفاعة زوجها أن تركته يأخذ ملابسه ولم تحجزها لحين دفع الأجرة المتأخرة، فحمل أمتعته وخرج على غير هدى، لا يعرف إلى أين سيذهب، والأهم عنده أن يبتعد بسرعة عن البانسيون والشارع بأكمله، حتى لا يقع فى أيدى المعلم على القداح، صاحب المطعم، وكان المعلم قد عرف بطرده من فرقة حورية محمد.

وحدث ما كان يخشاه إسماعيل.. فما كاد يخرج من باب "البانسيون" حتى وجد المعلم قداح فى وجهه:

**● على فين يا أبو السباع..**

**– أبداً أنا كنت نازل أتمشى شوية على الكورنيش..**

**● تتمشى على الكورنيش بشنطة هدومك**

**– متخدش فى بالك.. أنا واخدها معايا علشان أعمل شوية رياضة وأنا ماشى.. ما تيجى معايا**

يمسك المعلم حقيبة إسماعيل بيد.. ويسحبه باليد الأخرى.

**● لا.. أنت اللى هتيجى معايا.**

لم يكن فى جيب إسماعيل ياسين فى ذلك الوقت سوى بضعة قروش، حاول إسماعيل أن يعطيها للمعلم "قداح" ولكنه لم يقنع بها، ولوح له بأنه يمكن أن يأخذ بقية نقوده بـ "السكين"، وارتعب إسماعيل، وعرض عليه أن يترك لديه حقيبة ملابسه وكان فيها الطقم "السموكنج" الذى يقدم فيه نمرته على خشبة المسرح لحين إحضار بقية نقوده إليه.

وللمرة الثانية ينقذه صديقه زوج صاحبة "البانسيون"، حيث ذهب إليه إسماعيل واقترض منه مبلغاً من المال، دفع منه بقية حساب المعلم قداح، وحجز تذكرة فى القطار المتجه إلى القاهرة.

## كازينو بديعة

عاد إسماعيل ياسين مرة أخرى إلى القاهرة، وفور وصوله استأجر غرفة فى أحد "بانسيونات" شارع عماد الدين، ولم ينتظر إلى أن يرتاح من عناء السفر، وضع حقيبته فى الحجرة، وخرج فى اليوم نفسه يبحث من جديد عن عمل.

قبل خروجه علم من أحد جيرانه فى البانسيون ـ وكان أغلبهم من الفنانين والفنانات ـ أن بديعة مصابنى تستعد لافتتاح الموسم الشتوى، وأنها تبحث عن فنانين جدد، فتوجه على الفور إلى صالة بديعة، وما إن وصل حتى وجدها تجلس أمام باب "التياترو" تدخن "النارجيلة" رفعت عيناها فوجدته يقف متردداً أمامها:

**● أنت مين.. وعايز إيه؟**

**– محسوبك المونولوجست إسماعيل ياسين.. يا ست!**

**● عمرى ما سمعت بيك.. مش مهم.. المهم عاوز إيه؟**

**– عاوز أشتغل.. أنا مونولوجست كويس**

**● مش أنت اللى تحكم.. أسمعك فى الأول.. معاك نوتة موسيقية**

أخرج النوتة من جيبه، أخذتها، وأعطتها إلى عازف البيانو.. ودخلت مع إسماعيل إلى الملهى.. وطلبت منه أن يغنى أمامها.

غنى إسماعيل، وهزت بديعة رأسها فقد وجدت فيه فناناً جيداً، نادت ابن شقيقها أنطوان عيسى الذى كان مديراً لصالتها:

**● يا أنطوان**

**– نعم يا ست الكل**

**● امضى مع أخينا ده.. قولتلى اسمك إيه**

**وعيناه تلمعان**

**–● إسماعيل ياسين**

**● امضى معاه عقد**

**صمتت لحظة تفكر فى قيمة العقد**

**● امضى معاه عقد بتمانية جنيه فى الشهر.**

وظهر إسماعيل ياسين على مسرح كازينو بديعة مصابنى، ومنذ أول يوم ظهر فيه قوبل بالإعجاب والتصفيق، وكان يلقى فى كل ليلة خمسة مونولوجات ورغم أن المونولوجست الأكثر شهرة فى ذلك الوقت سيد سليمان.. كان يعمل فى الكازينو نفسه، إلا أن الناس أخذوا يعقدون مقارنات بينه وبين إسماعيل وبدأ بعضهم يفضل هذا، وبعضهم ذاك، وهذا معناه أن إسماعيل بدأ يحقق وجوده بشكل قوى ويفرض نفسه على الجميع.

كان المفروض أن يكون هذا النجاح موضع تقدير مدير الملهى أنطوان عيسى، ولكن لم يمر أسبوع حتى فوجئ إسماعيل بأنطوان يقول له:

**● الست بديعة مبسوطة منك كتير قوى. بس ظروف الفرقة متقدرش دلوقت تتحمل مرتبك الكبير**

**- وهو تمانية جنيه مرتب كبير قوى؟!**

**● إيه مش عاجبينك**

**- عاجبنى يا سيدى أنا اتكلمت**

**● آه بحسب.. علشان كده الست بتقولك ريح شويه اليومين دول**

**- مش فاهم.!**

**● من الآخر مستغنية عن خدماتك**

من جديد تساقطت دموع الألم من عينى إسماعيل ياسين.. فحين لمع اسمه، وأصبح منافساً لأخطر مونولوجست فى ذلك الوقت، تم الاستغناء عن خدماته، وعاد إلى الشارع ليبحث عن لقمة العيش!

## رحلة إلى الشام

فى الليلة نفسها التى خرج فيها باكياً من كازينو بديعة، وما كاد يعود إلى غرفته فى البانسيون وهو يضرب أخماساً بأسداس، حتى فوجئ بمن ينتظره فى الصالة:

**● أستاذ إسماعيل ياسين**

**- أستاذ؟!.. الله يجبر بخاطرك**

**● أنا جاى من طرف الأستاذ أمين عطا الله، وهو عاوز يقابلك فوراً.**

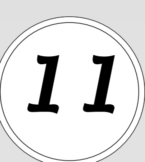
وكان أمين عطا الله فى ذلك الوقت من أشهر نجوم الكوميديا، ومن أشهر أصحاب الفرق المسرحية، وفى ذلك الوقت كان يقوم بتكوين فرقة جديدة لتسافر معه للعمل فى لبنان..

**●● أهلين أستاذ إسماعيل.. بدون مقدمات نحنا بنكون فرقة مسرحية جديدة من شان تروح ع الشام.. بتقدم رواياتها ببيروت.. شو رأيك؟**

**- ودى عايزة رأى.. موافق طبعا يا أستاذ**

**●● الله بيبارك.. وقع العقد..**

وخلال أيام كان إسماعيل ياسين فى أول باخرة متجهة إلى بيروت.



# الصيت ولا الغنى





لم يكد إسماعيل ياسين يحط رحاله فى بيروت حتى تعرض لتجربة قاسية، فقد حدث أن تاه عن الفرقة، فقط هو يعرف اسم البانسيون، ولكن لا يعرف مكانه، وعلى الرغم من ترحاله من مكان إلى آخر منذ طفولته، فإنه شعر لأول مرة بالغربة، والخوف.. وسيطر عليه الجوع، فاتجه إلى أقرب بانسيون ووضع فيه حقائبه بشكل مؤقت، وقصد أقرب مطعم ليأكل أولاً، ثم يبحث عن الفرقة.

وكان مطعم سمك، فطلب أشهر الأنواع مما شاهده فيه من مشويات ومقليات، وراح يطلب كل ما لذ وطاب من أنواع الأسماك الطازجة، وحين فرغ من طعامه نادى الجرسون:

● **الحساب كام من فضلك!**

– **تلات ليرات سيدى.. تكرم عينك**

وكانت الثلاث ليرات توازى فى ذلك الوقت ستين قرشاً مصرياً، ولم يكن فى جيب إسماعيل سوى خمسة عشر قرشاً، كان يعتقد أنها تكفى ويدفع أيضاً منها البقشيش، أخذ إسماعيل يفكر فى مخرج من هذه الورطة وهو يقلب "جيوبه" ثم يعيدها ثم يقلبها من جديد، ولكن دون جدوى فقد كان يعرف جيداً أنه لا يملك سوى هذا المبلغ.

وفكر فى أن يطلق ساقيه للريح ولكن أدرك صعوبة ذلك لأن عدداً من

جرسونات المحل كانوا قد التفوا حوله عندما لاحظوه وهو يقلب "جيوبه" بما يعنى أنه مفلس، ثم حتى لو هرب فإلى أين؟ فهو لا يعرف مكاناً فى بيروت ولا شارعاً فهو يأتى إليها لأول مرة.

ولذلك لم يجد مجالاً سوى أن يقول للجرسون:

**● ما معييش إلا ١٥ قرشاً مصرياً إيه رأيك؟**

**- شو خمستاشر قرش؟!!.. العمى.. ما بتفهم بقولك تلات ليرات**

وأمسكه جرسون من يديه واستدعى آخر صاحب المطعم الذى ما كاد يعرف الحكاية حتى قبض على رقبة إسماعيل وبدأ يصرخ فيه.

**●● بتعرف تملا كرشك.. بس ما بتعرف تدفع مصارى.. مو هيك؟**

وانهال على وجه إسماعيل بصفعة قوية.. أتبعها بركلة، وحذره من أن يرى وجهه بعد ذلك فى بيروت كلها.

هرع إسماعيل إلى البانسيون وأخذ حقائبه، وراح يسأل عن "بانسيون أم إلياس" حيث نزلت الفرقة، واستطاع بعد بحث استغرق اليوم كله أن يصل إليه، وما إن دخل إلى البانسيون حتى طلب من أمين عطا الله أن يعود إلى مصر..

أخذ أمين عطا الله يهدئ من روعه بعد أن استمع إلى ما حدث له، وأفهمه أن هناك نظاماً تسير عليه فرقته، ولأنه جديد عليهم لم يعرف النظام، فالفرقة لا تنزل فى أى بانسيون إلا فى بانسيون "أم إلياس" ولا يأكلون إلا فى مطعم "أبو عفيف" فقط، الموجود فى ساحة البرج.. ثم راح يطيب خاطره.. وتدخل سائر أعضاء الفرقة، حتى هدأت نفس إسماعيل ووافق على أن يبقى فى بيروت مع الفرقة.

## مسارح بيروت

كانت الحركة المسرحيّة فى بيروت أثناء الانتداب الفرنسى تأخذ أشكالاً ومظاهر متنوعة، وذلك رغم استمرار عرض مسرحيات كركوز وعيواظ فى مسرح "خيال الظل" فى بعض المقاهى، وفى شهر رمضان،

كان ينتشر هذا النوع فى المقاهى مثل مقهى "القزاز" فى ساحة البرج، ومقهى "البسطة" و"السور"، وغيرها، فضلاً على المسارح الصغيرة التى كانت موجودة بالكازينوهات، وكان يطلق عليها أيضاً "تياترو".

فى خضم الأحداث السياسيّة التى شهدتها بيروت والمنطقة العربيّة آنذاك، تصاعدت الرغبة فى التحرر وكان الاتجاه نفسه الذى نشره وأكده الشيخ سيد درويش فى مصر، ومن تبعه يأخذ الشكل نفسه فى بيروت وكل مدن الشام تقريباً، وبتكرار سفرها للشام أدركت الفرق المسرحية المصرية تقدير جمهور بيروت للفن المسرحى الراقى، فكانت بيروت محطة لا بدّ منها لتلك الفرق، فقدمت فيها أقوى مسرحياتها وأشهرها، ولم تكن فرقة أمين عطا هى أولى الفرق التى فتحت الباب، بل سبقتها فرقة جورج أبيض، التى قدمت على مسرح الكريستال ومسرح زهرة سوريا، مسرحياتها الشهيرة: "لويس الحادى عشر، والحاكم بأمر الله، والمرسيلية الحسناء، ومضحك الملك، والبطل عطيل" وغيرها من المسرحيات.

بعده تبعه العديد من الفرق المسرحية، وكان فى بدايتها وعلى رأسها فرقة الأخوين "سليم وأمين عطا الله"، حيث لم تكن تلك الفرقة هى الأولى التى تحضر إلى بيروت، فقد سبقها فى العشرينيات من القرن العشرين اتفاق مع فرقة نجيب الريحانى وعزيز عيد، وكانت فرقتهما من أشهر الفرق الهزلية فى ذلك الوقت، وعقد الأخوان عطا الله معهما اتفاقا على سفر الفرقة، وقدما فرقة جيدة فى بيروت باسم "جوق كشكش بك" والتى لقيت إقبالاً كبيراً، وقدمت "الجوقة" العديد من الأعمال الناجحة، مثل مسرحية الملك كشكش، فى مسرح "زهرة سوريا"، وكان يتخللها أيضاً فواصل غنائية، كما كانت تخصص بعض الحفلات لأولاد المدارس.

وقدمت "الجوقة" العديد من الروايات الهزلية مثل: "كشكش بك فى الاستحكامات، مدرسة الغرام، أبو شادوف، كشكش أمام المجانين، روميو وجولييت، شد حيلك، رن، يا أحلاهم، ويا ما أنت واحشنى" وغيرها.

كما عرفت بيروت فرقا أخرى للتمثيل كان من بينها فرقة "إخوان عكاشة" لصاحبها زكى عكاشة وشركاه، التى قدمت عدة مسرحيات على مسرح الكريستال، الذى شهد أيضاً العديد من الفرق الأخرى مثل فرقة على الكسّار، وغيرهم قبل أن يعود أمين عطا الله فى العام ١٩٣٦ بفرقة جديدة اصطحب فيها لأول مرة المونولوجست الناشئ إسماعيل ياسين، وضمت الفرقة إلى جانبه عددا من الفنانين المشهورين فى ذلك الوقت منهم المطرب إبراهيم حمودة، والمطرب حسن سلامة والمطربة فتحية محمود والفنانة مارى جورج، وأضيف إليهم عدد من فنانى لبنان.

كان الاتفاق بين أمين عطا الله وكل أعضاء الفرقة الذين أتى بهم من مصر أن يقوم أمين بالتكفل بكل شىء خاص بالفرقة، منذ لحظة مغادرتها مصر، ووصولها إلى بيروت، من مأكل وملبس ونوم.. أى إقامة كاملة شاملة، فضلا على الراتب الذى سيدفعه لكل منهم فى نهاية كل شهر طالما أن الفرقة مستمرة فى عروضها.

قدمت الفرقة عروضها على كازينوهات ومسارح بيروت، وكانت تلقى نجاحا كبيرا، وذاع صيتها فى بيروت كلها، ومن خلال هذه العروض أصبح إسماعيل ياسين هو "فاكهة الفرقة" فقد استطاع أن يثبت ذاته ويحقق نجاحا غير عادى، للدرجة التى أصبح فيها هو "العمود الأساسى" فى الفرقة، ولو أنه لوح فقط بأنه يمكن أن يعتذر يوما يقرر أمين عطا الله ألا تقدم الفرقة عروضها فى هذا اليوم، لأنه بات على يقين أن أغلب الجمهور الذى يحضر.. يأتى أولا من أجل إسماعيل ياسين، على الصيت الذى حققه.

## النجاح بلا ثمن

بالرغم من كل هذه النجاحات التى حققتها الفرقة، وعلى الرغم من إحساس أمين عطا الله بأهمية إسماعيل ياسين تحديدا، فإنه لم يكن يدفع له ولا لأحد من أعضاء الفرقة راتبه، طيلة شهرين كاملين، حيث كان يماطل ويسوف، وكلما سأله إسماعيل أو أى من أعضاء الفرقة:

**● والله الفـرقة عم بتـخسـر.. و"المصـارى" مـا بتكفى.. بانسـيون، وأكل ومناظر وملابس الرواية**

**-بتخسر إزاى وإحنا مش ملاحقين على العروض**

**● إيه بعرف.. لكن المصاريف أكتر**

**- طب شوف أى مبلغ إحنا بقالنا شهرين على ده الحال**

**● بيسويها الله**

لم تفلح جهود إسماعيل ياسين الملحة فى الحصول ولو على جزء من أجـره، لذلك صـمم ذات يوم أن يحـرج أمـين عطا الله ويأخـذ منه راتب الشـهرين.. وإلا فلن يستمـر بعد اليوم فى الفرقة وأن يعود إلى مصـر، ولأنه يعـرف أن التـهديدات لم تعد تفلح مـعـه، ينتـهى الأمـر بأن يخـجل إسـماعيل من كلام أمين عطا الله الجميل الذى يجعل من يتحدث إليه يعطيه نقوداً بدلاً من أن يأخذ منه، فقـرر أن يقوم بحيلة تزيح عنه هذا الخجل، وفى الوقت نفسه تكون ورقة ضغط قوية على أمين دون خجل.

دخل إسـمـاعـيل ياسـين إلى أحـد البـارات الموجـودة فى بيـروت، وراح يفـرط فى الشـرب حتى أصبح ثمـلاً تماماً، وعاد إلى المسـرح وهو يتـرنح يميناً وشمالاً واقترب من أمين عطا الله:

**● اسمع يا أستاذ أمين.. لو مـدفعتليش مـرتب الشهرين دلوقت هسـافر مصر فوراً .. يا الدفع يا السفر.. مفيش تالت**

**- هيك.. هيك بيكون الحكى**

**● مفيش غير هيك حكى**

**- لكن ما بيسير ها الحكى.. بتخلص نمرتك عالمسرح وبعدين بنحكى**

**● مفيش نمرة.. وكمان مفيش مسرح.. يا الدفع يا السفر.**

وحاول أمين عطا الله أن يهدئه ويعيده من جديد لكن إسماعيل صرخ:

**● مش عـايز أسـمع أى كـلام.. وكمان علشـان تبـقى عـارف أول مـا أنزل مصر.. هفضحك فى كل حته.. وانك بتـاخد الفرق لبيروت ومـا بتدفعش لهم أى فلوس.. وابقى قابلنى لو فنان سافر معاك بعد كده.**

بدأ أمين عطا الله يضطرب.. واضطرب أكثر حين قال إسماعيل:

● **وعلشان تبقى عارف أنا مش هسافر لمصر لوحدى.. أيوه كلنا مع بعض.. يعنى مش هيفضل معاك ولا واحد من الفرقة.**

شعر أمين عطا الله بالحرج والخوف فى الوقت نفسه، ولم يعد يتحمل ضغوط إسماعيل ياسين عليه أكثر من ذلك، فقد أدرك أنه هذه المرة جاد، وخاف أن يفعل ما هدد به وهو فى هذه الحالة من السُكر، وأن يفعل ما قاله، فأخرج على الفور من جيبه راتب شهرين وأعطاه لإسماعيل، فى مقابل أن يستمر فى عمله مع الفرقة ولا يسافر، ذلك لأن إسماعيل ياسين فى ذلك الوقت كان ناجحاً جداً فى عمله مع الفرقة، بل سار من أهم أعضائها، ولكن إسماعيل لم يقنع بأن يتقاضى وحده راتبه دون بقية أعضاء الفرقة الذين هدد بأن يسافروا معه إلى مصر، واعترض أمين على ذلك، مؤكداً لإسماعيل أنه سوف يرتب معهم هذا الأمر فيما بينهم، رفض إسماعيل وأصر على موقفه، فما كان من أمين إلا أن رضخ لضغوط إسماعيل مرة أخرى، وعلى مضض وافق أن يعطى كل فرد من أفراد الفرقة دفعة من راتبه "تحت الحساب" لحين تسوية الحسابات.. هنا فقط وافق إسماعيل على هذا الحل.. وقرر الصعود إلى خشبة المسرح.

## طعم الشهرة

كان إسماعيل ياسين قد كسب فى ذلك الوقت جمهوراً كبيراً، وأصبح مشهورا وعرف فى بيروت تماماً وهذا ما أثار بعض الحقد والغيرة بينه وبين زملائه فى الفرقة. حتى إن فتحية محمود وكانت مونولوجستاً مشهورة فى الفرقة، ويبدو أنها غارت من النجاحات التى يحققها إسماعيل ياسين بشكل متواصل، ومن إلحاح الجمهور عليه فى كل ليلة حتى يعيد ما يلقيه عليهم من مونولوجات، ما سبب لها ضيقاً شديداً منه، ولم يكن هناك سبب واضح عندما هجمت عليه ذات مرة وحاولت أن تعتدى عليه بدون سبب، ووقف إسماعيل صامتاً يتلقى الشتائم

واللعنات، بل وتطاولها عليه باليدين، ولم يرفع صوته ولا يديه ليرد لها الإهانة، فمنذ أن شاهد والدته المسكينة الراحلة وهى تتلقى صنوف العذاب من والده من ضرب وإهانة، وقد أقسم بداخله ألا يمد يده يوماً على امرأة قط مهما تفعل، وكان رد فعله الوحيد أنه استاء من تصرفاتها هذه، وبدأ يجمع أغراضه مصراً على العودة إلى مصر، إلا أن أمين عطا الله تدخل على الفور، وما كان منه إرضاء لإسماعيل إلا أن طلب من فتحية محمود أن تترك الفرقة وتعود إلى القاهرة مستغنياً عن دورها، ولكن شهامة إسماعيل أبت ألا يترك أمين يفعل بها ذلك، ورفض ذلك رفضاً قاطعاً، قائلاً إنهم جميعا أتوا معا من مصر، وإذا كان ولابد فليرحلوا جميعاً، مؤكداً أنه سيسافر قبلها إذا رحلت، وتأثرت فتحية محمود من تصرف إسماعيل النبيل، واعترفت له بأنها أخطأت بحقه وأنها بالفعل شعرت بالغيرة توغر صدرها من النجاح السريع الذى حققه، وأن أعضاء الفرقة هم الذين شحنوها ضده، لأنهم جميعاً يغارون من نجاحه وأنه أصبح المحرك الأساسى للفرقة.

بقدر ما أسعد إسماعيل أن يسمع أنه أصبح ناجحاً، وأن نجاحه مؤثر لدرجة أن يغار منه جميع أعضاء الفرقة، وبينهم من يسبق إسماعيل بسنوات طويلة فى هذا المجال، بقدر ما أحزنه أن يكون هذا موقف زملائه منه.

## قسوة حلب

استمرت الفرقة فى عملها لمدة أربعة أشهر، زارت خلالها أغلب مدن لبنان وسوريا، حيث زارت طرابلس ودمشق واللاذقية، وأقامت بعض الحفلات فى زحلة وبعضها فى صيدا.. حتى انتهى عقد الفرقة وعادوا جميعاً إلى القاهرة، باستثناء إسماعيل الوحيد الذى لم يعد مع الفرقة، لأنه كان قد اتفق مع صاحب ملهى "الباريزيانا" فى بيروت على أن يعمل لديه فى الملهى مقابل أجر كبير، فوافق إسماعيل وبقى فى بيروت.

مرت عدة أيام وإسماعيل يحقق نجاحات جديدة فى عمله، وبينما هو

عائد يوماً إلى بانسيون "أم إلياس" الذى استمر مقيماً فيه على نفقته بعد انتهاء عقده مع أمين عطا الله، وجد شخصاً لم يعرفه من قبل وقدم له نفسه:

**● محسوبك زكى الضاهر صاحب ملهى "اللونا بارك" فى مدينة حلب**

**- أهلاً وسهلاً.. تشرفنا**

**وقبل أن يتحدث الرجل فى أى شىء، أخرج بسرعة عقداً من جيبه:**

**● اتفضل حبيبى وقع هون**

**- أوقع على إيه.. مش أعرف الأول إيه الحكاية**

**● وقع حبيبى وقع.. أنت الست أم إسماعيل والدتك دعت لك**

**- أنا عارف.. بس أوقع على إيه**

**● هايدا عقد للعمل فى الملهى تبعى.. تفضل شوف**

وفور أن نظر إسماعيل فى العقد وجد أن أجره فيه أربعة أضعاف الأجر الذى يتقاضاه فى بيروت فى ذلك الوقت، ولم يتردد ووقع العقد، وطلب مهلة لمدة أسبوع لإنهاء تعاقده مع أصحاب ملهى "الباريزيانا" وتصفية موقفه وحساباته، وما إن انتهى الأسبوع حتى غادر على الفور بيروت إلى مدينة حلب، لينزل هناك فى بانسيون تملكه سيدة عجوز تدعى "آيلين".

فى حلب ارتاحت نفس إسماعيل، فالراتب كبير، والملهى رائع، وهو عبارة عن حديقة كبيرة وأشجار منارة بالثريات الكهربائية والموائد نظيفة.

ودعاه صاحب الملهى قبل أيام من عمله إلى سهرة فيه، ويومها قدمه إلى مطربة صغيرة كانت تعمل عنده ووصفها بصاحبة الصوت الذهبى وكان اسمها الكسندرا بدران، والتى أصبحت فيما بعد الفنانة المطربة "نور الهدى".

واهتم زكى الضاهر بإسماعيل ياسين اهتماماً كبيراً، وأعد له دعاية

شملت كل مدينة حلب وكتب اسم المونولوجست المصرى إسماعيل ياسين على مدخل "اللونا بارك" بالأضواء ووضعت صورة كبيرة على باب الملهى.

وجاء يوم الافتتاح، امتلأت الحديقة الكبيرة التى تشبه ملعب كرة القدم بالجمهور، لدرجة أنه لم يبق هناك موضع لقدم، وكان الجميع ينتظرون ظهور النجم المصرى الكبير إسماعيل ياسين.

وكان إسماعيل ياسين فى عز زهوه وهو يشاهد هذه الجماهير الغفيرة وحين أطل على المسرح دوى التصفيق هادراً، وسمع إسماعيل الهتافات باسمه وبكى من شدة التأثر بدموع حقيقية وهو ينحنى مرات ومرات أمام الجمهور الكبير وتطلع إلى الكواليس ليجد زكى ضاهر وهو فى غاية السعادة وسمع صوته وهو يقول له:

- **مبروك يا إسماعيل.. ألف مبروك.. هايل**

وعندما هدأت عاصفة التصفيق وبدأت الموسيقى تعزف.

وألقى إسماعيل مونولوجه الأول.. واختتم المونولوج فلم يسمع تصفيق الجمهور، وأصاب إسماعيل حالة من الذهول.. وحتى لا يلاحظ أحد ذلك بدأ يوزع ابتساماته وتحياته هنا وهناك بطريقة كوميدية تثير الضحك، وقوبل كل هذا بصمت مطبق، وتجرأ بعض أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة فصفقوا بشكل فاتر جداً، وبدأ إسماعيل يشعر بقلبه يخفق بشدة، بل وبدأ يشعر بالدنيا تدور به، وأخذ العرق البارد يبلل جسمه، غير أنه تمالك نفسه، وواصل، واهتدى بسرعة إلى فكرة راودته علها تنقذه من هذا الموقف الحرج، فألقى نكته سريعة وساخنة، وتوقع أن تضج الصالة بالضحك، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث وظل المتفرجون يبحلقون فى وجهه.. والتفت فوراً إلى الفرقة الموسيقية وطلب منها أن تعزف المونولوج الثانى وغناه، ولكن الوضع لم يتغير، بل ربما سار نحو الأسوأ فلم يصفق له فى هذه المرة حتى أولئك الذين صفقوا له فى المونولوج الأول..

وأسقط فى يده.. وأصبح فى موقف لا يحسد عليه.. ماذا يفعل؟!



# حايجننونى





كاد إسماعيل يصاب بسكتة قلبية بسبب مقابلة جمهور حلب له، وتمنى بينه وبين نفسه لو أن شيئاً ما يحدث ويوقف البرنامج، لكن المعجزة لم تحدث هذه المرة، فاضطر لأن يلقى المونولوج الثالث.. والرابع.. فالخامس، كل ذلك بينما كان الجمهور منشغلاً تماماً عنه يتبادل الأحاديث وكأنهم لا يرون ولا يسمعون، ولا يشعرون بوجوده!!

أسدل الستار فى نهاية وصلته وخرج إسماعيل سريعاً إلى الكواليس وقد ركبه هم الدنيا، ولا يرى أمامه، وجلس فى غرفته يحدث نفسه ويعيد شريط ما جرى أمام عينيه:

- **ماذا حدث.. مؤكد فيه شىء غلط!!**

- **ماذا يريد جمهور حلب؟ لقد استقبلنى فى البداية أحسن استقبال عرفته فى حياتى، لدرجة أننى بكيت من التأثر.. فلماذا لم يعجب بفنى؟**

لم يجرؤ أحد من الملهى أو حتى صاحب الملهى أن يقترب من غرفة إسماعيل، حتى غادرها دون أن يتحدث معه أحد، كما أنه لم يجد إجابات بداخله لكل هذه الأسئلة، وظل متأثراً حتى صباح اليوم التالى عندما بدأ يعرف حقيقة ما جرى ليلة أمس، وكان من جملة ما عرفه أن جمهور حلب يحب الطرب أكثر من المونولوج وأنه جمهور "سميعة" أكثر منه جمهوراً ضاحكاً، وأن الجمهور لم يفهم ما قاله، خصوصاً بالنسبة

للنكات التى كانت سريعة جداً رغم سخونتها وخفة دمها، لذا كان من العبث أن يستمر إسماعيل فى تكملة العمل فى هذا الملهى، أو فى حلب بأكملها، خاصة أنه أمضى خمسة أيام، وكان فى كل يوم يفاجأ بأن جمهور الصالة يغادر أماكنه فور أن يتم الإعلان عن نمرة المونولوجست المصرى إسماعيل ياسين، بل وبدأ الكثيرون يقاطعون مونولوجاته بألفاظ تضج بالسخرية أو من يوجه له الشتائم علناً، بحيث يضطر صاحب المسرح لأن يعلق لافتة كتب عليها "ممنوع التحدث مع الممثلين أو شتمهم" ورغم ذلك فقد وقف أحد المتفرجين ذات ليلة وصرخ بأعلى صوته حين كان إسماعيل على المسرح.

**● يا إسماعيل ياسين هات واحدة ست معاك لأنك بايخ لوحدك**

**فرد عليه إسماعيل بكل أدب:**

**ـ حاضر.. حاجيب بكرة واحدة ست معايا!**

وغادر المسرح يومها إلى بانسيون "إيلين" وهو يكاد ينفجر بالبكاء، بسبب هذا الإحساس القاتل بالفشل الذريع، وراح يفكر بأنه لابد أن يفعل شيئاً، ولكن دون جدوى:

**● مفيش فايدة، هو ده جمهور حلب هتعمل إيه يا سمعة مش هتقدر تغيره.**

**ـ بس لازم أعمل حاجة مش ممكن الفشل ده**

**● بس هتعمل إيه؟..مينفعش حاجة تتعمل**

**ـ والناس أصحاب الكازينو ذنبهم إيه**

**● يبقى مفيش حل غير إنى أفسخ العقد وأرجع على مصر**

**ـ هو ده الحل أفسخ العقد وأرجع مصر، ومش بس كده.. أنا لازم أسيب موضوع المونولوجات كمان.وأشوف سكة تانية.**

كان هذا ما استقر عليه إسماعيل.. ولو أن الوقت متأخر لكان قد ذهب إلى صاحب الملهى وقدم له اعتذاره عن عدم الاستمرار فى الفرقة.. فما اتخذه من قرار لن يعود فيه.. وكأنه يريد أن يكتب شهادة

وفاته قبل أن يستمتع بميلاده.. وقرر إسماعيل أن ينام على أن ينفذ ما اهتدى إليه فى الصباح.

## مرارة الفشل

كانت هذه هي المرة الأولى التى يكتشف فيها إسماعيل ياسين أن هناك نوعيات وأذواقاً مختلفة من الجمهور، وأن ما يصلح لجمهور القاهرة أو بيروت قد لا يصلح لجمهور حلب.. ويمكن أن يكون العكس.

فلم يكد ينتهى من حديثه مع نفسه، ويعيش أزمة تخلى الجمهور عنه، بينما يفكر فى اتخاذ أهم قرار فى حياته بتغيير مساره.. دق باب غرفته فى البانسيون.. واندهش من هذا الذى يأتيه فى هذا الوقت المتأخر جدا.. أو على الأصح الوقت المبكر جداً.. فلم يبق سوى دقائق على الفجر:

**● مين؟**

**ـ أنا.. أنا أبو جورج**

**وكان أبو جورج هو والد المطربة ألكسندرا بدران أو "نور الهدى"**

**● اتفضل أهلا وسهلا أبو جورج.**

دخل أبو جورج ووجد إسماعيل نفسه يرتمى على صدره ويشكو له المحنة، التى تعرض ويتعرض لها ثم سأله عن أسباب زيارته له، فى هذه الساعة، وفيما إذا كان السبب يعود إلى أن صاحب الملهى أرسله لكى يبلغه بالاستغناء عن خدماته.. فهو قد اتخذ القرار من تلقاء نفسه:

**ـ شوف يا أستاذ إسماعيل، أنت فنان كبير مهما حصل.. والأستاذ زكى ضاهر فنان مثلك أيضاً، وهو يعتذر لك جداً عما لاقيته من الجمهور ولا يعرف كيف يعلل ذلك، ويتوقع لك نجاحاً كبيراً وعظيماً، أما ما شاهدته من جمهور حلب فبسيطة، وهو أن جمهور حلب لا يرحم الفنان الذى لا يعجبه.**

**● وأنت شايف إيه الحل يا أبو جورج**

**ـ رأيى أنك تترك حلب، وتعود للعمل فى المدن التى لاقيت بها نجاحاً.**

وأقر إسماعيل هذا الرأى وهو حزين، بل وفى غاية الحزن من لوعة السقوط الشنيع الذى لم يواجهه بهذا الشكل فى حياته الفنية التى لا تزال قصيرة.

فى صباح اليوم التالى التقى إسماعيل مع أبو جورج وكان زكى الضاهر فى انتظارهما فى أحد المقاهى القريبة من البانسيون، وفى الجلسة تم الاتفاق على أن يسافر إسماعيل فى اليوم نفسه، بل وأظهر استعداده لأن يعيد باقى الأجر الذى لم يعمل به إلى صاحب الملهى ولكن زكى الضاهر رفض ذلك رفضاً قاطعاً، بل وقدم له تذكرة سفر إلى القاهرة بالباخرة عن طريق بيروت وقال له:

**● أنا واثق أنك سوف تعود إلى حلب ذات يوم، ولكنك ستنجح وتسجل نصراً كبيراً.. لا تجعل ما حدث يؤثر عليك أو على مسيرتك.. أكمل ما أنت ماض فيه.. فأنا بخبرتى أتنبأ لك أن تصبح فى وقت قريب من أهم وأكبر الفنأنين العرب.**

**ـ كتر خيرك أنك بتجبر بخاطرى.. عموماً أنا متشكر لك ولكل الناس هنا**

**● هذا مو جبران خاطر ولا قراءة طالع.. هذه يا ولدى خبرة سنين**

ودعاه زكى الضاهر إلى غداء أعده له فى اليوم نفسه.. ووجد إسماعيل أن الرجل دعا معه جميع أفراد الفرقة الموسيقية والفنانين الذين يعملون معه، ولكى يحفظ ماء وجهه فاجأه أمام الجميع:

**ـ يا جماعة الخير.. نحن كان يشرفنا أن يستمر الأستاذ إسماعيل معنا هون فهو فنان كبير ونحن نتشرف أن يكون وسطنا.. لكن ما باليد حيلة.. الأستاذ مضطر لأن يعود إلى القاهرة بعد أن وصلته أخبار سيئة تقول إن والده فى حالة صحية خطرة.**

اندهش إسماعيل من نبل أخلاق الرجل ولياقته وتصرفه معه هذا التصرف الذى لا يصدر إلا عن رجل نبيل مثله وفنان حقيقى يقدر

إحساس ومشاعر الفنان وما قد يصيبه من جراء واقعة صادمة مثل تلك التى حدثت معه فى حلب.. ولم يقل إن إسماعيل فنان صغير أو فى بداية حياته الفنية، بل تعامل معه باعتباره واحداً من كبار نجوم هذا العصر.. وعاد إسماعيل ياسين إلى مصر.

## طوق النجاة

لا شك أن ما حدث فى حلب ترك أثراً سيئاً فى نفس إسماعيل، توقع أن يعيده خطوات للخلف، وإن كان تصرف زكى الضاهر محا بعض آثاره، غير أن إسماعيل لم ينس أبدا هذا الموقف الإنسانى المشجع له، كما لم ينس لحظات الفشل القاسية التى واجهته بعد أن كاد يضع قدمه على سلم النجاح.

ولكن على عكس ما توقع، فما كاد إسماعيل يحط رحاله فى القاهرة حتى وجد فى انتظاره عقداً للعمل فى صالة ببا عزالدين، التى تكن قد أصبحت واحدة من أشهر راقصات الثلاثينيات، ومنافسة قوية للراقصة بديعة مصابنى وفرقتها.

كان عقد ببا عزالدين بمثابة طوق النجاة لينتشل إسماعيل ياسين من صدمة حلب، ولم يضيع وقتاً، وسرعان ما انتظم فى العمل مع الفرقة، وكان معه فى الفرقة نفسها المونولوجست حسين المليجى والمونولوجست حسين إبراهيم أيضاً، وكانا فى ذلك الوقت من نجوم المونولوج فى مصر، بل شهرتهما تفوق شهرة إسماعيل ياسين كثيراً، غير أن براعة إسماعيل وما كان يحققه من نجاحات جعلته يقترب منهما، ويصبح على قدم المساواة معهما، فنشأت صداقة طيبة بينه وبينهما، حيث كان الثلاثة لا يفترقون أبداً منذ ذلك الوقت.

أدت هذه الصداقة مرة أخرى لأن يتزامل معهما حتى فى الذهاب إلى ميدان سباق الخيل، حين عرف أنهما من رواده، وتذكر إسماعيل أن بينه وبين هذا الميدان ثأرا ويجب أن يأخذه وأنه خسر أموالاً كثيرة فى ميدان سباق الإسكندرية، وعليه لابد أن يعوضها فى ميدان سباق القاهرة، وكما

يقول المثل: "ليس التعيس من يخسر.. بل الأتعس منه من يريد أن يعوض خسارته".. وهذا ما حدث تماماً.

فى الميدان وضع إسماعيل خلال ساعات ثمانين جنيهاً هى كل ما يملك وما بقى معه من أجره فى رحلة الشام، وصدق المثل، فلم يعوض إسماعيل شيئاً، بل خسر الثمانين جنيهاً كلها - وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت - لدرجة أن عقله كاد يجن، وأراد حسين المليجى أن يخفف عنه الكارثة، ويحاول أن يعوضه بعض خسارته، فنظر إلى يده فوجد بها خاتماً ذهبياً كان فى إصبعه فقال:

**● عاوز تعوض كل خسارتك؟**

**- طبعاً، ودى عايزة كلام..**

**● ارهن الخاتم ده وعوض خسارتك**

وراهن إسماعيل بثمن الخاتم على الشوط الأخير، فهناك حصان مضمون، ولم تأت الريح بما تشتهى السفن.. ولاحقه سوء الحظ وذهب الرهان والخاتم، وخسر كل مدخراته ومكاسبه من رحلة الشام.

## فرصة العمر

عاد إسماعيل ياسين يومها من ميدان السباق وهو لا يملك ثمن عشائه، وفى اليوم التالى أفاق وهو فى غاية الحزن.. وأيضاً فى غاية الجوع، وذهب إلى صديق له يؤلف أغانى اسمه "محمود الناصح" وطلب منه سلفة ٥٠ قرشاً، لكى يفطر بها، وأقرضه محمود المبلغ.. وذهب إسماعيل لكى يتناول إفطاره، ولكنه توقف فجأة قبل أن يصل إلى محل بائع الفول، فقد تذكر خسارته فى السباق ورغبته الجامحة فى أن يعوض تلك الخسارة.

بدأ يفكر:

**● هل يأكل وينسى هذا الموضوع نهائياً؟ أم يذهب إلى السباق ويلعب فقد يعوض خسارته؟**

وقبل أن يتراجع عن رأيه.. وجد قدماه تسوقانه إلى ميدان السباق، يجب أن ينتقم من حظه التعس.. فماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها، فإذا كان قد خسر ثمانين جنيهاً، فهل سيندم على الخمسين قرشاً.. حتى ولو كان لا يملك سواها.

ويحدث ما لم يتوقعه أحد.. بل وما لم يتوقعه هو شخصياً، فقد ابتسم له الحظ أخيراً، حيث استشار هذه المرة أحد المراهنين المحترفين ممن شاهدهم قبل ذلك بيوم واحد، وكتب له المراهن المحترف قائمة من الخيول يلعب على بعضها بالمبلغ الذى معه كله، ولم يكن يعرف أن كل ما يمتلكه إسماعيل خمسون قرشاً فقط، وفعل بما أشار به عليه المراهن، وكانت النتيجة فى نهاية السباق أن إسماعيل ياسين استطاع أن يحصل بقروشه الخمسين على مائتين وثلاثين جنيهاً!!

لم يصدق إسماعيل ياسين أنه بخمسين قرشاً فقط ابتسم له الحظ، واستطاع أن يعوض كل خسائره السابقة واللاحقة، سواء فى الإسكندرية أم فى القاهرة.

على الفور ذهب إسماعيل وهو يكاد يطير من شدة الفرح إلى المقهى الذى تعود أن يلتقى به أهل الفن ووجد هناك "محمود الناصح"، الذى كان قد استلف منه الخمسين قرشاً، وأخذ يقبله من كل جزء فى وجهه، والرجل لا يعرف السر فيما يفعل إسماعيل، وأعطاه جنيهاً كاملاً، الخمسون قرشاً التى قد اقترضها منه، وطلب منه مونولوجاً لقاء الخمسين قرشاً الإضافية، ثم تذكر أنه لم يتناول إفطاره، وبدلاً من الذهاب إلى محل الفول والفلافل، اتجه إلى مطعم وحديقة "جروبى" المكان المفضل لجلوس الطبقة الأرستقراطية، وتناول فيه لأول مرة إفطاره مثل "أولاد الذوات" بعدها توجه إلى ضريح مسجد السيدة زينب، وصلى لله شكراً وأمام الضريح وقف وأقسم بالله بأنه لن يقرب ميدان سباق الخيل بعد ذلك اليوم أبداً مهما تكن الإغراءات، بل ولن يدخل فى مراهنات مهما تكن ومن أى نوع، بعد الذى عاناه وشاهده من "حرق دم" وخسائر.

كان أول ما فعله إسماعيل ياسين بعد الثروة التى هبطت عليه من سباق الخيل، أن اعتذر عن عدم العمل مع فرقة "ببا عزالدين"، فعلى الرغم من أن له صداقات فى الفرقة، فإنه لم يكن يشعر براحة فى العمل بها، خاصة أن ببا كان لديها إحساس عالٍ جداً بذاتها، ولم يكن إسماعيل يفضل هؤلاء البشر من هذه النوعية.

وعاش أسبوعًا بدون عمل، كان ينفق خلال هذا الأسبوع بكرم وسخاء، على اعتبار أنه أحد أبناء الطبقة الأرستقراطية، وقرر أن يذهب إلى كازينو بديعة مصابنى لأول مرة باعتباره "زبونا" وليس باعتباره أحد العاملين لديها.

## العودة إلى بديعة

كان صيت الرحلات التى تذهب إلى الشام ينتشر فى الوسط الفنى، كما تنتشر النار فى الهشيم، ولا تذهب فرقة أو تعود، إلا ويعرف الوسط الفنى ما حدث لها من نجاحات أو إخفاقات، وكانت النجاحات التى حققها إسماعيل ياسين فى بيروت قد سبقته إلى الوسط الفنى.

لم تكن هناك خافية تخفى على الراقصة بديعة، ومما يحدث تحديداً فى بيروت، وقد وصل إليها صيت المونولوجست إسماعيل ياسين، وما حققه هناك من نجاحات، وعرفت أنه ذلك المونولوجست الذى كان يعمل لديها وطردته يوماً.

وما إن دخل إسماعيل ياسين إلى كازينو بديعة "كزبون" يتعامل بسخاء مع الجرسونات والذين يقومون على خدمته، حتى لمحته الست "بديعة"، فتوجهت إليه على الفور.. وتكرر المشهد الأول ولكن بشكل مغاير.. هذه المرة الست بديعة بنفسها تذهب إلى إسماعيل ياسين فى المكان الذى يجلس هو فيه، وتقف أمامه:

**● منور الكازينو يا سى إسماعيل**

**ـ الست بديعة.. إيه الشرف الكبير ده.. أقدر أتجرأ وأقولك اتفضلى..**

**ولا أكون اتجاوزت حدودى**

**وهى تضحك وتجلس:**

- **أنا هتفضل لأنى عايزاك**

**ـ وأنا موافق**

- **مش لما تعرف موافق على إيه**

**ـ أى حاجة تقول عليها الست بديعة أنا موافق عليها من غير كلام**

- **خلاص.. يبقى تنزل الصالة من بكره**

**ـ اعتبرينى نزلت من امبارح يا سلطانة**

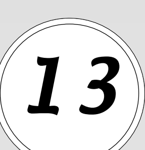
بدأ إسماعيل ياسين عمله بالمونولوج الجديد الذى اشتراه بخمسين قرشاً، ثم أتبعه بمجموعة من مونولوجاته القديمة والتى شاعت فى ذلك الوقت، وكان منها مونولوجات "لو عندى أوتومبيل" و"السينما" و"أحب أغنى" و"البريفية" وكانت هذه المونولوجات شكلاً جديداً فى الكلمات والأداء والألحان، لذا كان لها صدى واسع، وأثر كبير فى شهرة إسماعيل ياسين، ليتوالى نجاحه بشكل مستمر عند بديعة مصابنى التى تمسكت به هذه المرة ولم تعد تستغنى عنه.

## رحلة إلى السودان

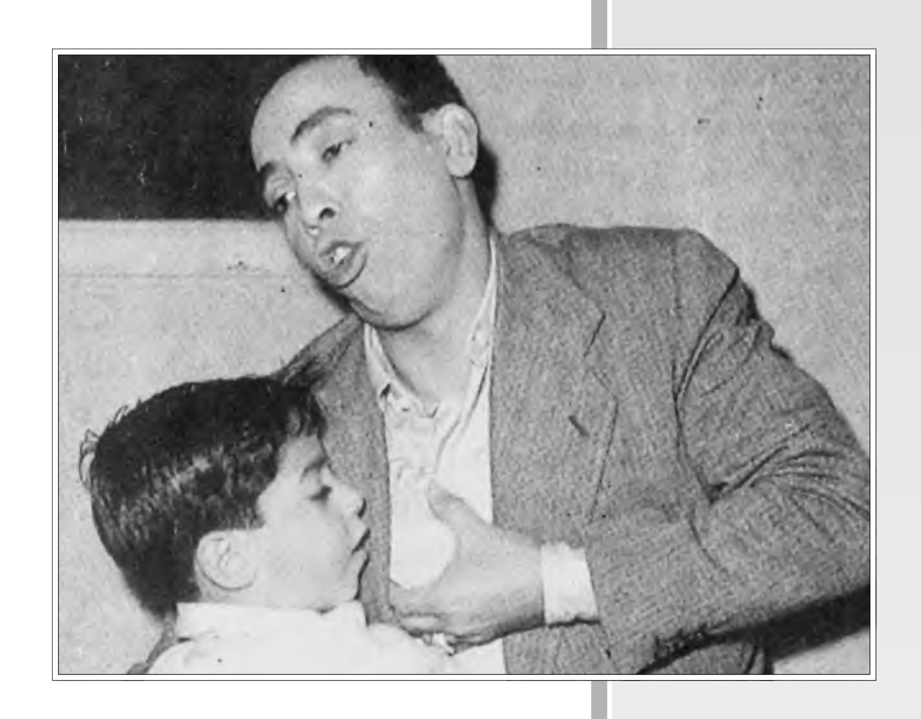
رغم كل النجاحات والشهرة التى أصبح عليها، والحب الذى يلاقيه من الجميع، لم يكن إسماعيل ياسين راضياً ومستقر النفس وهادئ البال، فأصبح يضيق بالوحدة التى يعيش فيها ويشعر بأنه فى حاجة إلى من يشاركه حياته، فقد اقترب من سن الثلاثين من عمره، وأصبح فى حاجة إلى زوجة يستريح معها من عناء الرحلة، ومن هنا بدأ يبحث بشكل ملح عن زوجة لأنه يريد أن تكون له أسرة، ليس فقط ليشعر بأنه يجاهد من أجلها، ولكن لأنه حرم من هذا الشكل الاجتماعى المهم، ولم يشعر يوماً منذ رحيل والدته وهو لايزال طفلاً دون الخامسة، أن له أسرة.

فى هذا الوقت عرضت عليه بديعة أن يسافر مع فرقتها فى رحلة إلى السودان، ووافق بلا تردد، وذهبت الفرقة فعلاً إلى السودان، وفى الخرطوم أحيت أولى حفلاتها فى النادى السورى ونجحت الفرقة نجاحاً كبيراً، ودوى اسم إسماعيل ياسين دوياً كبيراً، ولكن هذا النجاح أدى إلى نتيجة عكسية بالنسبة لباقى عروضها فقد اعتبر السودانيون أن إقامة الحفلة الأولى لها فى النادى السورى يمثل عدم لياقة من الفرقة، وكانت النتيجة أنهم قاطعوا حفلاتها، ووصل غضبهم إلى حد أن بعضهم كان يقف أمام باب المسرح الذى تعمل عليه الفرقة ويعتدى على كل شخص يدخل من الجمهور.

بدأت الفرقة تخسر مادياً، ونصحهم البعض بأن يسافروا من الخرطوم، فسافروا فعلاً إلى منطقة النيل الأبيض، حيث استطاعت الفرقة أن تعوض بعض خسائرها، بل تحقق ربحاً قبل أن تعود إلى القاهرة.



# الحب بهدلة





مع العودة إلى القاهرة.. عاد إسماعيل ياسين إلى وحدته والمعاناة من عدم وجود شريكة لحياته.

ومرة أخرى جاءه عقد ليعمل مع فرقة تحية محمود فى الإسكندرية، وفرح بأنه سيهرب من القاهرة.. واضطر إلى أن يعتذر للست بديعة، ويترك الفرقة، ولكنه هو الذى تركها هذه المرة، فى الوقت الذى راحت فيه الست بديعة تلح عليه أن يبقى ولا يتركها.. وسبحان مغير الأحوال!!

بدأ إسماعيل ياسين عمله مع فرقة "تحية محمود" فى الإسكندرية، غير أنه أحس منذ اليوم الأول معها بأنه لم يعد وحده.. فعلى خشبة مسرح الفرقة فى إسكندرية، ولدت أول قصة حب فى حياته فى الليلة الأولى، وشعر بخفقان قلبه يعلن عنها عندما وقعت عيناه على إحدى راقصات الفرقة وتدعى "ثريا حلمى" وهى ليست المطربة والمونولوجست المعروفة ثريا حلمى، بل إنها تتشابه معها فقط فى الاسم!

كانت الراقصة "ثريا" بدينة نوعاً ما.. ولكنه شعر من حديثها ونغمات صوتها بحنان شديد، عاش طوال حياته محروما منه، بدأ إسماعيل يلتقى بهذه الراقصة خلسة، بعيداً عن أعين سائر أفراد الفرقة، وكان كل منهما يروى للآخر طموحاته وعن أحلام المستقبل، وأمنيته فى حياة زوجية سعيدة ومستقرة تزيل هم الوحدة.

وعلمت تحية محمود صاحبة الفرقة بقصة الغرام بين إسماعيل والراقصة، فغضبت وثارت فقد كان من تقاليد العمل فى الصالات ألا يرتبط أحد من العاملين فى الفرقة بفنانة تعمل بها، لأن مثل هذا الارتباط يعطل عمل الفرقة ويعرض مصالحها للضرر، باعتبار أن نظام المجالسة مع رواد الكازينو كان مسموحاً به فى ذلك الوقت والحب والغرام بين أعضاء الفرقة يتعارض مع هذا النظام!

وما كاد إسماعيل ياسين يعرف أن صاحبة الفرقة غاضبة، حتى أعلن انسحابه من الفرقة، وفوجئ بأن حبيبته تضامنت معه هى الأخرى، وأعلنت أنها تفضل أن تجوع معه على أن تشبع دونه، أو تتحكم فى مشاعرها صاحبة الفرقة، وأدى ذلك إلى أن يشتعل الحب أكثر فى قلب إسماعيل.

لم يجلس إسماعيل طويلاً بلا عمل، فالوقت غير الوقت، فقد أصبح هناك الآن فنان حقيقى اسمه إسماعيل ياسين، يمكن أن تتخطفه الفرق، ففى اليوم نفسه الذى خرج فيه من فرقة "تحية محمود" كان قد اتفق مع فرقة "المسيرى" على الانضمام إليها، وإحياء لياليها فى مصيف "رأس البر"، ولكن اتفاق إسماعيل هذه المرة لم يكن له وحده، فاشترط على مدير الفرقة أن يصطحب حبيبته معه، لتكون راقصة فى الفرقة، ووافق على الفور.

أخذ صديقته وذهبا إلى رأس البر، حيث عملا معا فى فرقة المسيرى، فقد أصبحت هذه الراقصة كل شىء فى حياته، وكانا لا يفترقان لحظة واحدة.

ولم يقل نجاح إسماعيل فى رأس البر عن النجاحات التى حققها فى القاهرة أو الإسكندرية، وشعر لأول مرة بطعم النجاح مع الحب، فقد كان النجاح هذه المرة له مذاق مختلف، شعر بأن هناك من يريد أن ينجح من أجله، وينجح له، وكانت حبيبته تعمل على تشجيعه وتتباهى بنجاحاته أمام الجميع، وهو إحساس لم يشعر به إسماعيل ياسين من قبل.. لأول مرة يشعر بأنه مصدر فخر لأحد فى هذه الدنيا.

وذات يوم دعاه بعض زملاء الفرقة إلى مائدة لعب ورق "الكون كان" واشترط إسماعيل أن يكون اللعب للتسلية فقط، فقد أقسم ألا يراهن على أى شىء من أى نوع.. وقبل الجميع، ولم يجد إسماعيل مانعاً خصوصاً أن أكبر مبلغ على الطاولة لم يزد على عشرين قرشاً.

## جرح الحبيب

بالرغم من أن إسماعيل ياسين كان سعيداً فى عمله وفى حبه، فإنه كان عكس المثل الشعبى القائل "سعيد فى الحب تعيس فى اللعب"، فراح يكسب كل الأدوار التى يلعبها، وراح يضحك ساخراً:

● يا سلام.. علشان اللعب تسالى بكسب على طول.. يعنى لو كان اللعب دلوقت على فلوس كان زمانى خسرت اللى ورايا واللى قدامى.. عموماً الحمد لله مهما حصل مش هرجع فى كلامى وألعب على فلوس أبداً.

وبينما كان إسماعيل منهمكاً فى اللعب فوجئ بخطيبته الراقصة "ثريا حلمى"، تفتح الباب عليهم وتدخل وهى تكاد تعجز عن التحكم فى أعصابها ورائحة الخمر تفوح من فمها، وكانت تهذى كالمحمومة، وتوجه لإسماعيل أقذع الشتائم وأبشع الألفاظ وتقذفه هو وكل زملائه الذين يشاركونه اللعب بكل ما يصل إليه يدها من أكواب زجاجية أو أى شىء يقع فى يدها.

وشعر إسماعيل بالخزى والخجل أمام زملائه، خصوصاً بعد أن فشلت كل محاولاته فى تهدئتها ثم استطاع بعض زميلاتها أن يأخذنها بعيداً، ونجحن فى تهدئة مزاجها وأعصابها الثائرة دون سبب مفهوم، أما إسماعيل فبدا وكأنه قد أصيب بصدمة عصبية ثم ارتفعت حرارته وأصيب بالحمى، فقد فوجئ بإهاناتها المتلاحقة ولم يسبق له أن وضع فى مثل هذا الموقف!

ويبدو أن الراقصة "ثريا" حين أفاقت من سكرها شعرت بمدى الإهانة

التى ألحقتها بحبيبها، فلم تحتمل مواجهته أو البقاء بعد ذلك فى الفرقة معه.. فتركت رأس البر وعادت إلى الإسكندرية على الفور.

قضى إسماعيل مدة أسبوعين فى فراشه فى غرفته فى الفندق محموماً يهذى، وكان أصدقاؤه يجلسون معه يمرضونه، فلم يكن يتصور أن توجه إليه كل هذه الإهانات على مسمع ومرأى من أعضاء الفرقة الذين يعرفون تماماً علاقة إسماعيل بهذه الراقصة، بل إنه هو من أصر أن تلتحق بالفرقة وتعمل معهم.

بعد الأسبوعين كان قد شفى من مرضه، ولكن قلبه بقى مجروحاً، غير أنه راح يعوض ما فاته ويعوض صاحب الفرقة بعض خسائره التى حدثت بسبب مرضه، واستأنف العمل وقوبل من جمهور رأس البر باستقبال رائع وتضاعف نجاحه، حتى إنه كان فى كل ليلة يلقى ١٥ مونولوجاً وهو أمر لم يسبقه إليه مونولوجست آخر من قبله.. ولا بعده.

## صداقة بشارة

فى هذه الفرقة.. اكتسب إسماعيل صديقاً جديداً تعرف إليه لأول مرة، وكان ممثلاً كوميدياً، هو الفنان "بشارة واكيم".. الذى قامت بينه وبين إسماعيل صداقة قوية، وكانا يتصاحبان لصيد السمك كل ليلة بعد انتهاء العمل فى الفرقة.

كان من عادة إسماعيل أن يعود إلى الفندق قبل شروق الشمس. أما بشارة واكيم فقد كان يستمر حتى ساعات النهار الأولى ثم يعود يحمل "سبتاً" فيه كميات من السمك كان يوزعها على الزملاء من أعضاء الفرقة مدعياً أنه اصطادها، وكان إسماعيل ياسين يدهش من هذا الرجل الذى يصطاد كل هذه الكمية من السمك، وبعد أن يتركه إسماعيل الذى لا تخرج "سنارته" بسمكة واحدة، فقرر إسماعيل ياسين أن يعرف السر، هل المشكلة عنده وبسبب أن وجهه "نحس".. أم ماذا يفعل بشارة واكيم ليأتى بكل هذه الكمية من السمك؟!

خطر لإسماعيل ياسين أن يبقى مع بشارة ويعود معه.. ولكن بشارة لم يصطد سمكة واحدة حتى وقت متأخر من النهار.. وهكذا عادا بلا سمك وفى الطريق، راح بشارة يندب حظه ويؤنب إسماعيل:

**● أنا عارف حظ إيه ده بس..**

**ـ فعلاً حاجة غريبة.. من ستة سبعة كيلو سمك كل يوم.. يبقى ولا سمكة واحدة**

**● أنا مش عارف إيه النحس ده.. يظهر فيه حاجة حصلت خلت السمك يهرب**

**ـ أنا فاهم قصدك.. فعلا تلاقى السمك أول ما شاف "بُقى" هرب**

**● مفيش كلام.. بقك السبب**

وبينما هما يمشيان فى طريق العودة إلى الفندق.. وجدا صياداً يقف فى وجهيهما ويوجه كلامه لبشارة واكيم وكأنه على معرفة سابقة به

**● صباح الفل يا بيه.. السمك أهه جاهز وزى الفل.. شوية "شبار على شوية "بورى" مفيش كده واللى خلقك.**

وأسقط فى يد بشارة.. وحاول أن يغمز للرجل بعينه ويحرك لسانه ويشير إلى إسماعيل، ولكن دون جدوى.. الرجل يواصل كلامه دون أن يفهم.. وبشارة يتنكر له.

**ـ سمك إيه يا راجل أنت الله يخرب بيتك**

**● السمك اللى حضرتك متفق معايا أحضره لك كل يوم فى الوقت ده.. هو أنا اتأخرت ولا إيه؟!**

**ـ روح الله يفضحك زى ما فضحتنى**

ما كاد إسماعيل ياسين يسمع الحوار الذى دار بين بشارة واكيم وبائع السمك حتى وقع على الأرض واستلقى على قفاه من الضحك.. ولم يفوت إسماعيل الأمر وقام بالفعل بفضح أمر بشارة واكيم بين أعضاء

الفرقة.. فما كان رده إلا أن قال إنه حدثت له "انتكاسة" وقرر اعتزال صيد السمك ولكنه لم يشأ أن يحرم الفرقة من أكلة السمك التى عودهم عليها كل يوم!

## محاولة انتحار

انتهى الموسم الصيفى فى "رأس البر" وعاد إسماعيل إلى الإسكندرية، وكان قلبه مازال يخفق بحب ثريا حلمى، فما حدث لم يجعله ينسى حبها، بل فى حقيقة الأمر أنه قد اشتاق لرؤيتها، رغم إساءتها إليه فقد كانت أول حب فى حياته، يحبها من أعماقه بالرغم مما اكتشفه من عيوبها!

علم أن ثريا منذ أن عادت من رأس البر وهى تعمل فى كازينو "الكوت دازور" على شاطئ الإسكندرية، وذهب لكى يراها ولكنه لم يكد يفعل ذلك حتى أصيب بصدمة قاسية، فقد قابلته بفتور شديد وعدم اكتراث، بل وبدا عليها وكأنها لم تعرفه قبل ذلك أو لم يسبق لها أن رأته، بينما استقبله كل زملائه بترحيب شديد، وكان أحدهم يعرف مدى العلاقة التى كانت بين إسماعيل وبين تلك الراقصة، فأخبر إسماعيل بأنها تعيش الآن قصة حب جديدة مع رجل آخر، وأن عليه أن ينساها إلى الأبد لأنها لم تعد تصلح له.

وضاقت الدنيا فى عينى إسماعيل، وخرج هائماً على غير هدى وبلغ من شدة حزنه أنه اتجه إلى البحر، وشعر بأنه يناديه إليه، واتجه إسماعيل إلى صخرة عالية بالقرب من "بئر مسعود" وما إن هم بإلقاء نفسه فى البحر حتى وجد هاتفاً يخرج من داخله ويتحدث إليه:

**● هتعمل إيه يا إسماعيل..**

**ـ زى ما أنت شايف كده هنتحر "عقبال عندك"!!**

**● علشان مين**

**ـ علشان اللى علشانه.. وده يخصك فى إيه؟**

**● بس اسمع بس**

**ـ مش عاوز أسمع.. وسيبنى بقى علشان مستعجل**

**● يا إسماعيل أنت وحيد فى الدنيا**

**ـ قديمة**

**● وأبوك**

**ـ إحنا هنقبح**

**● أبوك برضه راجل وحيد.. يعنى لو انتحرت هتبقى خسرت نفسك وانقطع نسلك.. وكمان هتخسر آخرتك.. وهى اللى هتنتحر علشانها مش هيهمها.. وتحب وتتجوز وتعمل أسرة وأولاد..**

استفاق إسماعيل من أوهامه، وأدرك الحقيقة وجرى بعكس الاتجاه إلى أحد الكازينوهات القريبة، حيث كان يعمل زميله حسين المليجى الذى رحب به ترحيباً كبيراً ودعاه للعمل معه فى هذه الفرقة، ولم يتردد إسماعيل وظهر فى الليلة نفسها على المسرح، بالرغم من أنه كان لا يزال يفكر فى تلك المرأة الخائنة التى أهانت قلبه وعواطفه، فإنه أبدع أيضاً فى تلك الليلة وصفق له الجمهور كثيراً وطويلاً، فأنساه هذا بعض ألمه.

## الهرب من الحب للزواج

لكى يسلى إسماعيل نفسه.. وينسى ما فعلته به هذه الخائنة، هداه تفكيره المضطرب إلى أن يغازل إحدى زميلاته الفنانات فى الفرقة الجديدة، وكانت المفاجأة أنها استجابت له وبادلته العاطفة.. وولدت بينهما صداقة، بل وسرعان ما ولدت بداخل إسماعيل قصة حب جديدة.

كانت الصديقة الجديدة وتدعى "سعاد وجدى"، تختلف تماماً عن ثريا حلمى، كانت رشيقة القوام، مليئة بالأنوثة، تتحدث بعينيها كثيراً وبلسانها قليلاً.

مرة أخرى أصابت سهام "كيوبيد" قلب إسماعيل فإذا به كالغريق يلتمس النجاة عن طريق صديقته وحبيبته الجديدة، صارح إسماعيل بذلك صديقه مطرب الفرقة "فريد أبوزيد"، وزوجته "علية فوزى"، التى كانت من أشهر المطربات فى الملاهى الليلية فى ذلك الوقت.

**● اسمع يا فريد أنت وعلية.. أنا عاوز أبوح لكم بسر**

**ـ فى بير يا سمعة**

**● بينى وبينكم كده.. أنا بحب**

**ـ ده كلام جميل.. باين عليك يا سمعة**

**● وأنتم عارفينى مش بتاع لف ودوران، أنا عاوز أتأهل وأفتح بيت**

**ـ خير ما فعلت.. وتبقى مين اللى وقع عليها العين واختارها القلب**

**● سعاد وجدى**

**(ينظر فريد لزوجته، ويتبادلان النظرات)**

**ـ يا زين ما اخترت.. ويا ترى هى موافقة**

**● أمال أنا بكلمك ليه.. أنا من ناحيتى حاسس إنها بتبادلنى الحب نفسه.. بس عاوز أتأكد.. لأنى مش ناقص جروح تانية**

ذهبت "علية" وأقنعت العروس التى لم تكن بحاجة إلى إقناع، بل وجدت أنها ترحب بذلك على الفور ودون تردد، فذهب فريد أبو زيد واستدعى المأذون على الفور

وتم عقد القران فى الكازينو.. واحتفل جميع أفراد الفرقة بعقد القران.. وإن كان إسماعيل قد لاحظ أن واحدا فقط من زملائه فى الفرقة قد هنأه بطريقة مختلفة وكأنه يهدده.

**● مبروك يا عريس.. بس يارب الجوازة دى تسعدك فعلاً!!**

لم يحسب إسماعيل حساباً لذلك ولم يشغل باله بما قاله هذا الزميل، فى الوقت نفسه عندما علمت "ثريا حلمى" الحبيبة الأولى بخبر زواج

إسماعيل ياسين من سعاد وجدى، حيث انتشر الخبر بين كل ملاهى وكازينوهات الإسكندرية، ذهبت ثريا، واعتدت بالضرب على سعاد وجدى، وكان الاعتداء وحشياً ترك آثاره على وجه زوجة إسماعيل، مما جعلها ترقد فى الفراش أسبوعين.

وعلى الرغم من أن إسماعيل تأثر من هذا الحادث، وغضب لهذا الاعتداء فإنه فى الوقت نفسه شعر براحة جديدة لأنه انتقم من الأولى وأثار غيرتها بالثانية، وفى الوقت نفسه أصبح لديه زوجة، وعما قريب سيستقر فى بيت وتصبح له أسرة.. وهذا هو أهم ما فى الموضوع.

عندما شُفيت سعاد وجدى من الكدمات التى أصابتها، اقترح عليها إسماعيل أن يسافرا إلى القاهرة بعيداً عن المشاحنات التى ظلت تثيرها حبيبته السابقة، وفعلاً عاد الاثنان إلى القاهرة ونزلا فى "البانسيون" نفسه الذى تعود إسماعيل أن ينزل فيه، حتى يمكنه استئجار شقة تصلح لأن تكون بيتاً للزوجية، فهو فى ذلك الوقت لم يكن يملك مبلغاً يكفى لاستئجار شقة وفرشها، ولا يستطيع أن يدع زوجته تنام على الأرض أو على ورق الجرائد فى شقته القديمة.

وبدأت الأيام جميلة سعيدة، ويشعر إسماعيل بأنه يعيش لأول مرة منذ ولادته، وكانت حياته مع سعاد أحلى من العسل، حيث بثت فيه روحاً جديدة، بل وبدأت تقول الشعر تغز لا فيه، ما زاد من إحساسه بالسعادة وحب الحياة.

لكن الأيام السعيدة لا تدوم، فقد استيقظ إسماعيل ذات يوم من نومه فلم يجد زوجته إلى جانبه، ومضى يتساءل: أين ذهبت؟ لكنه وجد ورقة بجوار السرير قرأ ما فيها:

أنا فى قهوة بيروت.. سعاد.

ارتدى إسماعيل ثيابه على عجل، وذهب إلى قهوة بيروت التى كانت فى ذلك الوقت من أشهر مقاهى شارع عماد الدين، واكتشف وهو فى طريقه إلى المقهى أن سعاد قد استولت على كل ما فى جيوبه من

فلوس.. ثم حين وصل إلى المقهى وجد أنها أنفقت كل المبلغ الذى أخذته منه على شرب القهوة واستضافة كل من هب ودب وعلى شراء الجرائد والمجلات، بل واشترت كتاب "التدبير المنزلى" الذى يرشد الزوجة لطبخ أحسن الأطعمة.

وكاد إسماعيل يجن من هذا التصرف المفاجئ!!

وقبل أن يعبر عن رأيه فيما فعلته زوجته، جاء إلى المقهى رجل من فرقة الفنانة ببا عزالدين يدعوه إليها.

**● أستاذ إسماعيل**

**ـ أيوه يا سيدى أى خدمة**

**● الست ببا عزالدين بعتانى لك عايزاك**

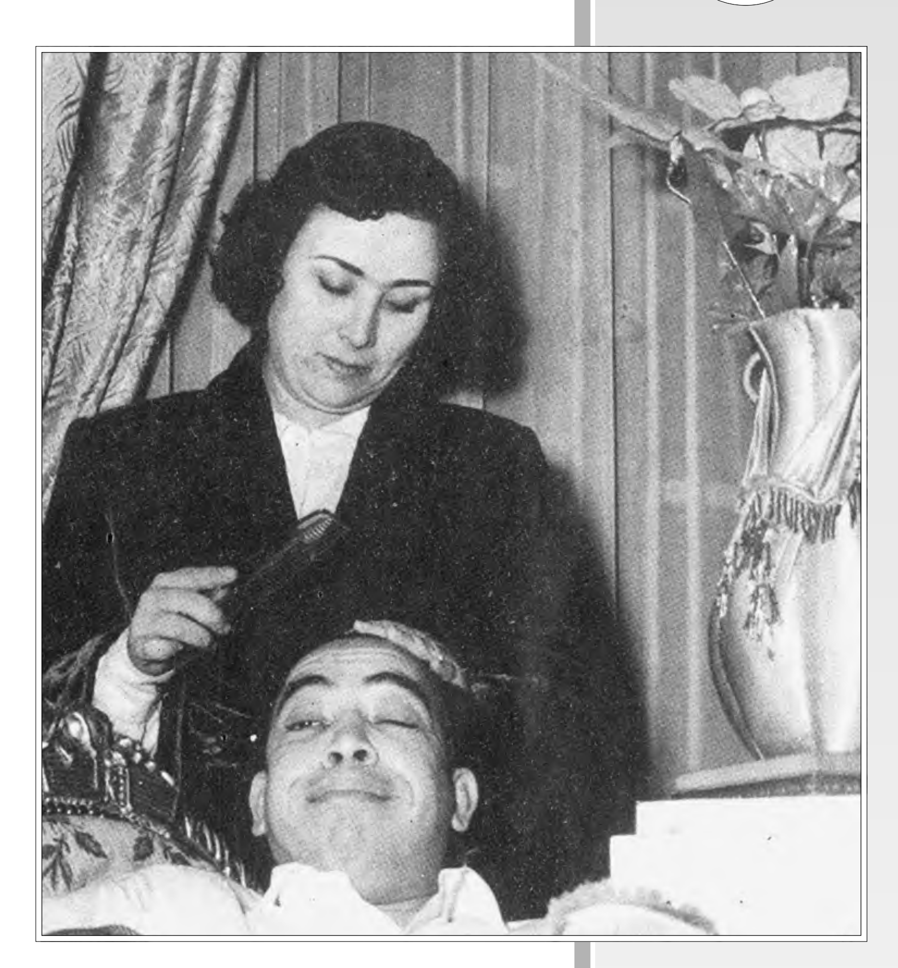
**ـ حاضر قولها هبقى أعدى عليها بالليل**

**● لا يا أستاذ ليل إيه.. دى عايزاك ضرورى دلوقت.. قالت لى مترجعش من غيره**

كظم إسماعيل غيظه مما فعلته زوجته سعاد، واتجه على الفور إلى صالة ببا عزالدين، ليجدها ترحب به أيما ترحيب، وتطلب منه أن ينضم إلى فرقتها، ويعمل فى مسرحها ابتداءً من تلك الليلة.. ولأنه لم يكن مرتبطاً مع فرقة أخرى فى القاهرة.. وافق على الفور.. وكان حريصاً على أن ينصرف بسرعة ليعود إلى مقهى "بيروت"، غير أنه عندما عاد لم يجد سعاد، وسأل عنها فقيل له إنها ذهبت إلى البانسيون.



# آدم وحواء





حرص إسماعيل ياسين على أن ينهى لقاءه مع ببا عزالدين ويتفق معها على كل شىء، ليعود بسرعة إلى البانسيون لمعاقبة زوجته سعاد وجدى على ما فعلته فى ذلك اليوم، دون مراعاة لوجوده، وكأنه ليس زوجها، بل مجرد زميل معها فى الفرقة، ولكنها لم تتح له مجالاً لذلك، وقبل أن يبادرها بالسؤال عما فعلته، بادرته هى أنها تريد الآن وفوراً أن تذهب لزيارة والدتها، فقد أتت من بلدتهم فجأة ونزلت عند إحدى قريباتها، وأرسلت لها تطلبها وهى مشتاقة لها جداً وتريد أن تذهب إليها حالاً.

وبدون أى تردد قال لها إسماعيل:

● **أنا هسامحك المرة دى.. بس اللى حصل ده اسمه جنان وما يتكررش**

ـ **خلاص بقى يا سمعة**

● **خلاص روحى قابلى والدتك وهاتيها معاكى تقعد معانا النهارده**

ذهبت سعاد بنية أن تقابل والدتها، ولكن القدر تدخل لفضح أمرها، فلم تكد تمر ساعة حتى وجد إسماعيل من يدق باب غرفته، وكان أحد الزملاء الذين ينزلون معه فى البانسيون:

● **أهلا تعالى**

ـ **أمال فين سعاد يا أبو السباع**

**● سعاد راحت عند أمها، أصلها جت من البلد**

**ضحك الصديق ضحكة طويلة ساخرة!**

**● بتضحك على إيه يا أخى**

**ـ بضحك لأنك راجل طيب..**

**● مش فاهم تقصد إيه؟!**

**ـ لأن والدتها تبقى حبيب القلب القديم.. جه من الإسكندرية وهى دلوقت معاه فى قهوة "تريومف".**

جن جنون إسماعيل.. أزاح الرجل من أمامه وانطلق كالسهم إلى المقهى ليتأكد من صحة كلامه من كذبه.

كانت الصدمة قاسية جداً على أى إنسان يمكن أن يرى ما رآه إسماعيل، فقد تعمد أن يذهب إلى المقهى ولا يدخل حتى لا يتسبب فى فضيحة لنفسه، بل وقف ينظر من بعيد.. فوجد زوجته تجلس إلى جوار رجل، هو يعرفه تماماً، نعم إنه الزميل الذى هنأه يوم زواجه وكأنه يهدده!

تجلس إلى جواره ليس كزميل، بل صورتهما تقول إنهما حبيبان.. عشيقان.. زوجان فى شهر العسل..

لم يدر إسماعيل والدموع تبلل خديه.. ولم يتحمل أن يشاهدهما أكثر من ذلك، فهذه المرة ليس جرح حبيبة، هذه المرة "خنجر الخيانة الزوجية" طعن به من الخلف فى ظهره.. وليس هناك ما يجده ليبرر به لنفسه ما حدث.. فقد أحبها وأخذ رأيها، ووافقت على الزواج منه عن طيب خاطر، وعاشا معاً كأسعد ما يكون زوجان فى شهر العسل.. فما مبررها لخيانته؟ إلا إذا كانت الخيانة مدبرة، بدليل شكل التهنئة التى تلقاها من عشيقها الليالى عقد قرانه، بما يعنى أنها تزوجت إسماعيل وهى على علاقة بهذا الرجل.

لم يكن إسماعيل يشرب الخمر.. ولكن فى مثل هذا الموقف لم يجد عنها بديلاً، ذهب إلى أقرب "بار" وشرب حتى إنه لم يستطع أن يرى

أمامه، أو يتحكم فى مشيته، وخرج من البار ونفسه تحدثه أن ينتقم لشرفه بقتل هذه الخائنة، فجزاء الخيانة الموت، ولكن إذا قتلها فلن يستفيد شيئاً، سيتم إعدامه، أو فى أفضل الظروف السجن المؤبد، فهو لن يكون لديه أمام المحكمة دليل على خيانتها، ثم لماذا يدفع حياته وحريته ثمناً لمثل هذه الخائنة؟!

عاد إسماعيل إلى البانسيون، دخل غرفته ليجدها نائمة، أيقظها:

● **فين أمك أمال .. مجتش معاكى ليه**

- **أمى.. مالها.. آه.. آه.. أمى أصلها.....**

**واحمرت عينا إسماعيل**

● **أصلها إيه؟! معجبتهاش القعدة فى قهوة "تريومف"**

وأسقط فى يد سعاد.. نظرت فى الأرض من خجل المواجهة.. وما كادت ترفع رأسها حتى وجدت يد إسماعيل تهوى على وجهها.. تلقت عدة صفعات.. جعلتها تعترف له:

● **أيوه لسه بحبه**

- **وأنت طالق.. طالق.. طالق.**

خرج إسماعيل من البانسيون وهو فى هذه الحالة.. على غير هدى، لا يعرف إلى أين يذهب.. ولمن يلجأ، يسيطر عليه إحساس الضياع والفشل، وعادت الدنيا تسود فى عينيه من جديد.

## الزواج الثانى

كانت أطول الليالى فى حياة إسماعيل ياسين، لا يعرف كيف انقضت، فقد ظل هائماً على وجهه طوال الليل، ولم يدر إلا والشمس تهبط فوق رأسه وهو يجلس على كورنيش نيل روض الفرج.. كان قد أفاق من الشراب الذى تناوله ليلة أمس.. بل إنه قد أفاق بعد اللقاء مع زوجته سعاد فى البانسيون ..

تذكر إسماعيل أنه لابد أن ينهى علاقته بها تماماً، اتجه إلى البانسيون، وجدها لا تزال نائمة، كأن شيئاً لم يحدث، أخبرها بأنه لابد أن تنتهى هذه التمثيلية الهزلية فوراً.. اصطحبها إلى مأذون حى بولاق أبوالعلا.. ولم تمض دقائق حتى كان قد تم الانفصال بشكل رسمى على يد المأذون..

غير أن إسماعيل فوجئ بسعاد تطلق زغرودة بمجرد أن انتهى المأذون من إجراءات الطلاق، ثم انصرف كل منهما فى طريق.

أسدل الستار على زواج إسماعيل ياسين وسعاد وجدى، لم يذهب إلى تياترو ببا عزالدين وفقاً للاتفاق الذى تم بينهما الليلة الماضية، فلم يكن لديه رغبة فى عمل أى شىء، ظل يمشى فى شوارع القاهرة على غير هدى، حتى عاد مرة أخرى إلى شارع عماد الدين، وفجأة وجد نفسه أمام البانسيون الذى تقيم فيه حبيبته الأولى ثريا حلمى.

كان فى ذلك الوقت فى أشد ما يكون إلى صدر حنون يشكو له الغدر والخيانة، يحتاج إلى من يسمعه ويخفف عنه تلك اللحظات القاسية من حياته.

دون أن يدرى وجد قدميه تحملانه إلى حجرة ثريا حلمى فى البانسيون، صعد لمقابلتها واستقبلته بدلال ممزوج بغضب:

- **أنت؟!.. إيه اللى جابك هنا**

**- جاى أعتذر لك.. عن إللى عملته معاكى.. النهارده بس عرفت قيمتك**

- **قيمتى؟!.. روح للست سعاد وجدى خليها تنفعك**

**- أرجوك يا ثريا متجبيش سيرتها قدامى تانى**

التقطت ثريا الخيط.. وفهمت أن هناك مشكلة بين إسماعيل وسعاد وجدى، ولعبت على هذا الوتر المشدود

- **دلوقت مش عايز تسمع اسمها بعد ما فضلتها علىّ..**

**- كـان عندك حق فى كل اللى عـملتـيه معـاها.. ياريتنى كنت سيبـتك خلصتى عليها وخلصتينى منها**

- **وأروح أنا فى داهية.. ابعد كده أنا مخصماك**

**- خـلاص.. من النهـارده مفيش خـصـام.. مش هسيـبك.. ولازم نرجّع اللى فات..**

- **بجد يا سمعة**

**- بجد يا ثريا**

استطاع إسـماعيل أن يقنع الراقصة ثريا حلمى بأن تعود إليه، وقبل أن تفكر وحـتى لا تتردد أخذها على الفور إلى المأذون وعـقد قرانه عليـها وعادا إلى البانسيون زوجين سعيدين.

عادت المياه إلى مجاريها مرة ثانية بين إسماعيل وحبيبته الأولى ثريا حلمى، غيـر أنه لم يكن يدرى أنه يعـيش أيامـاً معـدودة مع السـعـادة، ويعـملان معـاً فى فرقـة ببا عـزالدين، ولكن يبدو أن القدر يقف أمـام سعادته.. أو هو سوء اختيار وتقدير، أو هو استعجال إسماعيل لتكوين الأسـرة التى حرم منهـا، فـقد انتـهى الحب ليسـتيـقظ يومـاً فجـأة على خيانتها له أيضاً.

عاش إسماعيل فى البانسيون مع ثـريا خمسة أيام كان خلالها لا يترك زوجتـه لحظة واحدة، بل وحـرم عليـهـا أن تتـحـدث مع أحـد من نزلاء البانسيون أو زواره، فقد كانت صاحبة البانسيون تسمح لبعض الزوار بزيارة الفنانات لأنه يعـرف أنهم يدفعـون عنهن حـسابهن وبشكل مبـالغ فيه.

وبعد الأيام الخمسة فوجئ بصاحبة البانسيون فى غرفته تعانق وتقبل ثريا وسط دهشة ونظرات إسماعيل:

- **كل سنة وأنت طيبة.. وعقبال ١٠٠ سنة.. النهارده عيد ميلادك.**

**ثم أعطتها سواراً من الذهب بهذه المناسبة وغادرت الحجرة.**

**ـ ما كنتش أعرف إن النهارده عيد ميلادك**

● **وأديك عرفت..**

**ـ بس النهارده مش عيد ميلادك.. عيد ميلادك لسه فاضل عليه خمس شهور**

● **يعنى مش كتر خيرها اللى افتكرته قبلها بخمس شهور**

**ـ أنا مش طرطور.. صاحبة البانسيون مش هتقدر تجيبلك إسورة تمنها أكتر من خمسين جنيه.. الإسورة دى من الراجل اللى كان منتظر إمبارح فى الاستراحة وكان بيبصلك**

ويصفعها إسماعيل على وجهها ما جعلها تنفجر بحقيقة الموقف

● **أيوه هو كده.. وأنا لازم أقبل الحاجات دى.. أنا عايزة أعيش وبحب الدهب.. وأنت مقدرتش تجيب دبلة مش إسورة.**

طلب إسماعيل من زوجته أن تعيد الإسورة ولكن ثريا رفضت، وعاد يحاول بدون جدوى فقد أصرت الزوجة على أن تحتفظ بالهدية ثم بدأت تحتج على القيود التى وضعها إسماعيل حولها، حيث سلبها شخصيتها.

## جحيم الشك

منذ ذلك اليوم تحولت حياة إسماعيل ياسين مرة أخرى إلى جحيم، وبدأت ثريا ترهقه بمطالب لا تحتملها حالته المادية وأخذت تسىء معاملته وكان شبح الطلاق يدخل من النافذة ثم من الباب كلما دخلته صاحبة البانسيون، وبيدها هدية جديدة من الذهب الذى لم تكن ترفضه ثريا أبداً، غير أن إسماعيل لم يكن عنده فى ذلك الوقت أى اتهام ضد زوجته، فقد كانت تنفذ كل تعليماته ولا تغادر غرفتها إلا للضرورة وكان حين يخرج يغلق عليها باب الغرفة بمفتاح ويضعه فى جيبه وصاحبة البانسيون لم تكن تدخل غرفته وغرفة زوجته إلا حين وجوده.

ولكنه رغم كل ذلك لم يعد يتحمل الحياة الزوجية التى انقلبت إلى

جحيم، فقد كانت ثريا تتفنن كل يوم فى خلق ألوان من المضايقات، فضلاً عن الشك والقلق والتعاسة التى كان يعانيها بسبب الغيرة، وفى أكثر من مرة كان إسماعيل يعود فى غير أوقات عودته المحددة إلى البانسيون فيجدها فى غرفتها، ومع ذلك كان الشك يأكل قلبه، فى الوقت نفسه كانت ثريا قد عرفت نقطة ضعفه هذه، وكانت تستغلها أسوأ استغلال، حتى نفد صبره:

● **أنا عارف إنك بتعملى كده علشان أطلقك.. إذا كان ده هيريحك أنت.......**

ولم يكن يتوقع ما حدث، فقد وضعت يدها على فمه حتى لا ينطق كلمة الطلاق، وارتمت تحت قدميه تقسم بأغلظ الأيمان بأنها تعيش له وحده وليس فى قلبها مكان لغيره، وأنها وحيدة وتريد أن تبقى معه طوال عمرها!

أخذت تذرف الدموع وتضمه إلى صدرها، بل وانحنت لتقبل حذاءه وتتوسل إليه بألا يتركها، ومع ذلك فقد كان قلب إسماعيل ولأول مرة فى حياته متحجراً بسبب الشك والغيرة، واقترحت الزوجة أن تسافر إلى الإسكندرية لتقيم أسبوعاً عند أسرتها، وتترك له فرصة التفكير لعله يعدل عن الطلاق.. ووافق إسماعيل على مضض.

سافرت ثريا بالفعل إلى الإسكندرية، وما كادت تغادر البانسيون حتى تنفس إسماعيل ياسين الصعداء، وألقى بهمومه وراء ظهره، وقرر أن يعطى قلبه إجازة من الحب والزواج والخلافات التى كادت تقضى عليه وعلى مستقبله الفنى، فقرر أن يوجه كل اهتماماته إلى عمله، واتجه من فوره إلى فرقة ببا عزالدين، واستطاع أن يعود بسرعة وينافس من جديد، حتى أصبحت المنافسة على أشدها بينه وبين سيد سليمان.

كانت فرقة ببا عزالدين تضم نجوماً آخرين إلى جانب إسماعيل وسيد سليمان، كان منهم المطربة فتحية شريف ـ التى اعتزلت الفن بعد ذلك بسنوات لكى تتزوج من نجم السينما الصاعد عماد حمدى وأنجب منها

ابنه نادر عــمــاد حــمــدى. وكــانت أيضــاً تضم الفنانة ثريا حلمى المونولوجست والممثلة، وليست زوجة إسماعيل ياسين، حيث كانت ثريا قد بدأت تصعد فى عالم المونولوج، فضلاً على المونولوجست اللبنانية نادية العريس.

## لا زواج.. ولا حب

وضع إسماعيل ياسين كل همه فى العمل، نسى تماماً الخيانة والحب والزواج.. لم يتذكر سوى شىء واحد فقط.. هو فنه الذى لابد أن يخلص له، فقد أدى ما حدث فى الفترة السابقة من حب وزواج وخلافات إلى تأخره عن بقية زملائه، فكان لابد من تعويض ما فاته بأى شكل من الأشكال، فأصبح يتفانى فى عمله، فإذا قال أحد نجوم الفرقة خمسة مونولوجات، قدم إسماعيل سبعة، ويطلب الجمهور الزيادة، وإذا قدم غيره سبعة مونولوجات، قدم إسماعيل عشرة.. وهكذا.

بدأت نجومية إسماعيل تعود إلى سابق عهدها، ولكن هذه المرة كانت أشد وأكبر، استطاع خلال أسابيع قليلة أن يتفوق على الجميع، لدرجة أن بعض المجلات الفنية فى ذلك الوقت من العام ١٩٣٨ مثل "الكواكب وروز اليوسف والمصور" بدأت تكتب عن ذلك المونولوجست الأشهر فى شارع عماد الدين.. إسماعيل ياسين.

فما حققه من نجاحات متواصلة، جعل زملاءه الذين يعملون معه يغارون منه ومن نجاحه، ما جعلهم يتكاتفون لكى يكونوا جبهة ضد ذلك المونولجست الذى بدأ يلمع ويغطى عليهم جميعاً، بخفة ظله وجمال مونولوجاته، ومع ذلك لم تستطع هذه الجبهة أن تؤثر فى إصراره على النجاح، خاصة بعد أن عرف نواياهم وما يدبرونه له، فقبل التحدى.

رفض أن يستسلم للخوف من الفشل أو تكتل الزملاء عليه للإيقاع به، وبدأ يعطى كل مونولوج جديد حقه فى الكلمات والتلحين والغناء، لدرجة أنه كان يكلف كل مونولوج جديد ضعف راتبه الأسبوعى الذى يتقاضاه من الفرقة، واضطر لأن يعيش على "سندوتشات الفول والفلافل" فى

وجباته الثلاث يومياً، ويوفر ثمن الطعام لكى يدفعه للمؤلفين أو للملحنين، ولكن فى مقابل ذلك كان حين يقدم المونولوج الجديد يسجل نجاحاً غير مسبوق يدهش الجميع بمن فيهم من يتآمرون عليه، ويزداد حب الناس له وإعجابهم به ويزداد على الصعيد الآخر محاربة أفراد الفرقة له، وإن كان قد كسب الأجواء حوله، وبدأ يجد الكثير من التشجيع من زملائه غير المتنافسين معه، ومن صاحبة الفرقة ببا عزالدين التى وجدت فيه "الفرخة" التى تبيض لها ذهباً.. فكان أغلب الجمهور الذى يدخل إلى صالة ببا يأتى من أجل إسماعيل ياسين فقط تقريباً، وأصبح الجميع إلى جواره مجرد "كمالة عدد"!

## الطلاق الثانى

وبينما كان إسماعيل ياسين يخوض أشرس معاركه الفنية، وأخباره ونجاحاته تنتشر بسرعة النار فى الهشيم، حتى إنها كانت تصل إلى الإسكندرية، وربما خارج القطر المصرى من خلال الفرق التى تسافر وتعود، فوجئ بزوجته الراقصة ثريا حلمى تقيم عليه دعوى قضائية تطالبه بنفقة زوجية، فكما يقول المثل "الصيت ولا الغنى"، فقد ظنت أنه أصبح من الأثرياء، من كثرة ما تسمعه من نجاحات يحققها، ولابد أن تطالبه بالإنفاق عليها.

ولأن ثريا كانت قد ذهبت لتقيم عند أهلها فى الإسكندرية، فقد أقامت الدعوى هناك وحين ذهب إسماعيل لحضور الدعوى هناك، تقابل مع ثريا فى ساحة المحكمة الخارجية، وأقبلت عليه تؤكد:

- **أنا ممكن أتنازل عن القضية بس بشرط**

**ـ إيه هو**

- **نرجع لبعض تانى.. ويا دار ما دخلك شر**

**ـ اللى بتقولى عليه ده مش ممكن يحصل.. خلاص مفيش رجوع**

- **أنت دلوقت ماشاء الله حالتك اتحسنت وصيتك واصل بر مصر كلها**

**ـ قولى كده بقى.. هو ده اللى خلاكى تفكرى تانى فىّ بعد كل الفترة دى.. الفلوس!!**

- **صدقنى أنا لسه بحبك وباقية على العشرة**

**ـ وأنا مبقاش عندى مكان فى قلبى غير لشغلى بس**

رفض إسماعيل العرض.. ولم يكن رفضه لأنه كما قال لم يعد هناك مكان فى قلبه للحب أو الزواج، بل لأن الشك يملأ قلبه من ناحية زوجته، حين كانت تقبل هدايا صاحبة البانسيون، لأنه على يقين أن لكل شىء ثمناً، وأنها لا بد أن تكون قد دفعت الثمن فى كل المرات التى كانت تتلقى فيها الهدايا!

لكن قبل أن يدخلا للمثول أمام القاضى فى المحكمة كانا قد اتفقا على الطلاق، مقابل أن يدفع لها إسماعيل مبلغاً من المال.. على أن تنسى ثريا أنها كانت فى يوم من الأيام زوجة إسماعيل ياسين.. ليتم الطلاق الثانى فى حياته، وهو ما لم يكن يتمناه إسماعيل، فكان كل طموحه أن يكون له زوجة وأولاد.. أسرة بدلاً من تلك التى حرم منها، وكان كل همه أن يحدث ذلك مبكراً، لأنه يريد أن يكون له أولاد يعطيهم من كل ما حرم منه: الحنان والحب والعطف والدفء الأسرى.. غير أن الفشل لازمه فى المرتين، ولم يكن له ذنب فيما حدث، ربما فقط كان اختياره غير موفق، وكان عليه أن يتحمل تبعات اختياراته.



# المنتصر





منذ أن أعلنت الحرب العالمية الثانية فى شهر سبتمبر عام ١٩٣٩.. بدأت جيوش الحلفاء تتدفق على القاهرة، وكان طبيعياً أن تمتلئ صالات الملاهى الليلية والكباريهات فى القاهرة بهم، الأمر الذى جعل رواد هذه الصالات من المصريين ـ أو أغلبهم ـ يتجنبون دخول هذه الأماكن حتى لا يتعرضوا إلى الأذى وإلى اعتداء الجنود السكارى، ففى كل الحالات هم الخاسرون.

الأمر الذى انعكس أيضاً على الفنانين والمطربين الذين كانوا يعملون فى هذه الأماكن، فكان بعضهم يرفض، والبعض الآخر يخاف العمل فى وجود هؤلاء.

فى هذا الوقت بدأ إسماعيل ياسين يفكر فى طريقه ينسحب بها من العمل فى الملاهى الليلة وبدأ يمل من أن يفتح الستار فلا يجد أمامه من يسمعه سوى الوجوه الحمراء من السكارى والذين لا يفهمون حتى ما يقوله.

كان الأمر يبدو صعباً عليه إلى حد كبير، ذلك لأنه كان يعيش من وراء العمل فى الملاهى، ولابد له أن يجد مورد رزق آخر حتى يتمكن من ترك العمل فى الفرقة، أو هذه النوعية كلها.

اجتمع ذات يوم فى مقهى الفن مع عدد من زملائه الذين كانوا يفكرون

فى الأمر مثله، واقترح عليهم إسماعيل فكرة جديدة، وهى أن يقدموا استعراضاً فنياً فى أحد المسارح بشرط ألا تقدم الخمر للزبائن فى هذا المسرح، حتى يضمنوا ألا يدخله الجنود الإنجليز، باعتبارها السبب الرئيسى والأساسى لوجودهم فى الملاهى والصالات.

درس إسماعيل الفكرة بسرعة، وذهب مع مجموعة من الزملاء وعرضوا الفكرة على "الست بديعة" التى وافقت على الفور على تمويلها، على أن يتم تنفيذ الاستعراض تحت إشرافها، وقدمت الفرقة أول استعراض غنائى راقص لها عنوانه "٩٩ مقلب" كتبه مؤلف جديد بدأ اسمه يلمع، كان يدعى "أبو السعود الإبيارى" وتقاسم بطولته يومها إسماعيل ياسين مع بشارة واكيم، وراقصة جديدة بدأت تلمع فى ذلك الوقت وتتبناها بديعة مصابنى، اسمها تحية كاريوكا.

لاقى العمل نجاحاً كبيراً من الجمهور المصرى والعربى الذى كان قد قاطع الملاهى الليلية، غير أن الربح كان قليلاً، بسبب عدم تقديم مشروبات، وإن كان أفراد الفرقة قد وجدوا أن الربح يزيد يوماً بعد يوم فيما بعد، ولكن كانت الصدمة التى تلقاها الجميع، عندما توجه أفراد الفرقة إلى المسرح ذات يوم ليجدوه مغلقاً، وبأمر من صاحبته بديعة مصابنى!!

هرع الجميع ليعرفوا السبب من بديعة فقالت لهم ببساطة:

● **مالكم.. فى إيه؟!**

**ـ المسرح مقفول ليه يا سلطانة**

● **كان لازم يتقفل.. ما هو بصراحة كده ماكنش فيه مكسب.. ده كمان كان فيه أيام كنت بخسر.. وبدفعلكم أجوركم من جيبى.. وأنتم مترضوش لىّ بالخسارة**

**– بس يا سلطانة إحنا نجحنا بيك وبمساندتك**

● **يا فرحتى.. نجاح من غير فلوس.. زى قلته**

**– يعنى مفيش أمل نرجع نشتغل تانى**

**● لا.. الأمل موجود صبركم بس علىّ.. أنا اشتريت حتة أرض فى ميدان إبراهيم باشا - ميدان الأوبرا - وهبنى عليها مسرح بديعة.. علشان يبقى ملكى.. لا أدفع إيجاراً ولا أتنقل كل يوم فى مكان بالفرقة.**

**– وده قريب يا سلطانة**

**● طبعا.. كلها ست أشهر ويبقى جاهزاً.**

عليهم أن ينتظروا ستة أشهر فقط لينتهى البناء ثم يعملوا فيه!

كانت السينما المصرية فى ذلك الوقت من نهاية الثلاثينيات، أصبح لها وجود كبير ولافت للأنظار، حيث كانت هى الوحيدة فى المنطقة الناطقة باللغة العربية، وكما كان لكل فن نجومه، فى المسرح والغناء والمونولوجات والإذاعة، أصبح للسينما أيضاً نجومها الذين كان لهم سحر خاص.. لما لهذا الفن من خصوصية، لأنه يشبه فى الشكل والمضمون فعل السحر.

وبسبب الأحداث السياسية وظروف الاحتلال، كان النوع السائد من الأفلام هو الأفلام الاجتماعية والميلودرامية، فضلاً على الأفلام الكوميدية، وكانت الكوميديا السائدة فى أغلب ما يقدم من أفلام، هى تلك التى كانت تعتمد على الشخصيات والأنماط الشعبية المستمدة من الموالد والمسرح الشعبى وفن "الأراجوز"، كالعمدة والعسكرى والخواجة والزوجة والحماة، وبينها البطل الشعبى الذى كان يشبه إلى حد ما الشخصية الأسطورية "جحا"، فالبطل فى تلك الأفلام الكوميدية الأولى كان يصطنع البلاهة ليتمكن من السخرية من كل شىء، حتى من نفسه.. دون قيود، وكان فى الغالب فقيراً، يمتلك القدرة على اختراق مظاهر الطبقة الثرية وكشف حقيقة شخصياتها، كأنه ينتقم بذلك لنفسه ولشريحة كاملة من الفقراء من هؤلاء الذين يعيشون على دمه وعرقه.

ولم يكد مسرح بديعة مصابنى يغلق أبوابه فى وجه نجومه، ومن بينهم

إسماعيل ياسين، الذى خرج من عندها وكل ما يمتلكه ٦٠ قرشاً فى جيبه، ووفق كلام الست بديعة لا بد أن تكفيه ستة شهور، أى عليه أن ينفق عشرة قروش فى الشهر!!

ولكن السماء ترسل له الحل ـ كالعادة ـ غير أن الحل هذه المرة يختلف عن كل المرات السابقة.

## أبواب السينما

بينما يجلس إسماعيل على مقهى بشارع عماد الدين، يفكر فيما يمكن أن يفعله بعد أن أغلقت بديعة مسرحها، وماذا سيفعل بالمبلغ الذى يوجد معه، راح يفكر ولكنه ترك التدبير لله، وعندما هم بالانصراف من المقهى، استوقفه شخص اقترب منه وأعاده للجلوس، يبدو أنه يعرفه:

**● أستاذ إسماعيل ياسين**

**ـ أيوه يافندم.. أى خدمة.. أنا.. أنا متهيألى شفت حضرتك قبل كده**

**يضحك وهو يجلس:**

**● جايز.. أنا اسمى فؤاد الجزايرلى**

**ـ أيوه كده صح.. أستاذ فؤاد المخرج السينمائى المشهور**

**● أيوه أيوه.. اسمع يا أستاذ إسماعيل.. من الآخر ودون مقدمات أنا باعمل فيلم جديد.. وفيه فنانين كتير وشخصيات كتيرة.. فوزى الجزايرلى وإحسان الجزايرلى وأنور وجدى وعباس فارس وتحية كاريوكا ومحمد عبدالمطلب وأدمون توما.. وغيرهم، واسم الفيلم "خلف الحبايب"**

**ـ إللى جابلك يخليلك يا فؤاد بيه**

**● ظريف.. ظريف.. ماهو علشان كده أنا اخترتك معايا فى الفيلم الكوميدى ده.**

**ـ يا فرج الله.. سيما حتة واحدة! أنا أمثل فى السيما**

**● إيه رأيك يا بطل**

**ـ سينما!! وكمان بطل**

**● لا.. لا.. مش قوى كده.. أنت هتعمل دور صغير.. بس هايل.. وبكره يا سيدى الصغير يكبر.**

تحدد الموعد.. وكان إسماعيل ياسين أول من يصل إلى استوديو مصر، فى انتظار وصول بقية فريق العمل بفيلم "خلف الحبايب" لبدء التصوير، كانت الأجواء هادئة.. مجرد مكان كبير فسيح يشبه ساحة انتظار السيارات، غير أن له سقفاً يغطيه، ومعلق فيه العديد من أعمدة الإضاءة..

بدأ وصول الفنيين وعمال الديكور والإضاءة، وخلال ساعات قليلة، وحين قام العمال بتركيب الديكورات التى كانت معدة سلفاً، تحول المكان الفسيح الخالى إلى "شقق وممرات وحجرات نوم، وصالونات"، حتى أصبح شيئاً مختلفاً تماماً، بعدها بدأ وصول الفنانين المشاركين فى العمل، وكان إسماعيل يسمع عن نجاحات بعضهم فقط دون أن يراه.. غير أن المدهش أن إسماعيل فوجئ بأنهم جميعاً يعرفونه اسماً وشكلاً.

وما إن دارت كاميرا المخرج فؤاد الجزايرلى حتى أصابت إسماعيل الدهشة من جديد، ما هذا السحر؟ وما هذا الأسلوب الذى يعملون به؟ مجرد أن يقف الفنانون كل فى المكان المخصص له، وما إن يصيح المخرج: أكشن.. حتى يبدأ الجميع فى حركة منتظمة وكلام منظم، كل منهم يعرف دوره وموعد دخوله وخروجه من وإلى أمام الكاميرا بالثانية دون أدنى تأخير أو تقديم.

وما إن وقف إسماعيل أمام الكاميرا، حتى نسى بعضاً مما كان يحفظه من دوره، وقبل أن يتوه أو يتوقف عن الكلام كان ذهنه حاضراً، حيث استخدم بعض الكلمات البديلة، وأضاف إليها حركات تناسب الكلمات، وعندما جاء مساعد المخرج ليشير له بالتوقف، فليس هذا هو الكلام المكتوب فى دوره، فوجئ بالمخرج يشير له بأن يستمر، فقد أدهشته

سرعة بديهته وذكاؤه، لدرجة أن الإضافات التى قدمها من عنده كانت أفضل كثيراً مما كان مكتوباً له، وهو ما لفت أيضاً أنظار الممثلين الذين يعملون أمامه فى الفيلم، حيث كان أغلبهم فى بداياتهم أيضاً، أنور وجدى، تحية كاريوكا، عباس فارس، وغيرهم.

الأهم من ذلك أن الفنان فوزى الجزايرلى بعد أن انتهى من تصوير الفيلم، راح يعبر عن إعجابه بأداء إسماعيل، وكأن له بصيرة نافذة، حيث وقف بين المشاركين فى الفيلم وقال لهم:

● **عليكم أن تخافوا من هذا الفنان.. فالمستقبل له.**

كان هذا الكلام بمثابة شهادة تقدير من فنان كبير لفنان يبدأ حياته، وفى الوقت نفسه جرس إنذار للجميع بأن إسماعيل ياسين قادم.

## العودة إلى الشام

ولم ينته عام ١٩٣٩ إلا وكان قد أعلن عن ميلاد إسماعيل ياسين سينمائياً، وإن كان فى دور صغير لم يكف بالطبع أن يعدل أوضاعه المالية، وكان لابد من البحث عن عمل جديد.

عاد للتعاقد مع فرقة ببا عزالدين، والتى كانت فى ذلك الوقت تستعد للسفر إلى لبنان فى رحلة فنية، وشكلت فرقة تضم المطرب الشعبى محمد عبدالمطلب وأنصاف محمد، وسعيد مجاهد، الذى كان صاحب ملهى رمسيس وزوجته الراقصة زيزى سعيد، ومعهم عشر راقصات من أجمل البنات اللواتى يعملن فى الفرق المتنقلة فى ذلك الوقت، وما كادت "ببا" ترى إسماعيل حتى بادرت:

● **أنت فين يا إسماعيل..**

**ـ أنا موجود تحت أمرك**

● **طيب أنا عايزاك تجهز نفسك علشان تسافر معايا أنا والفرقة.. عندنا رحلة للشام.**

بدأت الفرقة عروضها فى فلسطين، وبدأ إسماعيل -كعادته- يلمع

ويلفت الأنظار بمونولوجاته، وخطر على رأس ببا عزالدين فجأة أن تطور نفسها، فقررت أن تقوم بإلقاء المونولوجات إلى جانب الرقص، رغم أن صوتها كان ضعيفاً ولا تؤدى بشكل جيد، فإنها لاقت نجاحاً كبيراً، لأنها كانت تؤدى المونولوج يصحبه حركات راقصة، فكانت الحركات الراقصة تغطى على ضعف الصوت والأداء، وبخبرته فهم إسماعيل ذلك، وراح يشجعها:

**● أنا ماكنتش أعرف إنك بتقولى مونولوجات بالحلاوة دى؟**

ظن أعضاء الفرقة أن إسماعيل يسخر منها ولكنه ينافقها، وكانوا يضحكون على طريقة أدائها، ومضطرين لمنافقتها لأنها فقط صاحبة الفرقة التى يعملون بها!

ولأن إسماعيل هو الذى شجعها بصدق طلبت ببا من مدير الفرقة أن يرفع أجره من ٢٠ جنيهاً فى الشهر إلى ٤٠ جنيهاً، بل وبدأت تدعو إسماعيل بعد ذلك إلى الحفلات التى كان أثرياء تلك البلاد يدعون الفرقة إليها فى حفلاتهم الخاصة، بعد أن ظلت تعتبر أنه فى البداية مجرد فنان مغمور لا يستحق أن يدعى إلى مثل هذه الحفلات الكبيرة الخاصة، مثله مثل الممثلين الثانويين وبعض الراقصات.

واستمر نجاح الفرقة وفى هذا الوقت كون إسماعيل ياسين مع زميلته المونولوجست ثريا حلمى، ثنائياً داخل الفرقة، وكانا يقدمان بالإضافة إلى وصلتهما منفصلين، فقرة "دويتو".

ولأن اسم الفنانة ثريا حلمى كان يذكره دائماً باسم زوجته الأولى، كان ذلك يسبب له ضيقاً، حتى تجرأ ذات يوم وطلب من ثريا أن تبدل اسمها لأنه يذكره باسم زوجته السابقة، وما تحمله ذكراها من إساءة له، على أن ثريا اعتبرت ذلك إهانة لمكانتها الفنية وردت عليه بجفاء:

**● شوف يا إسماعيل أنا مقدرة الكلام اللى أنت بتقوله، لكن أنا معنديش استعداد أغير اسمى اللى اتعرفت بيه واشتهرت بيه علشان خاطر راقصة مغمورة اسمها على اسمى.. انساها يا أخى.**

وأصرت ثريا على أن يبقى اسمها كما هو، بل ورفضت بعد ذلك أن تعمل مع إسماعيل، ولذلك كون ثنائياً مع ببا عزالدين، ثم إنصاف محمود.

كان فى كل ليلة يظهر فى دويتو مع ببا ثم مع إنصاف، وبعدها يظهر بمفرده ثم يشترك فى الاستعراض الغنائى الذى تقدمه الفرقة كلها، وحين ينتهى من عمله يكون فى غاية الإرهاق ليعود إلى أحد الفنادق المتواضعة التى تنزل به الفرقة، ويلقى بنفسه فى السرير لكى يستغرق فى نوم عميق.

تابع إسماعيل ياسين رحلته مع فرقة ببا عزالدين، حتى وصلت الفرقة إلى بيروت واستقبله الناس هناك استقبالاً رائعاً، غير أنه ما إن وصل إلى بيروت حتى عرف أن الفنانة اللبنانية "نادية العريس" تعمل مع فرقة تحمل اسم الفنان "على العريس".. وفى تياترو كان اسمه "الكاريون" وأن نادية كانت تلقى مونولوجات إسماعيل ياسين على أساس أنها خاصة بها، وأنها من ألحان زوجها على العريس، الأمر الذى سبب ضيقاً كبيراً لإسماعيل، وأراد أن يصحح الوضع ويعطى نادية وزوجها درساً لا ينسيانه، فما كاد الستار يفتح فى الحفلة الأولى، حتى أشار إلى الفرقة الموسيقية بالتوقف عن العزف ووقف يخاطب الجمهور:

**● طبعا أنتم عارفين أنا بحبكم قد إيه.. وبحب كل جمهور الشام لأنه وقف جنبى وشجعنى وله نصيب فى نجاحى.. لكن أنا من وقت ما جيت على بيروت وأنا سامع إن فيه فنانة هنا بتقول كل مونولوجاتى على اعتبار أنها خاصة بها ومن ألحان زوجها.. والكلام ده مش صحيح.. لأن المونولوجات دى نتاج تعبى ودفعت تمنها من عرقى ومن دم قلبى.. وألحان وجهد ناس محترمة.. ومن يدعى أنها ملكه فهو كاذب.**

صفق له الجمهور طويلاً.. ثم ألقى إسماعيل المونولوجات بطريقته الخاصة، وبعد أن أسدل الستار مباشرة فى ذلك اليوم ذهب من يبلغ

نادية وعلى العريس بذلك، وتوقفت نادية منذ ذلك اليوم عن إلقاء مونولوجات إسماعيل ياسين.

استمر عمل الفرقة فى بيروت أسبوعين فقط وسط نجاح كبير، ومن بيروت انتقلت الفرقة إلى طرابلس، حيث نجحت فى عروضها، ثم انتقلت إلى حمص وحماة، وكانت الخطوة التالية.. إلى حلب!!

وتذكر إسماعيل ياسين الفشل الذريع الذى لاقاه فى حلب ذات يوم لم يكن بعيداً، واعتراه شعور بالخوف لأنه خشى الذهاب إلى مدينة شهدت ذات يوم فشله الذريع، وخاف أن يعود مع فرقة ببا عزالدين إلى مدينة حلب وأن يتكرر ما حدث فيها، واعتراه شعور بالقلق لأنه لم ينس كيف أنه هرب من هذه المدينة بناء على اقتراح أبو جورج والد المطربة نور الهدى. ولكنه لم يستطع أن يترك فرقة ببا.. واضطر لأن يسافر مع الفرقة إلى حلب.

وفور وصوله إلى المدينة ذهب إلى صديقه القديم صاحب ملهى "اللونا بارك" زكى الضاهر على اعتبار أنه الرجل الذى وقف إلى جانبه رغم فشله والذى أعطاه أجره كاملاً، وأكد يوماً فى حفل وداع أقامه له بأنه لم يفشل، بل الجمهور هو الذى فشل فى فهم فنه، وتنبأ له بأنه سيكون له مستقبل باهر.

استقبله زكى الضاهر أيماً استقبال، ورحب به ترحيباً كبيراً، ودعاه إلى تناول الغداء معه واستطاع أن يملأ قلبه بالأمل والثقة بالنجاح.

تركه إسماعيل وهو مطمئن إلى حد ما، وذهب إلى "الفندق" الذى نزلت فيه الفرقة، وحاول أن ينام قليلاً قبل موعد العمل ولكن النوم جافاه، وظلت أعصابه مشدودة وظل يروح ويجىء فى غرفته بعد أن سيطر عليه الشك فى عدم النجاح وشعر بأنه سيبدأ حياته الفنية من جديد فى تلك الليلة.

وذهب إلى المسرح مساء وهو يدعو الله أن يوفقه، وأن يكون النجاح حليفه فى هذه المرة.

## الثأر من الفشل

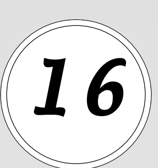
وقف بين الكواليس مشدوداً، وعندما أعلن المذيع عن اسمه دخل وهو يرتعد إلى خشبة المسرح، غير أن الجمهور استقبله من جديد استقبالاً حاراً، وحين ألقى مونولوجه الأول فوجئ بالجمهور يصفق له بحرارة عقب كل مونولوج يلقيه، وحين أنهى وصلته صفق له الجمهور بحماس للدرجة التى أبكته وهو يقف على خشبة المسرح، بل إن صديقه الحلبى زكى ضاهر، بكى أيضاً وصفق طويلاً، وراح الجمهور يطلب من إسماعيل أن يستمر، واضطر لأن يقدم مونولوجاً آخر حتى أنه قدم ستة مونولوجات، وحين أسدل الستار نزل وهو يبكى ويحمد الله، فالنجاح هذه المرة له طعم يختلف عن أى مرة سابقة، حيث كان تحدياً حقيقياً، ووجد وراء الكواليس زكى ضاهر وببا عزالدين وهما يبكيان أيضاً بفرحة حقيقية، وزكى ضاهر يتهلل فرحا ويأخذه بالأحضان:

**● مبروك يا إسماعيل، مبروك.. لقد نجحت نجاحاً رائعاً.. نجحت لدرجة أنك انتقمت لفشلك السابق فى حلب، أنت فنان رائع ألم أقل لك هذا الكلام؟**

وتدخلت ببا وهى تبكى أيضاً:

**ـ أنت رفعت راسنا كلنا يا إسماعيل.. أنا مكنتش متصورة إن عندى فنان فى فرقتى بالقيمة دى!**

كان جواب إسماعيل الوحيد عليهما هو البكاء المتواصل.



# 16 الستات ما يعرفوش يكدبوا





شعر إسماعيل ياسين فى ذلك اليوم أنه ثأر لنفسه من الفشل الذى لاقاه من قبل فى حلب وجمهورها، فما حققه اليوم من نجاح يفوق إحساسه بأى خطوات ناجحة مر بها من قبل، وهو ما جعل الجميع يشعرون بحجم السعادة التى يعيشها إسماعيل قى ذلك اليوم، الأمر الذى جعل صديقه زكى الضاهر يقرر الاحتفاء به على طريقته.

عاد زكى الضاهر إلى بيته ليقيم له حفلة أخرى بعد النجاح الكبير، ووعده إسماعيل بتلبية هذه الدعوة بعد أن ينتهى من الاشتراك فى الاستعراض الكبير.

وبالفعل يذهب إسماعيل إلى بيت زكى ضاهر بعد انتهاء العمل، غير أنه وجد البيت وقد خيم عليه السواد ويسمع أصوات بكاء وعويل.. اندهش من ذلك وراح يسأل أول شخص قابله قبل أن يدخل إلى البيت عن سر هذا السواد المخيم على البيت:

● **البقية فى حياتك.. الأستاذ زكى ضاهر مات فجأة بالسكتة القلبية.**

**- إمتى..؟**

● **مفيش من شوية.. ده كان لسه راجع وفرحان ومبسوط جداً.. منعرفش إيه اللى حصل.. يظهر إن الفرحة كانت أزيد من اللازم.**

نزل الخبر على رأس إسماعيل كالصاعقة، أصابه بحزن عميق، ووجد

نفسه فجأة منخرطاً فى موجة بكاء حادة وهو ينعى ذلك الصديق الذى أعاد إليه الثقة فى نفسه، ولم يترك البيت فى صباح اليوم التالى، إلا بعد أن اشترك فى تشييع جنازة صديقه زكى الضاهر.

كانت صدمة إسماعيل فى هذا الصديق الوفى كبيرة، فعلى الرغم من أنه كوّن صداقات كثيرة، فإن عددا قليلا منهم من حفر مكانة خاصة فى قلبه، وكان من بينهم زكى الضاهر، رغم أن إسماعيل لم يلتق به سوى مرتين: الأولى كانت فى زيارته الأولى لحلب وفعل زكى هذا الموقف النبيل مع إسماعيل، رغم أنه لم يكن وقتها نجماً كبيراً، حتى بمقاييس ذلك الوقت، وكان مجرد فنان ناجح لديه مقومات النجومية، وإن كانت لم تظهر بعد، ومع ذلك وقف بجانبه وكأنه نجم كبير أو صديق عمر، وكانت المرة الثانية هى هذه المرة التى زار فيها إسماعيل حلب، حيث فرح زكى من قلبه لنجاحه هذه المرة، وكأنه شريك فى هذا النجاح، أو هو نجاح لعزيز لديه.. وفجأة وبينما هو يستعد للاحتفال به وبنجاحه يخطفه الموت!. ذلك المجهول الذى عاش إسماعيل يخشاه ولا يحب سيرته، منذ أن خطف أمه وهو لايزال طفلاً، ليذوق بعد رحيلها كل أشكال العذاب، وكذلك عندما كان ينزل ضيفاً على هذا الموت بشكل يومى فى المقابر بأمر جدته "أليفة" التى لم تكن تحمل أى صفة من اسمها، حيث كانت ترغمه على أن يذهب معها للمقابر!!

منذ ذلك التاريخ وإسماعيل يكره الموت.. ويكره سيرته.. وها هو يخطف منه الآن واحدا ممن أحبوه بإخلاص!!

كل هذه المشاعر والأحاسيس كانت تسيطر على قلب إسماعيل، وهو ما جعل الصدمة شديدة قوية بالنسبة له، ومع ذلك اتجه إسماعيل فى المساء إلى المسرح وقدم فقرته فى ذلك اليوم بالإحساس نفسه، والمقدرة نفسها، إلا أن كثيراً من الجمهور الذى حضر شعروا بمدى المأساة التى يعيشها إسماعيل بفقدانه صديقه زكى الضاهر، فقد انتشر الخبر وعرفت حلب بأكملها برحيل هذا الرجل، وكانوا يعرفون مدى العلاقة بينه وبين إسماعيل، لهذا ما إن انتهى من فقرته حتى صفق له الجمهور

بحرارة غير عادية، وحين اشترك فى الاستعراض الجماعى، ورغم حزنه الكبير استطاع أن يضحك الناس بشكل أكبر من أى يوم آخر، بينما هو يبكى فى أعماقه!

استمر عمل الفرقة فى حلب، ما يزيد على شهر، بعد رحيل زكى الضاهر، وهى تصادف نجاحاً مستمراً، وظل إسماعيل خلال هذه الفترة يرتدى "الثياب السوداء" على الرغم من كراهيته لهذه الثياب، ولكنه أصر أن يظهر بها طوال الوقت حزناً على صديقه الذى رحل، بل كان يذهب كل يوم بعد انتهاء فقرته بالفرقة لكى يطمئن على أسرته ويسألهم إذا ما كانوا يريدون شيئاً فعله لهم، فلم يكونوا فى حاجة إلى أموال، حيث كانت حالتهم ميسورة، ولكن فقط يفعل ذلك وفاء لذكرى الصديق.

## الغيرة من النجاح

انتقلت الفرقة بعد ذلك إلى مدينة "دير الزور" السورية وقد وصلت إليها بعد يوم سفر كامل، ولم يجد أفراد الفرقة بعد هذه الرحلة الشاقة سوى فندق صغير واضطروا لأن يناموا مكدسين فى غرفة واحدة، ولم يستقبل جمهور المدينة عرض الفرقة بالإعجاب فى بادئ الأمر، إلى أن ظهرت فرقة إسماعيل ياسين فإذا بالجمهور يلاقيه بحرارة ويقاطعه أكثر من مرة فى المونولوج الواحد بسبب التصفيق. وخرج إسماعيل بهذا النجاح الجديد من المدينة التى كان يزورها لأول مرة، الأمر الذى جعل كل من حوله يغارون منه، زملاءه فى الفرقة، بل صاحبة الفرقة نفسها، وهنا أراد البعض خلق "وقيعة" بينه وبين صاحبة الفرقة ببا عزالدين، فقد تضطر للاستغناء عنه، إذا ما اقتنع إسماعيل أنه هو الشخصية الأهم فى الفرقة، وأظهر نجوميته أمام ببا.

وقرر أحد زملائه فى الفرقة أن يلعب هذه اللعبة معه، فما إن نزل إسماعيل من فوق خشبة المسرح، وأصوات هتافات وتصفيق الجمهور تدوى فى كل مكان، حتى اقترب منه هذا الزميل وهنأه بالطريقة التى يمكن أن تقلب تفكير إسماعيل:

**● ألف مبروك يا سمعة.. ألف مبروك.. والله فرحت لك من قلبى**

**- متشكر قوى يا رجب..**

**● بس شفت بقى جالك كلامى؟!**

**- مش فاهم تقصد إيه**

**ولم يدر إسماعيل أو هذا الزميل أن ببا كانت مقبلة عليه لتهنئه، وما إن سمعت الحديث الذى دار بينهما حتى وقفت خلف الستار تسمع ما يقال:**

**● أقصد اللى أنت شايفه وسامعه ده.. النجاح الهايل اللى أنت عملته.. مش زى ببا عزالدين اللى طلعت على المسرح زى ما نزلت.. ولا حد حس بيها**

**- لا يا أخى متقولش كده.. ببا فنانة كبيرة ولها اسمها برضه**

**● يا عم قول يا باسط.. ما خلاص راحت عليها.. يعنى هى هتبقى أحسن من مين.**

**- أرجوك يا رجب أنا محبش أسمع الكلام ده**

يبدو أن ببا واجهت موقفاً مع جمهور هذه المدينة، قريباً من الموقف الذى واجهه إسماعيل ياسين من جمهور حلب، وإن لم يكن يماثله، غير أن الجمهور لم يكن مُرحباً بها كما يجب، أو لم يقدرها التقدير الذى تستحقه.

ولم ينتبه الزميل الذى قال هذه الجملة أن ببا كانت تقف خلفهما وسمعت كل ما قاله، وعندما انتبه لوجودها ارتبك ولم يعرف أن يبرر ما قاله، بل حاول أن يورط إسماعيل معه:

**● الحمد لله أهى الست ببا جت.. أنا لسه بقول لإسماعيل إن لولا الست ببا مكنتش وصلت للنجاح ده..**

ووجدها لم تعلق على هذا الكلام وتظاهرت بأن شيئاً لم يحدث، غير أن إسماعيل وقف مندهشاً من هذا المنافق وهو ما أثار غضبه، وعندما لاحظ الرجل ذلك حاول ثانية إخراج نفسه من هذا الموقف:

**● بصراحة كده أنت غطيت على الكل يا سلطانة.. بس إسماعيل كمان يستحق والله النجاح ده.**

**فرد إسماعيل غاضباً:**

**- اسمع يا رجب.. لا شهادتك ولا شهادتى هى اللى ممكن تدى الست ببا حقها.. ببا عزالدين سواء فى مصر أو بر الشام كله اسمها زى "الطبل" ومفيش داعى للكلام الكتير.**

كان لابد أن تظهر ببا عدم اكتراثها بهذا الكلام وكأنه لا يعنيها، ولم تزد عن:

**●● مبروك يا إسماعيل كنت هايل.. روح شوف شغلك يارجب!**

ولكن حقيقة الأمر أنها تضايقت من هذه الإهانة الموجهة لها، فلم تكن تصدق أن أى نجاح لكائن من كان يمكن أن يأخذ من نجاحها أو يزيحها من فوق القمة التى باتت تتربع عليها، لدرجة أنها أصبحت تتخطى بديعة مصابنى وشهرتها الذائعة، لذلك لم يكن مستغرباً القرار الذى اتخذته فى اليوم التالى، حيث طلبت من الفرقة أن توقف عملها على الفور فى هذه المدينة، وأن تغادرها إلى بيروت من جديد!

مرة أخرى لاقت الفرقة نجاحاً كبيراً فى بيروت أياماً، استطاعت خلالها ببا أن تثبت لنفسها، قبل أن تثبت لإسماعيل ولرجب عضو الفرقة الذى قال عنها هذا الكلام، أنها لاتزال ببا عزالدين، التى تهتز لها الأجساد قبل القلوب، ما أعاد إليها الثقة فى نفسها، وجعلها تقرر العودة مرة أخرى بالفرقة إلى سوريا، ولكن فى هذه المرة عادت إلى دمشق.

## سوء الحظ

لم تكد الفرقة تحط رحالها فى دمشق، وقبل بدء أى نشاط، حتى تلقت صاحبتها ببا عزالدين إنذاراً من السلطات السورية، من الأمن العام على وجه التحديد، بعدم السماح لها أو لأى راقصة أو ممثلة فى

فرقتها بالاختلاط بالجمهور ـ كعادة ذلك الوقت من مجالسات مع الزبائن وتناول الشراب معهم ـ وعلى الرغم من أن هذا التنبيه كان صادماً فى بداية وصول الفرقة، فإن ببا حاولت أن تلتزم ذلك بالفعل، غير أنه تعذر عليها أن تراقب كل الفتيات اللواتى كن يتلقين دعوات سخية من المعجبين، وخاصة من اللبنانيين الذين لحقوا بالفرقة إلى دمشق، باعتبار أن المسافة قصيرة بين بيروت ودمشق، واضطرت ببا لأن تجمع كل عناصر الفرقة وأن تخبرهم بأوامر السلطات السورية، وطلبت من إسماعيل أن يساعدها فى إفهام بنات الفرقة ضرورة الالتزام بالأوامر، وتظاهر الجميع بالاقتناع، ولكن كل واحدة منهن هرعت بعد ذلك إلى صديق كان ينتظرها وعدن إلى سيرتهن الأولى، فى مجالسة "الزبائن" ويتدخل رجال الأمن من جديد للشكوى من راقصات الفرقة وممثلاتها، ولم يسع ببا إلا أن تنفذ اقتراحاً قدمه لها إسماعيل ياسين وهو أن يتولى رجال الأمن أنفسهم منع البنات من ذلك!

لكن القرار الذى راح رجال الأمن يطبقونه، لم يطبق على نساء الفرقة فقط، بل كان على رجالها أيضاً، وظل الجميع فى غير أوقات العمل داخل الفندق لا يتحركون منه، حيث ينتشر رجال الأمن فى كل مكان بالفندق وخارجه، فكان أن يقتلوا الوقت بالتسالى بلعب الورق، الذى لم يكن إسماعيل يطيقه، فيما كان يقضى وقته فى النوم أو إلقاء النكات وتقديم مشاهد كوميدية ساخرة لزملائه بالفرقة.

ثم حدثت مفاجأة هزت الفرقة كلها، ففى أحد الأيام وبينما الجميع ينامون فى الثالثة صباحاً، سمع الجميع دقاً عنيفاً على باب الفندق، وحين فتح الباب تقدم اثنان من رجال البوليس، فقد أمسكا بثلاث بنات من أعضاء الفرقة تم ضبطهن فى الخارج، وكن قد هربن من رقابة رجال البوليس فى الفندق، وتبين بعد البحث والتحرى أنهن هربن عن طريق النافذة الخلفية، حيث قفزن إلى الأرض من ارتفاع مترين وبررت كل واحدة منهن هربها بأنه كان من شدة الحرارة داخل الغرف وأنهن خرجن لشم الهواء.. فقط!

ثارت ببا عزالدين.. وثار إسماعيل ياسين أكثر وطلب من جهات الأمن اتخاذ ما تراه ضرورياً فى مثل هذه الأحوال:

**● سيادتك موجود هنا بتمثل القانون**

**- إيه مظبوط.**

**● خلاص.. أنا بالنيابة عن نفسى، وكمان بالنيابة عن الست ببا صاحبة الفرقة، بنقولك نفذ الإجراءات اللى بينص عليها القانون فى الظروف دى.**

**● والله نحن كلنا بنقدرك أستاذ إسماعيل.. وبنقدر الست ببا لكن مو هيك**

**- وعلشان هيك إحنا بنقولك خد إجراءاتك**

لكن يبدو أن موقف الفتيات الثلاث لم يضر بهن وحدهن، بل أضر بالجميع، فحين تقرر اتخاذ ما هو ضرورى تجاه ما حدث، صدر قرار عن جهات الأمن ليس بترحيل الفتيات الثلاث فقط، بل ترحيل الفرقة كلها من الأراضى السورية!!

## تقدير خاص

حاولت ببا عزالدين وزوجها أنطوان عيسى - ابن شقيقة الفنانة بديعة مصابنى - يومها مقابلة وزير الداخلية للتوسط لديه من أجل بقاء الفرقة والاكتفاء بترحيل الفتيات، لكن الوزير اعتذر بعد أن عرف سبب المقابلة.

حاولت ببا مع زوجها أنطوان، وإسماعيل ياسين مقابلة أى مسئول فى وزارة الداخلية، وقابلهم مدير الأمن العام:

**● صدقونى أنا باعتذر منكم.. لكن ما فى حل آخر.. لابد من ترحيل الفرقة بأكملها**

**- إحنا بس بنطلب مهلة لحين انتهاء العقد.. لأن هناك التزامات وعقودا**

**● والله ما فى مجال.. لكن فيه حل وسط.**

**وتهلل الجميع:**

**●● ياريت.. الحقنا به**

**● نحن من شان خاطر الأستاذ إسماعيل بنمد المهلة بدلاً من الترحيل اليوم.. إلى ٤٨ ساعة.. أمامكم يومين كاملين بتدبروا حالكم**

**- أيوه بس كده خراب بيوت**

**● ما باليد حيلة هذه أوامر!!**

بذكاء فهمت ببا ما لإسماعيل ياسين من تأثير وحب قويين على الجميع هنا فى سوريا، فكان لا بد أن تدفع به ربما استطاع هو أن يحل الأزمة، ومن جديد لجأ إسماعيل ياسين إلى وزير الداخلية، الذى وافق بالفعل هذه المرة على مقابلته ولكن بمفرده:

**● أستاذ إسماعيل أنت تعرف إننا إخوة فى الوطن والعروبة.. والإخوة المصريين إلهم تقدير ومحبة خاصة.. ومن بين الإخوة المصريين أنت لك تقدير ومحبة خاصة من كل الشعب السورى.. لكن سامحنى هذه قوانين دولة.**

**- وإحنا بنقدر ونحترم قوانين الدولة.. لكن بس بنطلب ألا يكون العقاب جماعيا، لأن زى ما حضرتك بتعرف هناك تعاقدات والتزامات وممكن ينخرب بيوت الناس.. وأنا أولهم!!**

**● خلاص أستاذ إسماعيل من شان خاطرك.. بتستمر الفرقة.. بشرط أن يتم ترحيل ها البنات الثلاث الآن.**

## ترحيل الفرقة

قبل إسماعيل شروط وزير الداخلية السورى بفرح شديد، وتم تنفيذ الشرط فوراً بطرد البنات الثلاث وترحيلهن إلى مصر فى اليوم نفسه، وتعهدت ببا عزالدين بأن تلتزم بهذه الشروط:

**● بنعتذر منك ست ببا.. أنا لا أقبل تعهداتك.. أنا بريد تعهد من الأستاذ إسماعيل نفسه**

**– وأنا موافق وبتعهد قدام سيادتك أنى المسئول عن أى شىء يصدر من الفرقة من دلوقت ولحين مغادرة الفرقة الأراضى السورية**

**● هيك معقول.. أهلاً وسهلاً**

وعادت ببا وإسماعيل يزفان للفرقة الخبر الجديد الذى تقرر فى مكتب وزير الداخلية، ويؤكدان على شروطه لبقائهم فى سوريا، ويطلبان منهم الاستعداد لاستئناف العمل، لكن يبدو أن الموضوع لم ينته، ففى اليوم نفسه حدثت مفاجأة لم يكن أحد يتوقعها، فقد سمع بعض علماء الدين بما حدث بالنسبة للفرقة، فعقدوا اجتماعاً وطلبوا فيه من وزير الداخلية أن يلغى قرار التصريح للفرقة بالعمل!

وتم سحب الموافقة بالفعل، واقترح إسماعيل ياسين أن تذهب الفرقة إلى حلب ورُفض الاقتراح وطلبوا أن تغادر الفرقة سوريا كلها!!

ونزل الأمر كالصاعقة على ببا عزالدين، وما إن نظرت إلى إسماعيل حتى راح يؤكد لها أنه لم يعد يستطيع أن يفعل شيئاً، لأن الأزمة أكبر مما بدت، فقد زاد الأمر تعقيداً أن بعض سيدات جمعيات المجتمع ـ ممن كان أزواجهن ضيوفا دائمين على فرقة ببا ـ أرسلن نداءات يطلبن فيها طرد الفرقة من البلد حماية للأخلاق العامة!!

ولم يكن أمام الفرقة إلا العودة مرة أخرى إلى بيروت.

فى بيروت بدأ إسماعيل ياسين يعيد حساباته مع الفرقة، وحزم أمره على ألا يعمل معها مرة أخرى، لأنه وجد بالفعل أن أكثر العاملات بها لا تربطهن بالفن أى رابطة، ولا يوجد بينهن واحدة موهوبة بالفعل، وأن أغلبهن اتخذن الفن ستاراً لممارسة أعمال منافية للآداب والأخلاق.

ومع ذلك أرجأ كل شىء بانتظار عودة الفرقة للقاهرة حتى لا يقال إن إسماعيل ياسين قطع رزق الفرقة التى اعتمدت عليه.

وعملت الفرقة من جديد فى بيروت، ثم سافرت إلى القدس، ومنها إلى حيفا ثم يافا ثم غزة، حيث أقامت بعض الحفلات، وكل مدينة من مدن الشام كانت الفرقة تزورها، كان إسماعيل ياسين هو الأهم والأبرز بين كل أعضاء الفرقة وصاحبتها ببا عزالدين، فكان لا يمر يوم إلا وأضاف نجاحاً جديداً إلى نجاحاته السابقة.. قبل أن تعود إلى القاهرة.



# 17 العتبة الخضراء





مع مطلع الأربعينيات يصبح اسم إسماعيل معروفاً ومشهوراً، خلال عمله فى الفرق المختلفة، سواء فى القاهرة أو الإسكندرية، أو حتى فى بر الشام كله.

ومرت الأيام وإسماعيل ياسين يتنقل من مسرح إلى آخر، ويكاد لا يترك مسرحاً إلا ويعمل فى اليوم التالى فى مسرح آخر، فقد بات مطلوباً ومحبوباً ومعروفاً تماماً لدى كل المشاهدين، وكان يشعر فى ذلك الوقت تحديداً بأنه بدأ يصعد درجة أو أكثر.. على سلم الفن.

كان هناك العديد من الفرق المنتشرة ذائعة الصيت فى ذلك الوقت، من بينها فرقة ببا عزالدين، وكانت تعمل بكازينو الكوبرى الإنجليزى، وكان هناك أيضاً كازينو البسفور بباب الحرية، ومسرح الماجيستك، وكازينو بديعة مصابنى، وكازينو عزالدين "فرقة مارى عزالدين" بالإضافة إلى تياترو نجيب الريحانى، فرقة رمسيس، وفرقة على الكسار فى روض الفرج وكازينو "مونت كارلو" بالإسكندرية.

ولم يتوقف إسماعيل فى هذه الفترة عن العمل والتنقل بين الفرق المختلفة، حيث صادفه النجاح وأصبح مطلوباً حتى فى السينما، وتشير إليه إعلانات الفرق فى الصحف والمجلات وقد سبق اسمه تعريف بأنه "المونولوجست المحبوب".

وشاءت المصادفة أن يكون موعد عودة فرقة ببا عزالدين من بيروت إلى القاهرة فى اليوم الذى أعلنت فيه بديعة مصابنى عن موعد قريب جداً لافتتاح صالة "كازينو أوبرا" الذى أنشأته على بعد خطوات من دار الأوبرا المصرية التى بناها الخديو إسماعيل، حيث انتهت من بنائه.

وما كادت بديعة مصابنى تعلم بعودة إسماعيل ياسين من بيروت، حتى أرسلت تستدعيه لكى يكون ضمن برنامجها الجديد، وحاول إسماعيل أن يعتذر بحجة أن أغلب الزبائن سيكونون من جنود الاحتلال الإنجليزى وهم لا يفهمون كلمة مما يقوله، ولكن بديعة أقنعته بالعمل وأن عليه أن يلقى مونولوجاته فهمها الناس أم لم يفهموها ويتقاضى أجره ولا يعترض على شىء.

وفضلاً على الكراهية التى يكنها إسماعيل لجنود الاحتلال، فهناك عداء قديم بينه وبين جنود الاحتلال، منذ أن كان طفلاً وهو يراهم يرتعون ويعيثون فى الأرض فساداً فى مدينته السويس، كما أنه لم ينس ذلك اليوم الذى كادت فيه جدته أن تتركه لهم عندما قبضوا عليها أثناء عودتها من المقابر، فهو يخشى من التعامل معهم وهم فى كامل وعيهم، فكيف سيتعامل معهم وهم سكارى؟!

فى يوم افتتاح كازينو بديعة الجديد، وبينما الجميع يستعدون لحدث ضخم يتحدث عنه القاصى والدانى، قامت غارة جوية عنيفة، من غارات الحرب العالمية الثانية، تعلن عن قرب وصول الألمان، حيث كانت الغارة على مقربة من القاهرة ، واستمرت أربع ساعات متواصلة، أطفئت خلالها كل أنوار القاهرة، بما فيها طبعاً من الكازينوهات والمسارح ودور العرض السينمائى.

ولأن إسماعيل لايزال يسيطر عليه المثل الشعبى القائل: " اللى يخاف من العفريت يطلع له" فقد تصادف بدء الغارة مع خروجه إلى المسرح ليغنى.

وإذا كان لهذه الغارة أثر فى نفوس المصريين جميعاً، فقد كان لها وقع

وأثر مـختلفـان على بديعـة وإسـمـاعيل ياسـين، ولأول مـرة تشـعـر بديعـة مصابنى بتشاؤم من إسماعيل وكأنه هو الذى تسبب فى الغارة، خصوصاً أن العـرض توقف حتـى بعد انتهـاء الغـارة، فـقـد لزم أغلب النـاس بيـوتهم والمخابئ خوفاً من أن تعود الغارة، وحتى الجـمهور الذى يخشى إسماعيل وجـوده ـ جنود الاحــتـلال ـ لم يعـد لهم وجـود فـى هذا اليــوم، بسـبب انشـغالهم بالغـارات والحـرب، وأغلق "تياترو" بديعة أبوابه فى اليوم الأول لافتتاحه!!

## زجاجة طائشة

فى اليوم التـالى كانت الأمور أهدأ حـالاً، ولا يبدو فى الأجواء مؤشرات لحدوث غـارات، بدليل وجود عدد كبير من الجنـود فى الصـالة، ومع ذلك بات تشـاؤم بديعـة مـن إسـمـاعيل أكبـر، فـقـد سـارت الأمور على خيـر مـا يرام فى بداية فـقـرات الفـرقـة، وصـعـد إلى المـسـرح أكـثـر من مطرب وراقصـة ومـونولوجست، ولكن مـا إن حـان مـوعـد ظهور إسـمـاعـيل على المسـرح حتى كانت الخـمـر قد فعلت فعلها برءوس جنود الاحتلال، فلم يكد إسـمـاعيل ينتهى من إلقـاء أول مونولوج له حتى قذفه أحد السكارى من الجنود بزجـاجـة "بيـرة" فـارغـة تعبـيـراً عن مدى إعجـابه به، وأصـابت الزجـاجـة رأس إسـمـاعيل بقـوة لدرجـة أنهـا كـادت تقـضى عليـه، وسـقـط مغشياً عليه والدمـاء تسيل من رأسـه، وأقفل السـتار وبدأت الفـوضى فى التياترو وتعـالى الصراخ والصيـاح، وخـرجت بديعـة بنفسـهـا لتنقـذ الموقف فكان نصيـبهـا أوفـر من إسـمـاعيل، فـقـد انهـالت عليـهـا زجـاجـات البيـرة واضطرت لأن تخـتـبئ خلف سـتـائر الكواليس، وجـرت مـضطربة حـتـى سـقطت على الأرض وتكالب فوقـهـا بعض الفـارين من الزجـاجـات التى تطيـر فى الهـواء هنـا وهنـا، ومـا إن هـدأت الغـارة الخـاصـة فقط بكازينو بديعـة، حـتـى اكـتـشـفت أن "البـروش" الألماس والذى يقـدر ثمنه بآلاف الجنيهات، والذى اشـترته خـصيصـاً للافتتاح قد سقط من صدرها، فى الوقت الذى كـان إسـمـاعيل يـاسين ينقل فيـه إلى المـسـتشـفى الذى ظل به

ما يقرب من عشرة أيام يعانى الجرح الذى برأسه، فضلاً على حالة الارتجاج بالمخ التى سببتها له الزجاجة.

خلال العشرة أيام هذه كان قد زار إسماعيل وسأل عليه كل زملائه فى الفرقة، وغيرهم كثيرون من خارج الفرقة.. إلا بديعة مصابنى!!

والواقع أن بديعة كانت قد وصلت إلى ذروة تشاؤمها من حالة إسماعيل، لذلك لم تسأل عنه، بل خشيت إن هى ذهبت للسؤال عنه، أن يحدث لها حادث ما فى الطريق!!.

دون أن يعرف أسباب عدم زيارتها له أو السؤال عنه، قرر إسماعيل أن يقاطع بديعة، وألا يعمل معها أبداً بعد ذلك اليوم، وثار أكثر عندما زاره زميل من زملائه وأبلغه بما قالته بديعة:

**● تتصور إنها ما فكرتش تزورنى، ولا حتى تسأل أو تبعت بوكيه ورد؟!**

**– أنا محرج منك ومش عايز أقول اللى هى قالته**

**● لا قول.. أنا خلاص مبقاش يفرق معايا**

**– بصراحة.. بتقول إن شكلك........**

**● شكلى.. ماله شكلى**

**– مش قصدى يعنى لكن بتقول إن "بُقك" هو اللى بيخلى عساكر الإنجليز يثوروا لما بيشوفوه.. وبيعملوا الشغب اللى بيحصل**

**● يا سلام.. "بُقى" هو السبب فى اللى بيحصل.. علشان كده مجتش ولا مرة تزورنى**

**– ماهى بصراحة عملت كده علشان أنت متفكرش ترجع تشتغل عندها تانى**

**● ومين قال أصلاً إنى ممكن أرجع لها.. أنا ألف مكان يتمنى أشتغل فيه.. إذا كانت هى لسه فاكرة إنها بديعة مصابنى.. أنا بقيت إسماعيل ياسين!!**

# فرقة علـى الكسار

فى اليوم نفسه الذى تقرر له أن يغادر فيه المستشفى، تلقى إسماعيل ياسين خبراً من زميله القديم حسين المليجى يدعوه فيه لأن يعمل معه فى "كازينو" افتتحه فى منطقة روض الفرج، حيث كانت المنافسة على أشدها فى المنطقة التى أصبحت منافساً قوياً لشارع عماد الدين، وانتشرت بها الفرق والمسارح والكازينوهات، وكانت المنافسة فى ذلك الوقت بين فرقة "المليجى" وفرقة "على الكسار".

عمل إسماعيل ياسين مع فرقة "حسين المليجى" وحقق معه نجاحاً كبيراً جلب للفرقة جمهوراً كبيراً، استشعره صاحب الفرقة المجاورة "على الكسار" الذى كان فى ذلك الوقت اسماً كبيراً، ومنافساً قوياً ليس لفرقة المليجى فحسب، بل لفرقة نجيب الريحانى نفسه، الذى كان يعد فى ذلك الوقت نجماً كبيراً فى سماء المسرح والسينما، وكان الكسار سبقه إليهما، غير أن نجومية الريحانى أصبحت تفوق نجومية الكسار، ذلك لأن الكسار اعتمد منذ بدايته ـ وحتى النهاية ـ على شخصية واحدة كان يظهر بها على خشبة المسرح، كما انتقلت معه للسينما، وهى شخصية "بربرى مصر الوحيد.. عثمان عبدالباسط"، كذلك الحال بالنسبة لنجيب الريحانى الذى اعتمد أيضاً على شخصية "كشكش بك" فى بدايته، غير أن الفارق أن الريحانى كان يجيد قراءة المجتمع من حوله والتغيرات والتحولات التى كانت تشهدها تلك الفترة من صعود وهبوط، ومن خلال قراءاته تلك استطاع أن يطور نفسه، ويقدم الفن الذى تنتظره الطبقة الأعم والأشمل، وهى الطبقة المتوسطة، فاتجه إلى تقديم نماذج منها فى أشكال: الموظف المطحون، والمواطن الفقير البسيط الذى يستطيع أن يفوق أولاد الباشوات والطبقة الأرستقراطية، بعلمه وثقافته وشرفه وكرامته، فى الوقت الذى توقف فيه على الكسار عند شخصيته الوحيدة، الأمر الذى خلق لديه حساسية من أى نجاح جديد، وهو ما جعله يتردد خلسة إلى كازينو حسين المليجى ليشاهد هذا الفنان الجديد الذى أصبح اسمه على كل لسان، فى الوقت نفسه كان إسماعيل ياسين

يزور مسرح على الكسار كثيراً، ليس للسبب نفسه، ولكن من أجل مشاهدة الجديد الذى يقدمه على الكسار وأعضاء فرقته، خاصة عندما علم أن هناك "مونولوجستا" جديداً بدأ اسمه يلمع فى فرقة على الكسار اسمه "محمود شكوكو"!

كان محمود إبراهيم إسماعيل موسى، الذى اشتهر فيما بعد باسم "شكوكو" من مواليد العام نفسه الذى ولد فيه إسماعيل ياسين (١٩١٢)، غير أنه ولد بقلب القاهرة، وتحديداً فى حى "الدرب الأحمر"، ثم عمل فى بداية حياته بمهنة والده أيضاً، الذى كان يعمل "نجاراً" غير أنه مثل إسماعيل، كان الغناء يجرى فى عروقه مجرى الدم، واستطاع أن يفرض نفسه على الوسط الفنى ويصبح واحداً من المونولوجستات المشهورين، وهو ما جعل الفنان على الكسار يعتمد عليه لتقديم المونولوجات فى الفواصل بين أعماله المسرحية، والتى كان يشارك فيها أيضاً.

يشاهد إسماعيل "شكوكو" ويعجب به، لدرجة أنه حرص على أن يتعرف عليه، وراح يبدى له إعجابه به، مؤكداً له أنه يتوقع له مستقبلاً باهراً فى فن المونولوج والغناء الشعبى، وقد أصبحا منذ ذلك الوقت من أحب وأقرب الأصدقاء لبعضهما البعض، بل إن على الكسار أوعز إلى شكوكو أن يقنع إسماعيل بالعمل معه فى فرقة الكسار، وبعد إلحاح طويل من شكوكو، وافق إسماعيل على أن ينتقل إلى فرقة على الكسار، ليعلنا معاً عن إعادة ميلاد جديد لفرقة على الكسار فى روض الفرج.

## العودة إلى السينما

فى الوقت الذى اعتقد فيه إسماعيل أن السينما نسيته بعد أن شارك فى أول أدواره بها، من خلال فيلم "فؤاد الجزايرلى"، وأنها كانت تجربة ومرت لم يشعر بها أحد، وبينما هو يفكر فى طريقة يعود بها إلى السينما، فوجئ بأن المخرج السينمائى حسين فوزى قد أرسل فى طلبه، وكأن أبواب السماء كانت مفتوحة حين فكر إسماعيل فى البحث عن

طريقة للعودة إلى السينما، فما إن دخل على المخرج حسين فوزى حتى استقبله بترحاب كبير، وكأن هناك سابق معرفة كبيرة بينهما:

**● شوف يا سيدى.. أنا بعمل فيلم اسمه "أحب الغلط"**

**- أهو ده اللى محبوش..**

**يضحك حسين فوزى**

**● وإن شاء الله مفيش غلط.. لكن أنا عايزك تعمل دور فى الفيلم.. صحيح هو دور صغير.. بس.......**

**وقبل أن يكمل حسين فوزى جملته كان إسماعيل يكملها:**

**● عارف.. وبكره الصغير يكبر إن شاء الله**

**- الله.. ما أنت فاهم أهه**

رحب إسماعيل ياسين بذلك الدور الذى سيتيح له أن يقف أمام نجمين سينمائيين كبيرين، هما تحية كاريوكا وحسين صدقى، بل تأتى أهمية هذا الدور فى أنه سيعفيه من العمل فى الملاهى.

وكان ما عليه إلا أن يثبت وجوده فى السينما، ولكن أين السينما لكى يثبت وجوده فيها، فقد كانت السينما هى الوافد الجديد على الساحة، فلم تعرف مصر من وسائل اللهو سوى "يوم المقابلة" للسيدات فى البيوت أو جلسات المعلمين والتجار الخاصة، ثم انتقلت الى "الصالات والكازينوهات" شجعهم على ذلك "فلوس الحرب" وطبقة الأثرياء الجدد ومئات الألوف من العمال الذين وفدوا إلى المصانع الجديدة، وظروف الحرب، وخدماتها التى تحتاج إلى أيدٍ عاملة رخيصة.

كانت السهرات فى "الصالات" مكلفة ، فضلاً على سمعتها "السيئة" وعجز أبناء الطبقة المتوسطة الجديدة عن السهر حتى تلحق فى الصباح الباكر بعملها.

وجاءت السينما فجذبت العديد من سكان القاهرة.. فقد كانت وسيلة رخيصة الثمن غير مكلفة، ونقلت المشاهد إلى دنيا جديدة وعوالم

مختلفة، ووضعت بين يديه فرصة تحقيق أحلامه على الشاشة، من خلال الأدوار التى يجسدها البطل بدلاً عنه، لذا كان لابد أن تجذب السينما الأسماء المشهورة فى عالم الفن والتى يسمع الجمهور أسماءها تتردد فى الصحف أو الإذاعة أو الاسطوانات.

بعد أكثر من عام من عرض "أحب الغلط" تتذكره عين المخرج نيازى مصطفى، الذى لم يكن يستقر فيما يقدمه من أفلام على لون واحد، فقد كان يحرص على التنوع، ما بين البدوى والمغامرات والكوميدى، وغيره، وهو ماجعله لا يستقر على أبطال بعينهم، وعندما جاء فى العام ١٩٤١ ليقدم فيلماً كوميدياً بعنوان "مصنع الزوجات"، تذكر على الفور ذلك الممثل الجديد المشهور بإلقاء المونولوجات، إسماعيل ياسين، ولكن كل أدوار الفيلم تم تسكينها - بلغة المخرجين - فقرر أن يستعين به ولو فى دور صغير، المهم أن يظهر هذا الممثل معه فى الفيلم، وبالفعل استعان به فى دور صغير لا يستغرق سوى ثلاث دقائق على الشاشة يمثل فيه دور "رجل سكير"، واستطاع إسماعيل ياسين أن يخلق من الدقائق الثلاث على الشاشة مساحة جديدة تعلن عن وجوده فى السينما.

## إعادة اكتشاف

هذه المساحة القصيرة على شاشة السينما فى فيلم "مصنع الزوجات" وقبلها فى فيلمى "خلف الحبايب" و"أحب الغلط"، جعلت المخرج توجو مزراحى يدرك مدى موهبة إسماعيل يس وتقبل الجمهور له فى دور العرض السينمائى، إحساس المخرج لدى توجو مزراحى جعله يستشعر على الفور أن إسماعيل كان خلال هذه الأفلام الثلاثة، مبعث الابتسامة بل والضحكات العالية، حيث إنه كان أخف دماً مما حوله من عتاة الممثلين، حتى لو كان الفيلم ميلودراما ساخنة تُبكى الجمهور، فضلاً على أنه يتحرك بتلقائية وخفة أمام الكاميرا.. والأهم من هذا كله أنه مهما يكن دور إسماعيل، فإن الجمهور يخرج من دار العرض.. وهو يتذكر ذلك الممثل ذا الفم الكبير الذى كان مبعث السعادة والبهجة فى الفيلم.

وجاءت الانعطافة الحقيقية عندما تبناه على الكسار أثناء عمله معه فى فرقته المسرحية، لدرجة أنه طلب من المخرج توجو مزراحى أن يعمل معه فى فيلمه الجديد الذى يخرجه توجو للكسار بعنوان "على بابا والأربعين حرامى" فى العام ١٩٤٢.

رحب توجو من داخله بهذا الاقتراح المهم الذى عرضه عليه الكسار، ولكنه راح فى وجود إسماعيل يتمنع وكأنه رافض وجوده فى الفيلم، ثم يرضخ بناءً على طلب على الكسار، مؤكداً لإسماعيل أنه موافق على الاشتراك معه فى الفيلم ولكن بشرط:

**● شرط إيه أستاذ أنا تحت أمرك**

**- بشرط إنك تشوفلك حل وتغير شويه من نفسك**

**● أغير من نفسى إزاى.. أربى شنبى.. ولا عايزنى أربى نفسى علشان أرضيك**

**- يا أخى لا.. شوف لك حل فى "بُقك" ده..**

**● أعمله إيه.. أقطع لك منه حتة؟!**

**- معرفش أصله بصراحة كبير قوى وممكن يملا الشاشة**

**● عموما يا أستاذ أنا كان يشرفنى إنى أشتغل معاك أنت والأستاذ على الكسار.. لكن مفيش نصيب..**

**وهنا يتدخل على الكسار على الفور:**

**●● الله.. الله.. الله.. ينكد عليك وعلى عمرك.. أنت صدقت.. الراجل بيضحك معاك.. أنت معانا فى الفيلم مفيش كلام.**

**شكره إسماعيل على ثقته فيه ثم سأله:**

**● وإمتى هنبدأ التصوير.**

**وكان جواب توجو**

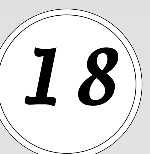
**- يا أستاذ إحنا بدأنا التصوير فعلاً.. جهز نفسك هتدخل الأستوديو دلوقت سلم نفسك للماكيير علشان يعملك الماكياج!!**

وبدأ إسماعيل يشعر بخطورة الموقف فهذه هى أول فرصة حقيقية أمام الكاميرا.. ومن خلال فيلم تاريخى، ومن المستبعد أن يكون كوميديا كما يحب أن يكون، وإذا حدث وفشل فلن يعرف طريقه إلى الاستوديوهات بعدئذٍ.

ومع ذلك فقد استجمع شجاعته، وجلس بين يدى صانع الماكياج وإلى جانبه مساعد المخرج، يحفظه دوره وتحركاته أمام الكاميرا والإشارات التى يجب أن يفعلها مع الحوار..

ثم بدأ التصوير..

وما كاد توجو مزراحى يشير إلى بدء التصوير حتى شعر إسماعيل بأن شيئاً ما فى داخله يمنعه من النطق، بل شعر ببرودة شديدة تسرى فى جسده.



# دموع الفرح





شعر إسماعيل أنه يمثل لأول مرة، وأنه نسى كل شىء، وخشى أن يلاحظ المخرج ذلك، ولكن من حسن حظه أن المخرج توجو مزراحى اكتشف فى الوقت نفسه خطأ فى الديكور فأوقف التصوير وطلب إصلاح الخطأ بعد أن ثار ثورة عنيفة على مهندس الديكور، واستغرق الموضوع ما يقرب من عشر دقائق استطاع إسماعيل خلالها أن يتغلب على خوفه وينسى كل شىء إلا المشهد الذى سوف يمثله، واندمج تماماً فيه، وغاب عن كل ما حوله، وأفاق على صوت توجو مزراحى مهللاً:

- برافو يا إسماعيل برافو.

كانت هذه الكلمة فاتحة خير عليه.. وشهادة دخوله بشكل جديد إلى عالم السينما، فقد استدعاه توجو بعد أن انتهى من تصوير مشاهد ذلك اليوم إلى مكتبه لكى يهنئه ويتعاقد معه بأجر قدره ١٥ جنيهاً، على فيلم جديد بعد أن تقاضى ١٢ جنيهاً فى فيلم "على بابا والأربعين حرامى"، وطفرت الدموع من عينى إسماعيل وهو يأخذ الشيك، وتوجه فى اليوم التالى مباشرة وصرف الشيك ليشترى بدلة "سموكنج" من آخر طراز، وظل إسماعيل يحتفظ بهذه البدلة، حتى بعد أن أصبح عنده عشرات منها!

وكان "على بابا والأربعين حرامى" بداية الظهور الحقيقى والقوى

لإسماعيل ياسين على شاشة السينما، فقد حرص المخرج توجو مزراحى أن يوظف قدرات إسماعيل ياسين فى هذا الفيلم بشكل قوى، لدرجة أنه كتب دوره بنفسه، وجعله مرافقاً للفنان على الكسار فى كل المشاهد التى يظهر فيها، لدرجة أنه أظهر العديد من قدراته فى هذا الفيلم، غنى ورقص وأدى بعض الحركات التى أصبحت فيما بعد من لوازمه مثل "الرقص بنصف وسطه الأعلى مع رفع يديه"، كما تنبه إسماعيل إلى موضوع كبر فمه "بُقه"، عندما أثاره معه توجو قبل تصوير هذا الفيلم، فقرر إسماعيل بدلاً من سخرية الآخرين من كبر "بُقه"، أن يجعله هو مادة للسخرية فى أعماله، بداية من هذا الفيلم، ليكون أيضاً من "لوازمه" التى يحرص على أن يُذكر بها الآخرين قبل أن يذكروه هم بها.

استغرق تصوير دوره فى فيلم "على بابا والأربعين حرامى" أسبوعاً ولكنه ما كاد ينتهى من تصوير هذا الفيلم حتى بدأ تصوير الفيلم الجديد "تحيا الستات" وقبل إسماعيل العمل فيه رغم أنه بدأ يخاف من عصبية توجو مزراحى الشديدة، ومع ذلك فإن المخرج الشهير لم يكن عصبياً على الإطلاق معه، لأن أحبه كممثل، بل وكان لا يتمالك نفسه من الضحك حين يراه يمثل أحد المشاهد ولذلك لم يسمع إسماعيل أبدا "شتيمة" من توجو الذى كان "يشتم" الجميع وحين يخطئ إسماعيل وقد يحدث هذا، فإن توجو كان يفجر عصبيته بشتم نفسه فيقول:

- **أنا مغفل.. أنا حمار أنا مش ممكن أفهم حاجة أبداً!**

كان إسماعيل يعرف أن هذا الكلام موجه إليه فيتأثر منه، بل كان يبكى أحياناً منه، وكان لابد أن يبدأ إسماعيل تصوير فيلم "تحيا الستات" واشترك معه فى الفيلم كل من مديحة يسرى وليلى فوزى وأنور وجدى وحسن فايق وبشارة واكيم.

## مطاردة غرامية

فى هذه الفترة كان إسماعيل ياسين لا يزال جديداً فى عالم السينما، ولاتزال صداقاته مع أهلها جديدة، ويجهل الكثير من أسرار الفن، ما

جعله يتعرض لمداعبات قاسية من بعض الزملاء، لعل من أقساها ما حدث من أنور وجدى عندما كانوا يصورون فيلم "تحيا الستات"، وكان ذات يوم يعمل معه فى الأستوديو حين قال له:

**- روح للأستاذ حسن فايق.. وقل له إن "ابن بنته" ينتظره بره الاستوديو وأنه عاوز يروح الجهادية!**

**وذهب إسماعيل إلى غرفة حسن فايق، وقال له بمنتهى حسن النية:**

**- يا أستاذ.. "ابن بنتك" مستنيك بره وبيقولك هو عاوز يروح الجهادية.**

**ووجد إسماعيل حسن فايق يثور فى وجهه، ويغضب ويطرده من الغرفة:**

**●● اطلع بره يا......**

وراح يصرخ أكثر من مرة فيه ويوبخه أمام واحدة من بنات الكورس كانت فى غرفة حسن فايق.

وحاول إسماعيل أن يدافع عن نفسه، وتأزمت الأمور وكاد حسن فايق يضربه، وهرع أنور وجدى لكى ينقذ الموقف، أو لينقذ إسماعيل من المقلب الذى دبره له، فقد كان أنور يستلطف الفتاة التى كانت تجلس مع حسن فائق فى غرفته، والتى تعمل كومبارس.. وطلب من إسماعيل أن يقول لحسن ذلك لكى يظهره أمامها بأنه رجل عجوز وأن "ابن ابنته" أصبح فى سن التجنيد!

وجاء بعده فيلم "الطريق المستقيم" الذى شارك فيه إسماعيل مع يوسف وهبى وفاطمة رشدى وأمينة رزق.

فى ذلك الوقت كان منير مراد الملحن، وشقيق الفنانة ليلى مراد يعمل كمساعد للمخرج توجو مزراحى، وقد أصبح صديقاً لإسماعيل بحكم العمل، وكان قد اشترك فى أكثر من فيلم حين تعاقد معه توجو على تصوير فيلم "الطريق المستقيم" وقال منير لإسماعيل:

**● إيه ده.. دورك فى "الطريق المستقيم" صغير جداً.. بعد ما تعمل أدوار كبيرة ومهمة فى كذا فيلم قبل كده.. تاخد الدور الصغير ده..**

**- أعمل إيه ما أنت عارف الأستاذ توجو**

**● يا سيدى الأستاذ توجو مش بعبع.. قول له إن الدور صغير يمكن يكبره شوية..**

**- أنت شايف كده**

**● مفيش غير كده.**

واستجمع إسماعيل شجاعته، وذهب إلى توجو مزراحى وحاول أن يعتذر له عن الفيلم لأن الدور صغير ولا يليق به بعد أن اشترك فى بطولة فيلمين، أو أن يعمل على أن يكون الدور أطول، فرد عليه توجو:

**●● اسمع يا إسماعيل مش مهم فى السينما أبداً أن يكون الدور قصيرا أو طويلا، المهم أن يكون دور كويس، وأنا بقولك إن ده واحد من الأدوار الكويسة جداً، وأنا واثق من أنك ستنجح فيه وأنك ستثبت من جديد أنك فنان كبير وموهوب.**

أدى إسماعيل الدور وكان دور رجل سكير، ونجح فيه نجاحاً كبيراً، وحين أداه صفق له كل من كان يعمل فى الأستوديو.

## صديق العمر

كان إسماعيل يُقدم فى الأفلام التى شارك فيها قبل فيلم "على بابا والأربعين حرامى" باعتباره مؤدياً للمونولوج بجانب التمثيل، وقد استطاع خلال فترة وجيزة أن يواصل نجاحه، ما دعم مكانته وأضاف إلى رصيده فى سوق "الصالات" باكتساب شهرة ورواد جدد، غير أن تقديمه بصورة جديدة وجيدة فى فيلم توجو مزراحى لفت الأنظار إليه كممثل له حضوره القوى على الشاشة، ما جعله مطلوباً فى أكثر من مسرح وأكثر من صالة وملهى ليلى، والأهم من ذلك من وجهة نظره، أنه أصبح مطلوباً فى السينما، التى قد تغنيه عن "البهدلة" فى الصالات والكباريهات!

استطاع إسماعيل ياسين أن يثبت قدميه كممثل من خلال فيلم "على بابا والأربعين حرامى"، الذى لاقى نجاحاً منقطع النظير عند عرضه،

وكان ظهور إسماعيل فيه بمثابة الهدية التى قدمها توجو مزراحى لجمهور السينما آنذاك، الأمر الذى جعل إسماعيل يعيش نشوة غير عادية بهذا النجاح غير المتوقع، فى السينما وبجوار أحد أهم نجوم هذا الزمان "على الكسار"، غير أن أهم ما خرج به إسماعيل من هذا الفيلم إلى جانب النجاح، هو اقتناع المخرج به إلى حد كبير جدا، فضلاً على قيام صداقة كبيرة بينهما، إضافة إلى الصداقات التى كونها مع سائر أبطال الفيلم، سواء المطرب محمد عبدالمطلب، الذى كان ينافسه فى الغناء بالفيلم، أو الفنانة الجميلة الصاعدة ليلى فوزى، والأهم من ذلك كله ما اكتشفه من حب وموهبة حقيقية بداخل فنان يبدو قاسى الملامح، غير أنه طيب القلب ودود هادئ، يدعى رياض القصبجى، الذى كان يكبر إسماعيل بتسع سنوات، وكان عاشقاً للتمثيل، غير أن أسبابا عديدة كانت وراء تأخره كثيراً، وهو ما سأله عنه إسماعيل، وراح يناديه بـ "عم رياض" بالرغم من أن الفارق بينهما فى السن ليس كبيراً:

**● ألا قوللى يا عم رياض.. لما أنت فنان هايل كده.. كنت مختفى فين الفترة اللى فاتت؟**

**- أبداً موجود بس كل شىء نصيب**

**● لا.. أقصد ليه مبتشتغلش كتير؟**

**- النصيب.. وبعدين بينى وبينك يمكن يكون العيب من عندى أنا**

**● إزاى مش فاهم، أنت اللى بترفض الشغل**

**- لا مش كده.. أنا أصلاً موظف..**

**صمت رياض ولم يكمل**

**● أيوه موظف فين يعنى؟**

**- أنا بشتغل كمسارى فى السكة الحديد.. خلاص ارتحت**

**● ودى حاجة مزعلاك كده.. طب ده أنت حظك حلو.. موظف محترم**

**والدولة مقدراك.. أمال بقى لو كنت دقت الجوع والتشرد ونمت على الرصيف كنت عملت إيه؟!**

**- تقصد تقول إنك......**

**● أيوه.. محسوبك هو كل اللى أنا قلت عليه دلوقت**

**- والله براوة (برافو) عليك يا سمعة**

**● سيبك منى أنا وقولى.. أنت لسه فى الوظيفة؟**

**- ما هو زى ما أنت عارف الفن مبيأكلش عيش.. وكمان أنا عضو فى فرقة السكة الحديد المسرحية، وكمان عضو فى أكتر من فرقة، آخرها فرقة "أحمد الشامى" يمكن تسمع عنه.. وبعدين بشارك فى أدوار كده فى السيما زى ما أنت شايف.**

**● أيوه.. أيوه**

**- بس يا سيدى آدى كل حكايتى**

بعد كل ما سمعه إسماعيل ياسين من رياض القصبجى، قرر بينه وبين نفسه أنه ما إن تتاح له الفرصة فى السينما، فلن يتخلى عن هذا الرجل فى أى فيلم يقدمه، لما يتمتع به من موهبة فطرية رائعة.

## مكتشف النجوم

كان إسماعيل يظن أن اقتناع المخرج توجو مزراحى به، سيجعله يستعين به فى كل عمل يقدمه، خاصة أنه بدأ ينتشر كمخرج، بعد أن مر بكل مراحل العمل السينمائى، من كتابة وإخراج وإنتاج ومونتاج، كما أنه خاض تجربة التمثيل لمرة واحدة فى حياته، وأصبح من أهم مخرجى السينما المصرية فى ذلك الوقت، وكان من بين بطلاته المفضلات فتاة نحيلة القوام جميلة الملامح تدين مثله بالديانة اليهودية، هى المطربة ليلى مراد، ابنة المطرب زكى مراد، وما إن لمعت ليلى أمام المطرب محمد عبدالوهاب فى فيلم "يحيا الحب" عام ١٩٣٩، حتى التقطها على الفور، وأعاد اكتشافها من جديد وقدم لها سلسلة أفلام على التوالى، حيث

أعطاها الفرصة فى العام ١٩٤٠ فى ثانى أفلامها "ليلة ممطرة" أن تتقاسم البطولة مع عملاق المسرح آنذاك يوسف وهبى، ثم جاء الفيلم الثانى ليكون أول فيلم يحمل اسمها "ليلى بنت مدارس"، ثم فيلم "ليلى بنت الريف" ويكون أول تعارف بينها وبين الفنان أنور وجدى، وفى العام ١٩٤٢ يقدمها فى فيلم "ليلى" المأخوذ عن غادة الكاميليا، وعرض الفيلم على مدى ١٦ أسبوعاً متواصلة ونجح نجاحاً كبيراً، ولا شك أن توجو مزراحى كان يفكر فى استغلال نجاح بطلته فى مجال الغناء وأطلق اسمها على عدة أفلام، وكانت ليلى مراد تظهر فى كل أفلامه باسم "ليلى" الأمر الذى لفت نظر إسماعيل ياسين إلى أن يكون اسم الفنان هو اسم الفيلم نفسه.. واستوقفه هذا الموضوع طويلاً.. لدرجة أنه أنساه عدم استعانة توجو به فى هذه الأفلام، غير أن صدى النجاح الذى حققه فى السينما انعكس سريعاً على المسرح وعلى عمله كمونولوجست.

هذا النجاح جعله على قائمة المدعوين التى تضم إلى جانبه المطرب صالح عبدالحى، وفرقة بديعة مصابنى، لإحياء حفل "مبرة محمد على" فى سراى سمو الأميرة "شويكار" الزوجة السابقة للملك الراحل فؤاد، وتكتب مجلة "الصباح" وتشيد بهذا الفنان الذى يلمع اسمه يوماً بعد يوم، وأنه أحسن وأجاد فى تقديم نفسه أكثر مما أجاد فى مونولوجاته التى تحتاج بشكل ظاهر إلى تقوية روح الفكاهة فيها"!

وبقدر ما أسعد هذا الكلام إسماعيل أحزنه، فهل أصبحت مونولوجاته فى حاجة إلى مراجعة، وهو الأمر الذى بدأ يلاحظه إسماعيل بالفعل، لدرجة أن مساحة وجوده على خشبة المسرح تقلصت، فى الوقت الذى كانت تتاح فيه مساحة من الوقت لغيره، وكتبت المجلة مرة أخرى تنتقد ما يفعله إسماعيل، حيث كتبت فى عددها الصادر فى مايو ١٩٤٣ وتحت عنوان "من هنا وهناك" أن المونولوجست إسماعيل ياسين يشكو زملاءه وزميلاته من أن الوقت المخصص لإلقاء مونولوجاته أقل كثيراً من الوقت المخصص للراقصات الناشئات اللائى يعملن معه، ويستمر الخبر معلقاً فى أن زميلاً لإسماعيل كتب للمجلة أن إدارة الصالة التى يعمل بها

معذورة فى ذلك، لأن إسماعيل لا يجدد فى مونولوجاته، وأنها تسمح له بوقت أطول عندما يقدم مونولوجاً جديداً، أو أن يطلب الجمهور منه الإعادة!

## العودة للكسار

ويترك إسماعيل الفرقة التى يعمل بها، ويقرر أن يركز من جديد فى المونولوج، حتى تفتح له السينما أبوابها من جديد، وينتقل بين مختلف الفرق، وحتى تلك الفرق الجوالة المختلفة التى تجوب أنحاء مصر فى الوجهين القبلى والبحرى، فهو تارة يعمل مع فرقة محمد عبدالمطلب، ومرة مع فرقة محمد الكحلاوى. وأخرى يعود فيها إلى فرقة "على الكسار" التى اعتبرها فاتحة خير عليه، حيث قدمه الكسار لتوجو مزراحى.

وبالفعل لم يمر وقت طويل حتى طلبه المخرج توجو مزراحى للعمل معه فى فيلم جديد يجمع بينه وبين الفنان على الكسار أيضاً باسم "نور الدين والبحارة الثلاثة" ويشاركهما هذه المرة المطرب إبراهيم حمودة، وكانت المفاجأة التى أسعدت إسماعيل أيضاً أن وجد معه بالفيلم ذلك الفنان طيب القلب قاسى الملامح رياض القصبجى.

وينجح الفيلم نجاحاً كبيراً.. نجاحاً جعل الفنان على الكسار يعرض عليه أن يدخل معه شريكاً فى الفرق الاستعراضية المسرحية التى كانت تقدم مسرحية جديدة على أحد مسارح روض الفرج:

**● اسمع يا إسماعيل.. أنا عايزك تشتغل معايا**

**- سلامتك يا أستاذ على.. أمال أنا بشتغل مع مين.. مش برضه دى فرقة على الكسار**

**● يا أخى أنا فاهم.. أنت فاكرنى مسطول.. أنا عايزك تدخل شريك معايا فى الفرقة**

**- إيه؟! بتقول إيه؟**

**● زى ما سمعت كده.. باعرض عليك تدخل معايا شريك فى المسرحية دى.. وأى شغل تعمله الفرقة**

**– أيوه.. ده شرف كبير وثقة كبيرة منك.. لكن أنا زى ما أنت راسى.. " إل نيا با فلوس"!**

**● يعنى إيه؟**

**– بالعربى كده مفيش فلوس**

**● ما هو أنت هتدخل شريك بأجرك.**

**– بس يا أستاذ......**

**● متقولش حاجة.. قول موافق**

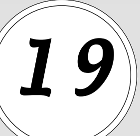
عرض على الكسار على إسماعيل ياسين جعل الدموع تسيل من عينيه، وبدت تلك الفترة سعيدة ومشرقة فى حياة إسماعيل ياسين، غير أنه لم يكن يفكر فى موضوع الزواج أو الحب مرة أخرى، فيكفى ما حدث له فى المرتين اللتين أحب وتزوج فيهما.

كان ذلك تفكير إسماعيل قبل تلك الليلة التى جلس يتناول فيها طعام العشاء فى حديقة المسرح، قبل أن يصعد إلى خشبة المسرح، وبينما هو جالس، إذ أقبلت زوجة مدير المسرح وكان يدعى أحمد رفعت، وبصحبتها فتاة، بدا من مظهرها أنها وقور وخجول، غير أن جمالها كان لافتاً، وجلست الاثنتان بجواره بعد أن تبادل إسماعيل التحية مع زوجة المدير، أما صاحبتها فاكتفت بأن أومأت برأسها إلى إسماعيل.

وبدأ إسماعيل يختلس النظرات إلى هذه الضيفة التى لم يرها من قبل، وأنها بالتأكيد ليست فنانة، فهو يعرف كل فنانات البلد، غير أن إحساساً غريباً سيطر عليه ، فقد شعر بأنها ليست غريبة تماماً عنه، وأنه يعرفها منذ فترة طويلة، أو ربما كان يعرفها وهى طفلة صغيرة أو يعرف واحدة تشبهها تماماً، المهم أنه شعر بأن هذه الفتاة سبق له معرفتها، ثم أدرك أنه لا هذا ولا ذاك وكل ما فى الأمر أنه كان يبحث

فى خياله عن واحدة مثلها.. أو كما يقال "فتاة الأحلام"، وها هى أمامه وجها لوجه.

أحاسيس جديدة وغريبة شعر بها إسماعيل ياسين، فلم تكن المرة الأولى التى يتعرف فيها على فتاة أو يجلس معها، كما لم تكن المرة الأولى التى يفكر فيها فى امرأة، فقد سبق له الزواج والحب مرتين، وإن كان قد أسقطهما من حساباته، بل ومن حياته تماماً، ولكن ما الذى حدث فى هذه المرة؟!



# عروسة البحر





لم يكن إسماعيل ياسين يتصور نفسه فى هذا الموقف أبداً.. لدرجة أنه غاب تماماً عن أجواء الجلسة وراح يحدث نفسه:

- **إيه يا أبو السباع.. مالك عامل كده ليه ما تثبت أمال خليك جدع**
- **ما يكونش ده الحب اللى بيقولوا عليه؟**
- **وهو الحب جديد عليك، ما أنت حبيت قبل كده محصلش حاجة من دى**
- **إخص الله يكسفك.. أنت بتسمى الهباب اللى فات ده حب؟!**
- **ما علينا خلينا هنا وقولى أنت عامل كده ليه.. وإيه العرق ده كله حتى الجو جميل.**

وهنا نطق إسماعيل بكلمة "الجو جميل بصوت عالٍ، وظنت زوجة المدير وصديقتها أنه يحدثهما، فردت زوجة المدير ولم تردً الفتاة!

– آه الجو جميل فعلاً.. الشتا خلص بسرعة السنة دى.. لحقنا نتمتع شوية بالربيع قبل الصيف ما يهجم.

ظلت الصديقة صامتة، ولكن المدهش أن الوقار والخجل انتقلا إلى إسماعيل وأحس بالعرق يملأ وجهه فأخرج منديله وبدأ يجفف عرقه.

**– إيه ده أنت عرقان كده ليه.. إحنا لسه بنقول الجو جميل؟**

● **مش عارف يظهر إنى حران**

– **آه صحيح أنا نسيت أعرفكم ببعض.. مودموزيل فوزية..**

● **يا أهلاً وسهلاً يا أفندم.. وأنا بقى محسوبك إسماعيل ياسين.. مغنى وممثل.. و....**

ولم ترد، بل اكتفت بأن أومأت برأسها مع ابتسامة خفيفة، ما زاد من توتره وقلقه، بعدها ساد صمت بين الجميع، بينما كان يجرى حديث هامس من آن لآخر بين فوزية وزوجة المدير، وحاول إسماعيل أن يتحدث مع الفتاة أو أن يقول لها أى شىء، حيث انتابته رغبة كبيرة فى ذلك، لكنه شعر فى الوقت نفسه بأن لسانه قد تجمد، أو توقف ولم يتحرك، بل وشعر أيضاً بأن قلبه يدق بصوت مسموع، بحيث أخذ صدره ينخفض ثم يعلو! ثم بدأ يلهث وكأنه يجرى فى سباق.

ثم بدأ يعيش فى الخيال فقد توهم أن الفتاة تتحدث إليه، وأنها تبادله الشعور نفسه الذى يحس به، وبدأ يعيش فى أحلام وأوهام لها بداية وليس لها نهاية:

● **على فكرة أنا من أول ما شفتك على الشاشة، وحسيت أنك فنان حقيقى.**

– **ده شرف يا أفندم وشهادة أعتز بيها**

● **أنا مش بجاملك، اللى أنا باسمعه عنك كمان يقول كده**

– **كلامك الحلو ده خلانى أتشجع وأقولك على حاجة حسيت بيها من أول ما شفتك وأنت جاية**

● **حاجة!! حاجة إيه؟**

– **أنت لو قربتى ودنك من صدرى هتسمعى صوت دقات قلبى**

● **ياه.. ليه أنت خايف من حاجة؟**

– **فعلاً.. فيه حاجة عاوز أقولك عليها بس خايف**

● **قول متخفش**

**- فوزية.. أنا من أول ما شفتك حبيتك!!**

وفجأة أفاق إسماعيل من أوهامه وأحلامه، وعاد ليجد أنه لايزال صامتاً وهى لا تلتفت إليه أبداً، غير أنه راح يتطلع من جديد إليها ويتفرس فى وجهها فوجد بعين الخبير أنها لم تكن تضع ماكياجاً على الإطلاق، وكان وجهها على طبيعته: خمرى اللون ذا بشرة صافية، أما نظراتها فكانت هادئة ودافئة فى الوقت نفسه، وفيها كل البراءة ولكن وراء هذه البراءة صخب كالموج، فهى تحتمل.. سذاجة وذكاءً، تُرى أيهما تكون؟!

وبدأ إسماعيل ينتقى ألفاظاً عذبة جديدة ويصف بها الفتاة، وحين تمالك نفسه بعد أن استنفد كل الصفات الطيبة فى الدنيا وفكر كما يحلو له، عاد لكى يتذكر أن له لساناً وأنه يستطيع أن يستخدمه فى مناسبة كهذه، ولذلك تجرأ وقال لها:

وبصعوبة وبعد أن تردد طويلاً.. أخرج علبة سجائر وقدم لها!

**● اتفضلى سيجارة.**

فى دهشة وبنظرة عابرة عادت بعدها بوجهها إلى الجهة الأخرى.

**- آسفة ما بدخنش!**

ورغم أن الجواب كان طبيعياً لسؤال ساذج، فإن إسماعيل بات بعدها كالمحموم، وفقد زمام نفسه فهو يسمع صوتها لأول مرة منذ أن التقى بها، منذ أكثر من ساعة ظل خلالها فقط ينظر إليها، وسرى صوتها فى قلبه وكأنه تيار كهربائى.

وانتهى اللقاء على هذه الكلمات السريعة القصيرة، ففى تلك الدقيقة الحساسة جاء من يخبره بأن المسرح معد بعد أن كان قد نسى المسرح وكل شىء عنه:

**● اتفضل يا أستاذ المسرح جاهز**

**- مسرح إيه.. آه المسرح**

وهنا ضجت زوجة المدير بضحكة عالية، فى حين اكتفت فوزية

بابتسامة خفيفة أيضاً، وهذا ما زاد من توتره، من جديد.. فطلب من عامل الستار أن يؤخر فتح الستار فقط عشر دقائق لأنه فى حالة غير طبيعية.. ما جعل زوجة المدير تقلق عليه:

- **إيه يا أستاذ إسماعيل أنت تعبان ولا حاجة؟**

**– لا أبداً.. حاسس بس إن صوتى مش طالع.. هشرب فنجان زنجبيل وهيبقى كويس.. بعد إذنكم**

وقام إسماعيل إلى المسرح لكى يؤدى دوره فى المسرحية ويغنى مونولوجه.

## الإحساس بالسعادة

كان ذلك اليوم من أفضل الأيام فى حياة إسماعيل ياسين، سواء كإنسان أو كفنان، فقد شعر بأن له قيمة، والناس من حوله يقدرونه كإنسان، كما أنه عمل كفنان كما لم يعمل من قبل، وغنى مونولوجات كما لم يغن من قبل، فقط لإحساسه بأنها تجلس فى الصالة تشاهده.. ومن المؤكد أنها صفقت له من بين الذين يصفقون.

وانتهى العمل وأخذ طريقه إلى "محطة الترام" لكى يعود إلى بيته الجديد، خرج من المسرح وأصداء تصفيق الجمهور ترن فى رأسه، وصورتها وهى تصفق له لا تفارق خياله، وقف على المحطة، وهو لايدرى بمن حوله، غير أنه فور وصول الترام وركوبه، فوجئ بها تركب.. نعم هى.. إنها فوزية وصديقتها زوجة مدير الفرقة، وكأن الأقدار تسوقها إليه من جديد.

ابتسم لها، وردت على ابتسامته بمثلها، أو أقل منها، وبدا من ملامح وجهها أنها ارتاحت ـ قليلاً أو كثيراً ـ لأن تلتقى به مرة ثانية فى الليلة نفسها.

يبدو أن نجاحه وإعجاب الجمهور به هذه الليلة ـ وهى واحدة من هؤلاء ـ قد شجعه على أن يفك عقدة لسانه ويبادرها:

- **وحضرتك بقى من مصر؟**

**– لا.. أنا من الإسكندرية.**

**● يبقى لازم تكونى عايشة فى القاهرة على طول..**

**ولكنها لم تعلق على ذلك، فاضطر لأن يقول لها:**

**● وحضرتك حتقعدى فى مصر**

**وردت عليه فى هذه المرة بالمختصر المفيد أيضاً:**

**– إن شاء الله.**

لم يعجبه هذا الرد المختصر، فقد كان يشعر برغبة شديدة فى أن يعرف عنها أى شىء وكل شىء، أين تعيش؟ من أى عائلة هى؟ ما اسم أبيها وأمها؟ وأهلها كلهم لو استطاع؟ ثم وهذا هو الأهم كيف يمكن أن يراها مرة ثانية؟

لكن السؤال الأخير ربما يكون فى غير وقته، فهو قد تعرف بها اليوم فقط، كيف يتجرأ ويسألها متى سيراها ثانية، ومع ذلك عقد الخجل لسانه من جديد وأحس بأنه عاجز عن الاستكشاف، ثم إنه كان يخشى أيضاً أن تثور على أسئلته، أو لا ترد عليه.

وفى نهاية محطة الترام، فى شبرا، نزلت زوجة مدير الفرقة مع صديقتها، فاضطر إسماعيل إلى أن ينزل رغم أن محطة نزوله كانت تالية، لكنه وجد أنه من اللياقة أن ينزل معهما حتى لا تتعرضا لمضايقات، وما إن مد يده لمصافحة زوجة مدير الفرقة أولاً، حتى وجدها تقدم له هدية على طبق من ذهب:

**● مينفعش يا أستاذ إسماعيل تبقى قدام البيت وما تطلعش تاخد قهوتك**

وعقد لسانه هذه المرة أيضاً.. ولكن يبدو أنه تعمد ذلك من أجل إعلان **عدم ممانعته.. ولكنه اضطر أن يرد:**

**– بس علشان الوقت متأخر**

**● لا متأخر ولا حاجة.. وبعدين كلها خمس دقايق وأحمد هيحصلنا على البيت..**

**– اللى تشوفيه حضرتك**

**● اتفضل.. اتفضل.**

شجع إسماعيل أن يذهب معهما أن فوزية استقبلت عرض صديقتها على إسماعيل بابتسامة، فوافق إسماعيل فوراً، واتجه معهما إلى البيت، ولكنه ما كاد يشرب نصف فنجان القهوة حتى جاء صديقه أحمد مدير المسرح، وراح يتحدث معه فى موضوعات خاصة بالفرقة والعمل، ويرد عليه إسماعيل بردود مختصرة، حيث لم يكن عقله معه، بل كان هائماً فى مكان آخر.

## فرحة ما تمت

لم يتمكن إسماعيل فى ذلك اليوم من التحدث مع الفتاة التى سلبت ثلاثة أرباع عقله، ففور الوصول إلى بيت صديقتها (زوجة أحمد) دخلت إلى غرفتها لتنام!

واقتربت الساعة من الرابعة صباحاً ووجد إسماعيل نفسه فى موقف لا يحسد عليه.. يريد أن يتحدث مع الفتاة، ولا توجد فرصة، ولابد أن يستأذن للانصراف وقبل أن يهم بذلك أخذت زوجة أحمد زوجها لتهمس له بعيداً عن إسماعيل:

**● اطلب من إسماعيل ييجى يتغدى معانا بكره.. أنا شايفة كده فى عينيه كلام بخصوص فوزية.**

**- مش فاهم.. تقصدى ان إسماعيل عنده رغبة إنه.....**

**● متهيألى كده.. ما هو عشان كده بقولك تعزمه بكره ع الغدا**

**وعاد أحمد ليجد إسماعيل وقد وقف ليعتذر عن تأخره لهذا الوقت، وقبل أن يتحدث بادره أحمد:**

**● على فين يا سمعة**

**- أنا لازم أمشى بقى.. كلها ساعة والنهار يطلع.. وزمانكم بتقولوا عليا إيه قلة الذوق دى!!**

**● يا راجل عيب عليك.. أنت فى بيتك.. ولو الظروف سامحة يعنى ومعندناش ضيوف كنت مسكت فيك تبات هنا.**

**– أنا متشكر قوى يا أبو حميد.. بس كنت عايز أقولك...**

**● عموماً أنا اللى عايز أقولك إننا لازم نكمل كلامنا بس مش دلوقت أنا مستنيك بكره ع الغدا.. علشان نكمل كلامنا**

**– تصبحوا على خير وأشوفكم بكره.. بكره إيه ده يا أخويا ماخلاص بقينا بكره..**

وفى تلك الليلة لم ينم إسماعيل ياسين لحظة واحدة، كان سعيداً كالطفل الصغير الذى يحلم بلعبة فوجدها أمامه، أو فرصة ـ بضربة حظ ـ تمناها طويلاً فأرسلها له القدر، ولا بد من أن ينتهز هذه الفرصة ويتشبث بها ـ كما يقولون بيده وأسنانه ـ مهما يكلفه ذلك من ثمن أو جهد أو تعب أو حتى "مرمطة"!.

ووجد نفسه يمشى فى الشوارع حتى وصل إلى مقهى فى روض الفرج، وجد مجموعة من الأصدقاء يلعبون الورق فجلس يتسلى معهم لقطع الوقت، حتى أشرقت الشمس، وذهب الجميع ولكن إسماعيل بقى فى مكانه، يفكر فيما حدث فى تلك الليلة.

ثم ذهب إلى البيت ليغير ثيابه فقط كى يظهر أمامها بالشكل المناسب، وفى الطريق دخل أحد محلات وسط القاهرة واشترى "بدلة" جديدة، وذهب إلى البيت، حيث كان قد انتقل إلى شقة جديدة فى حى شبرا ليكون قريباً من المسرح فى روض الفرج، وبدأ يستعجل الوقت وموعد الغداء ويهيئ نفسه لهذا اللقاء، كيف سيسلم عليها؟ وكيف يجب أن يضغط قليلاً على يديها أو لا يضغط؟ إنه لا يدرى ماذا يجب أن يفعل بالضبط وما الذى يجب ألا يفعله، يضحك أم يكون وقوراً، على العموم هو لاشك سيحدثها إذا ما لاحظ منها أى رد فعل، فهو سيدخل فى الموضوع مباشرة؟ ويعلن عن رغبته فى الزواج منها وأن يكون أسرة سعيدة مليئة بالحب والأولاد؟!

ظلت كل هذه الأسئلة وغيرها تدور فى رأسه حتى حان وقت الغداء، فتوجه وقلبه يسبقه إلى منزل صديقه مدير المسرح!

فوجئ إسماعيل بصديقه مدير المسرح يفتح له الباب ثم دخل إلى الصالون وجلس معه وحده، وأدرك إسماعيل أن زوجة صديقه ليست فى البيت، وإلا فلماذا لم تخرج للسلام عليه وترحب به كعادتها، وتوقع أن تكون قد ذهبت مع صديقتها فى مشوار، لم يعودا منه بعد، أو تكون الصديقة فعلتها بقصد وتعمدت أن تترك البيت وقت حضوره ويكون فى ذلك أبلغ رد على طلبه.

## لوعة الحب

بدأ القلق يظهر على وجه إسماعيل ياسين خصوصاً أن صديقه لم يشر أبدا إلى عدم وجود زوجته أو صديقتها، ولم يفتح معه الموضوع، فلم يجد إسماعيل بدا من أن يفاتحه فقد نفد صبره:

**● أمال فين المدام يعنى مش باينة؟**

**- المدام يا سيدى جوه مع صاحبتها بتاعة الإسكندرية.**

**اطمأن إسماعيل ولكنه لم يخف دهشته:**

**● أمال مجوش يعنى.. هو إحنا مش هنتغدى ولا رجعت فى كلامك؟**

**- فى الواقع أنا اللى طلبت منهم يتغدوا لوحدهم جوه علشان إحنا نتكلم براحتنا فى شئون الشغل.**

وكاد إسماعيل أن يلعن اليوم الذى يتحدث فيه عن الشغل.. ولم يعد يعرف كيف يتصرف فهو لم يقبل الدعوة إلا لكى يرى الفتاة التى خلبت لُبَّه، لا من أجل الطعام ولا من أجل الحديث فى الشغل، وها هو حضرة المدير يأمر زوجته وصديقتها بألا يظهرا وأن يتناولا طعامهما بمفردهما.

تناول إسماعيل طعام الغداء فى صمت، ولم يسمع حرفاً واحداً مما كان المدير يقوله له على المائدة بالنسبة لموضوع العمل بالفرقة فقد ظل عقله شارداً يفكر فى صديقة زوجة هذا المدير الذى يتكلم ولا يسكت أبدا.

وعندما حان موعد الذهاب إلى الفرقة مساءً توجه الاثنان إسماعيل ومدير المسرح إلى الفرقة على أن تلحق بهما زوجة المدير، ووجد إسماعيل أن الزوجة تأتى وحدها، ولم يتمالك نفسه فاقترب منها وسألها:

**● أمال فين صاحبتك؟**

**– تقصد مين فوزية؟!**

**● أيوه فوزية اللى كانت معاكى إمبارح.. مش اسمها فوزية؟**

وكان إسماعيل يعيد الاسم لكى يتأكد تماماً من أنها هى، وردت عليه زوجة صديقه:

**– أيوه اسمها فوزية**

**● أمال هى فين؟**

**– فوزية سافرت إلى الإسكندرية بعد الغدا!**

وكاد يصرخ: سافرت إزاى؟! وليه؟ ثم أدرك أنه لا يملك أى حق فى أن يسأل فسكت، ولم ينطق بحرف واحد ثم خرج إلى المسرح فى موعده لكى يلقى مونولوجاته، ولكنه كان يتفرس هذه المرة فى كل الوجوه لعله يرى فوزية بينها ويبدو أنه لمح بين المتفرجات واحدة تشبهها، وبدأ ينظر إليها وظن أن زوجة المدير فعلت كل هذا بالاتفاق مع فوزية لكى ترى مدى اهتمامه بها، وأيقن أنها هى، وراح يغنى لها بمفردها وكأنه لا يرى فى الصالة سواها، حتى اتضح له أنها واحدة تشبهها، وكاد زوجها الذى يجلس إلى جانبها أن يلاحظ اهتمام إسماعيل بها، فغض نظره لكنه استلهم من حبه لفوزية الكثير من الإبداع، والرغبة فى أن يكون فناناً عظيماً وكبيراً لكى يعجبها وتحبه كما أعجبته وأحبها.

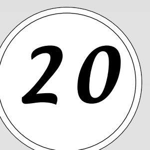
وحين انتهى من وصلته عاد إلى الصالة ليبحث عنها من جديد ونسى أنها سافرت إلى الإسكندرية، وبدا تماماً كمن فقد شيئاً عزيزا عليه، ويريد أن يعثر عليه بأى شكل وبأية وسيلة!

## البحث عن الحبيبة

أدرك إسماعيل شيئاً مهماً.. أدرك أنه قلق على فتاة ليست قلقة عليه، ويبحث عمن لا تبحث عنه فإن هذه السيدة التى شاهدها مع زوجة المدير لم تتجاوب معه ولم تشعر نحوه بشىء، بل ولم تبد مجرد اهتمام عادى أو سطحى به. فلماذا يهتم بها هو كل هذا الاهتمام؟

ومع ذلك مضت ثلاثة أيام وإسماعيل تائه فى أفكار متضاربة ومشاعر متباينة وراح يبحث ويتحرى حتى استطاع أن يعرف عنوانها فى الإسكندرية وعندئذٍ صمم على أن يذهب إلى هناك لكى يراها أو يقابلها ويفاتحها بما يشعر به نحوها.

كان إسماعيل فى هذه الفترة من العام ١٩٤٥، قد فتح الله عليه بالرزق من السينما التى بدأت تلتفت إليه، وقدم أكثر من فيلم خلال هذا العام بدأها بفيلم "القلب له واحد" عندما اختاره المخرج هنرى بركات ليشارك مجموعة كبيرة من نجوم السينما، حيث بدأت أدواره تكبر شيئاً فشيئاً، وشارك معه فى هذا الفيلم الفنان أنور وجدى، والفنانة منى ابنة المنتجة آسيا التى جاءت من لبنان وأقامت شركة إنتاج كبيرة قدمت من خلالها أولاً ابنة شقيقتها مارى كوين، ثم ابنتها منى، وشاءت الأقدار أن تعمل فى هذا الفيلم مونولوجستاً جديدة تدعى "سعاد حسين" وحاولت التقرب من إسماعيل ياسين، وكان بطبيعته لايعامل أحداً، كبيراً أو صغيراً بشكل غير لائق، وظنت سعاد أنه يتقرب منها أو يحاول أن يبدى لها حبه، غير أن هذا لم يكن فى تصوره على الإطلاق، وقبل أن ينتهى من تصوير الفيلم كان قد اختاره المخرج كمال سليم ليشارك فى فيلمه الجديد "ليلة الجمعة" وكانت البطولة أيضاً للحصان الجديد الرابح أنور وجدى، ومعه إبراهيم حمودة، تحية كاريوكا، وبشارة واكيم، وكان يصور أثناء ذلك أدواره فى فيلمى "ليلة حظ" مع نفس الفريق العمل السابق تقريباً، وزاد عليهم المطربة رجاء عبده، وكان من إخراج عبدالفتاح حسن، ثم " تاكسى حنطورة"، وجاء بعده فيلم "البنى آدم " الذى اختاره لبطولته المخرج نيازى مصطفى، ليجمع بينه وبين بطلة جديدة تعمل راقصة فى فرقة بديعة مصابنى اسمها سامية جمال، وصديقه المونولوجست محمود شكوكو، والفنان محمود إسماعيل.




# البنى آدم

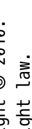




شعر إسماعيل ياسين بأن الدنيا بدأت تضحك له، وأن السينما أصبحت هى ملاذه الوحيد، وأنه العام الذى رأى فيه فوزية هو "وش السعد" عليه، غير أنه فكر فى أمر ما وعزم على قرار لابد أن يتخذه، وهو طالما أن السينما بدأت تفتح له ذراعيها، فلماذا لايبقى عليها وحدها إلى جانب المسرح، ويترك وإلى الأبد فكرة أن يكون مجرد "مونولوجست فى صالة"، حيث شعر بأن هذا ينتقص كثيراً من قدره، فهو ليس مطرباً بالمعنى المفهوم مثل محمد عبدالوهاب، أو حتى المطرب الجديد فريد الأطرش، بل مجرد مونولوجست، فهو لم يسخر من كونه هكذا.. فلم ينس أن "المونولوجست" هذا هو الذى أوصله إلى باب السينما، ولكنه استشعر بأنه كـ "مونولجست" يبدو ضئيلاً أمام حبيبة القلب "فوزية" بخلاف أن يكون واحداً من نجوم السينما الذين يشير الناس إليهم بالبنان، ويهرولون إليهم لمجرد السلام عليهم أو للتوقيع على "أوتوجراف".

منذ هذا اليوم اتخذ إسماعيل قراراً باعتزال غناء المونولوجات والعمل فى الصالات والكباريهات والكازينوهات، حتى لو كان الثمن هو الجوع والعودة للتشرد.. لا بد أن يبدأ حياة جديدة تناسب وضعه الجديد.. ومع حبيبة جديدة، يأمل أن تكون زوجة فى المستقبل، فهى تبدو من عائلة لها أصلها العريق، ولا يليق أن يتقدم للزواج منها باعتباره "مونولوجستا"، بل





سيكون هناك فارق كبير إذا ما تقدم لخطبتها باعتباره أحد نجوم المسرح والسينما.

من شراكته بالمسرح وعمله بالسينما بدأت النقود تجرى فى يدى إسماعيل، فقام بتجهيز شقته بأحدث أنواع الأثاث لتكون جاهزة لاستقبال زوجة تليق بها.

وفى أثناء عودته إلى بيته فى أحد الأيام، حدث ما كان يتمناه طيلة حياته، فما إن ركب الترام ليذهب إلى البيت حتى فوجئ ببعض المارة يلتفون حوله ويشيرون إليه باعتباره الفتى الذى يظهر فى السينما، لدرجة أن أحدهم داعبه قائلا:

● يا بُقو.

فرد عليه إسماعيل

- بُقك أكبر من بُقى

بقدر سعادة إسماعيل بالتفاف الناس حوله، وأنه أصبح له جمهور شعر بالخجل، وراح يحدث نفسه:

**● إزاى فنان زيى كده يركب الترام ويتشعبط على السلم.. يا أخى الحمد لله ربنا فرجها من وسع.. لازم بقى تجيب عربية.. علشان الأوضاع الجديدة.**

وطلب إسماعيل من أحد سماسرة السيارات أن يجد له سيارة تغنيه عن المواصلات العامة ومتاعبها، واتفق معه أن يجدها له فى أقرب وقت، خاصة أنه حصل على إجازة سريعة من المسرح والسينما وقرر السفر إلى الإسكندرية، وتشاء المصادفة أن يأتى السمسار بسيارة مناسبة فى اليوم نفسه الذى قرر فيه إسماعيل السفر إلى الإسكندرية، بحثاً عن حبيبة القلب:

**● أستاذ إسماعيل جبت لك حتة عربية متقلبش ورايا**

**- أيوه بس دى باين عليها مستعملة**

**● ماهو على أد الفلوس.. ده موجود وده موجود.. بس أنت قول**

**- يا سيدى كويسة.. بس تفتكر دى تقدر تسافر إسكندرية؟**

**● دى تسافر أسوان ما تقولش آى!!**

**- ودى بكام يا عم؟**

**● علشان خاطرك ٢٠٠ جنيه**

**- يا مُحمدى ٢٠٠ جنيه!!**

**● ده بس علشان خاطرك..**

**- لا ياعم أنا كل اللى معايا ١٥٠ جنيهاً إذا كان ينفعوا يبقى "بونو"**

**● بونو بونو.. مش هخسرك، وادفع الباقى وقت ميجيلك فلوس.**

واضطر إسماعيل إلى تأجيل موعد سفره، ريثما يتم إجراءات نقل الملكية وكان سعيداً بذلك، فهو لن يذهب إلى حيث تسكن حبيبته بوسائل المواصلات، بل بسيارته الخاصة.. وربما يكون فى هذا تدعيماً لموقفه.

## أول سيارة

اشترى إسماعيل ياسين أول سيارة يركبها فى حياته من ماله الخاص، وقرر أن يذهب بها إلى الإسكندرية لكى يفتش عن فوزية التى سلبته نصف عقله، لكنه اضطر لأن يؤجل السفر ريثما يتدرب على قيادة السيارة فهو لم يكن قبل ذلك قد قاد سيارة.

وبدأ إسماعيل يتدرب وكانت مشكلته الكبرى أنه لا يستطيع أن يعود بالسيارة للخلف وقد تعرض لحوادث كثيرة أثناء محاولته ذلك ولكن كل تلك الحوادث التى تعرض لها لم تجعله ينسى فوزية، فقد أبت صورتها أن تبارح خياله.

ولقد لعبت المصادفة دورها من جديد حين اتفق مع صديقه مدير الفرقة على أن ينظم رحلة إلى الإسكندرية.

وهكذا ذهب إسماعيل لا لكى يتفسح، ويرى حبيبته فقط، بل لكى

يعمل أيضاً ولكنه لم يسافر مع الفرقة، بل سافر بسيارته الجديدة أو على وجه التحديد أول سيارة اشتراها فى حياته، وهو لم يذهب إلى الفندق، بل فور وصوله ذهب إلى العنوان الذى عرف أنها تسكن فيه، وأوقف السيارة وجلس يراقب المكان وهو يتظاهر بقراءة جريدة.

ثم لمح فوزية وهى تنزل من البيت.

أخذ إسماعيل يسبقها بالسيارة ببطء شديد، ويقترب منها وينظر إليها، ولكنها لم تشعر به أبداً، فأوقف السيارة وفكر فى أن يسرع وراءها بخطوة ويتحدث إليها، ولكن الخجل انتابه، وعجز عن نطق كلمة واحدة، عجز حتى عن ترديد اسمها فقد كان خائفاً أن يتم تفسير ذلك على غير حقيقته، وتعتقد أنه من صنف الرجال الذين يعاكسون السيدات بسياراتهم وتكوِّن عنه فكرة سيئة.

ولذلك تراجع عن ملاحقة فوزية واختفى.

وفى اليوم الثانى ترك سيارته وبدأ يتمشى بجوار بيت فوزية.

ومضت ثلاث ساعات وهو يقف قرب المنزل، ثم يمشى ذهاباً وإياباً لعله يراها تخرج أو تطل من نافذة.. ولكن دون فائدة.

وفكر للحظة أن يذهب ويدق على باب البيت ويسأل عنها، ثم تراجع حتى عن مجرد التفكير فى هذا، فماذا لو أن أهلها كانوا من النوع الذى لا يتفاهم، فقد يتناولون الموضوع على طريقة يوسف بك وهبى: "لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم"!!

ومع ذلك فكر فى أن يدخل البيت من بابه، ويقول لأهلها مباشرة:

● **أنا بحب بنتكم وعاوز أتجوزها على شرع الله وسنة رسوله.**

ولكن السؤال سيكون عندئذ كيف أحببتها، فلابد أن تكون قابلتها من قبل وهنا تصبح البنت فى موقفٍ حساس ولا يسلم الشرف الرفيع أيضاً، وعدل إسماعيل عن كل ذلك وركب سيارته وعاد إلى المسرح.

ووجد أن أصعب السبل هو أسلمها:

**● أمـا أنا طلعت بنى آدم زى الدور اللى عـملتـه فى فـيلم البنى آدم (يقصد الحمار)!!**

**● كانت تايهة عنى فين.. أنا أفاتح مرات أحمد مدير الفرقة.. وأقولها على أحاسيسى ومشاعرى.. وكل اللى نفسى فيه.. وإنى بحبها وعاوز أتجوزها.. وهى بقى تقدر تتصرف.. هتقولها وتخلص الموضوع وكمان هتفهمها بطريقتها لعلى وعسى!**

بالفعل قابل زوجة مدير الفرقة فى اليوم نفسه، وأوضح لها رغبته فى التعرف على صديقتها فوزية، وإذا لم يكن لديها مانع يريد الزواج منها:

**- أنا كنت واخدة بالى وفهمت من أول يوم قابلناك فى المسرح**

**● أنت بس اللى كنت واخدة بالك ولا هى كمان؟**

**- أنت كانت نظراتك باينة ومفضوحة.. بس هى مابتفكرش فى حاجة**

**● أنت هتخسرى حاجة كلميها وخدى رأيها**

ولم تكذب زوجة مدير المسرح خبراً، ودعت فوزية لحضور عروض الفرقة فى اليوم نفسه.. وحضرت بالفعل.

واستطاع إسماعيل أن يقابلها، وحاول فى المقابلة أن يجد أى مناسبة لكى يفاتحها بحقيقة مشاعره نحوها ورغبته فى الزواج منها، ولكنه كلما حاول وجد شيئاً يسد الطريق بينه وبينها، بل يجبره على الصمت وعلى ألا يقول شيئاً.

وتساءل فى نفسه عن سر هذا الإحجام:

**● ترى هل شعورها نحوى هو نفس شعورى نحوها؟**

حاول أن يدق على هذا الوتر، على أسوأ تقدير سيعرف رأيها.

واشتبك فى حوار معها وسألها عن الصحة والأحوال وبعد أن قدم لها التمنيات الطيبة تعمد أن يقول شيئاً غامضاً عن الحب والزواج والاستقرار.

**● عارفة حضرتك.. الجواز ده أهم شىء فى الدنيا.. لأن بيخلى الإنسان سعيد ومستقر.**

- **يمكن..**

● **ده أكيد.. وخصوصًا لما الواحد ربنا يبعت له الإنسان المناسب**

تضايق إسماعيل من عدم اكتراثها به، وبهذا الموضوع المهم الذى أكد لها من خلاله أنه جاد ويريد دخول البيوت من أبوابها وليس مجرد معجب أو يعاكس، غير أن عدم اكتراثها يعنى أنها لا تحمل له ذرة مما يحمله لها.

ودار فى رأسه فوراً خاطر ملح وهى أمامه: يجب أن ينساها فهى ليست له ولا تأبه أو تهتم به!

ثم قرر فجأة أن يفاتحها بصراحة، وبينما انشغلت صديقتها بالحديث مع إحدى الفنانات قال لها:

● **فوزية.. إحنا مش هنشوف بعض تانى.**

وتطلع إليها ينتظر جواباً، فإذا بها لا تقول نعم أو لا.

ومع ذلك شعر بينه وبين نفسه بأنها رمقته بنظرة فيها عطف وتساؤل.

وارتبك إسماعيل ولم يكرر السؤال.. ثم انتهت المقابلة

## أحقاد الزملاء

بعد ذلك عرف إسماعيل بمحض المصادفة أن بعض الأصدقاء الذين شعروا بمحاولاته مع فوزية ومشاعره نحوها، تطوعوا لتشويه سمعته أمامها بسبب الغيرة من نجاحه:

● **أوعى تكونى بتفكرى فى إسماعيل.. ده مش مناسب أبداً لك**

- **من الآخر كده ده لا أصل ولا عيلة**

●● **إسماعيل ده زير نساء، وبيقولوا إنه طالع لأبوه**

●●● **اللى أنت متعرفهوش أنه اتجوز قبل كده مرتين.. فى ست شهور..**

● **وجاى دلوقت يدور على التالتة.. علشان يبهدل ولاد الناس معاه!!**

- ابعـدى عنه وانفـدى بجلدك.. ده إنسـان شـرير هربت منه مـراته الأولانيـة، وبعـدها هربت الثـانيـة، والثـانيـة دى من هنا من إسكندرية وتقدرى تقابليها وتسأليها، قبل مصيرك ما يبقى زيها.

●● المصيبة إنه بيغير جداً.. والغيرة بتخليه زى المجنون فى تصرفاته.. تتصورى كان بيقفل الباب عليها بالمفتاح!!

وعرف إسماعيل بأمر هذه الوشايات، وقرر ألا يتحدث فيها، لا ينفيها أبداً ولا يؤكدها، بل قـرر بينه وبين نفسـه أنهـا ليست من نصـيبـه، لأن واحدة مكانها، سمعت كل هذا الكلام، لن توافق عليه وإن جاء لها بوزنها ذهباً، وهو لن يفعل ذلك لأنه لايملك شيئاً، واكتفى بأن يتطلع إلى فوزية كل ليلة تأتى فيها إلى المسرح.

وفجأة وجد إسماعيل زوجة مدير الفرقة تأتى وتهمس فى أذنه:

● فوزية عايزة تقابلك فى كازينو شاطئ الإبراهيمية على الكورنيش بكره الساعة تمانية.. قبل المسرح.

لم يصدق إسماعيل نفسه.. موعد بينه وبين فوزية.. فقط وحدهما، وهى التى حددت الموعد.. لماذا؟! وكيف؟ ترى هل تريد أن تصارحه بأنها تحبه؟ أم تريد أن توبخه على ما سمعته عنه من كلام يسىء لأى إنسان.. ولكنه لم يتجاوز معها مجرد أنه طلبها فقط للزواج..

بالرغم من أن هذا اللقاء تمناه إسماعيل طويلاً، فإنه ظل متوتراً قلقاً.. ماذا سيحدث فى اللقاء.. وماذا تريد أن تقول له؟!

## أول موعد غرام

فى الموعد المحدد ذهب إسماعيل إلى كازينو شاطئ الإبراهيمية، تسبقه دقات قلبه، وهناك وجدها فى انتظاره، فقد سبقته إلى الموعد وكانت تجلس فى زاوية بعيدة عن العيون، ذهب إليها والدنيا لا تسعه من فرط سعادته، فها هو أخيراً سيجلس معها بمفردهما، سيجلس مع الفتاة التى أحبها من أعماقه، أحبها كما لو لم يكن قد أحب من قبل، ليس

مهما ماذا ستقول فهو كفيل بأن يرد على كل اتهام توجهه له.. ويكفيه فقط أن تعرف أنه يحبها.. وبجنون!!

فى اللقاء حدث ما لم يتوقع على الإطلاق، جلس ولم يتحدث فى انتظار أن تبدأ صاحبة الدعوة، وظلا صامتين، حتى قطعت هى الصمت:

● أنا عارفة إن فيه فيلم بيتعرض دلوقت فى السينما أنت مشارك فيه

- أيوه صحيح.. هو دور غريب شوية بس كويس.

● اسمه إيه؟

وهو يضحك خجلاً

- اسمه البنى آدم.. بس دورى ملوش علاقة بالبنى آدمين.. بس صدقينى الفيلم ده صادق جداً.. لأن أحياناً بيكون الحيوان أوفى من البنى آدم..

شعرت بأنه يلمح إلى الوشايات التى قالها عنه بعض الحاقدين فى الفرقة، فأرادت أن ترد رداً عملياً على هذا الكلام

● إيه رأيك نروح دلوقت نشوفه

- اللى إنتى تكونى جمهوره لازم يكون أسعد ممثل.. وأسعد إنسان فى الدنيا

ولأول مرة وجد إسماعيل نفسه يمشى على كورنيش الإسكندرية وبجواره ملكة جمال الدنيا، ربما لم تكن بالفعل بهذا الجمال، لكنه رآها ملكة جمال الدنيا، فقد كانت السعادة لديه تعنى أن يمشى بجوارها.

أطفئت الأنوار فى دار العرض، وبدأ عرض فيلم "البنى آدم" بطولة محمود إسماعيل.. سامية جمال، و.. إسماعيل ياسين.

لم يتطلع إسماعيل إلى نفسه على الشاشة أبداً، بل كان يتطلع إليها فقط ثم وجدها هى الأخرى تنظر إليه، وبدأ يسمع الصالة تضج بالضحك عندما كان يظهر على الشاشة، وهمست إليه فى حرارة:

● الناس مبسوطة منك قوى وبتحبك

- ميهمنيش حب أى حد فى الدنيا غير إنسانة واحدة بس

● أنت بتحبنى صحيح يا إسماعيل؟!

- كلمة بحبك كلمة عادية قوى وبنقولها كتير فى السينما.. أنا بعبدك يا فوزية.

وصمت قليلاً واستطرد:

- لكن المشكلة فى أنى بحبك حب ملك علىَّ الدنيا كلها!

● أمال إيه المشكلة؟

- المشكلة هل أنت كمان بتبادلينى الحب

أطرقت برأسها رغم أنه لن يرى احمرار وجنتيها فى الظلام، وقالت له بما يشبه الهمس:

● أيوه.

- أيوه إيه

● بحبك

- تتجوزينى

● موافقة

- وتعيشى معايا على الأرض

● أعيش معاك على البلاط، إذا كنت واثق من أنك عايز تعيش معايا طول العمر.

- بس أنا رجل فقير.. ميغركيش إنى فنان وبطلع فى السيما وبغنى فى المسرح

● وأنا حاعمل إيه بفلوسك إذا كنت مليونير.

- أنا على باب الله.. كل يوم بيومه

**● وأنا على باب الله معاك إن ما كنش فى فراخ ناكل طعمية.. وحيبقى للطعمية معاك طعم اللحمة والديك الرومى.**

**- أنا مش عايزك تتدمى**

**● أنا بحبك واللى بيحب ما يندمش.**

**- أنا مسافر بكرة للقاهرة**

**● وأنا معاك**

**وهنا اندهش ونظر إليها:**

**- معايا!! إزاى.. وليه؟**

**● علشان نتجوز**

**- إزاى.. كده من غير علم أهلك**

**● هيعرفوا بعدين.. لكن لو قلت لهم دلوقت.. مش هيوافقوا**

**- ليه.. أنا وحش قوى كده**

**● مش حكاية وحش ولا حلو.. الحكاية أنهم لهم مواصفات معينة وطلبات متعبة.. ومش بسهولة هيوافقوا.. لكن لما نحطهم قدام الأمر الواقع هيضطروا يوافقوا.**

**● قد كده بتحبينى**

**- زى ما أنت بتحبنى**

عند هذه الكلمة كان الفيلم قد انتهى عرضه وأضاءت الأنوار، ووجد إسماعيل الجمهور يلتف حوله ويصفق له.. وشعر إسماعيل بأن الدنيا تهنئه ليس على نجاحه فى الفيلم.. بل على فوزه بقلب فوزية.

فى اليوم التالى غادر إسماعيل الإسكندرية إلى القاهرة، وبدأ يجهز نفسه بالفعل، وقبل أن يبدأ فى عمل شىء، كانت فوزية قد وصلت إلى القاهرة، واستقبلها لدى وصولها مباشرةٍ، وفرح بها فرحاً لا يوصف لأنه تأكد فى ذلك الوقت من أنها تحبه فعلاً فقد تركت أهلها وأتت إليه!

وأقامت فوزية فى بيت صديق إسماعيل مدير المسرح، ريثما تتم إجراءات الزواج.

يومها قرر أن يترك شقة شبرا، ليستأجر شقة فى العباسية ـ وهو من الأحياء الراقية فى ذلك الوقت ـ وكانت شقة مُعلم الرقص "إيزاك ديكسون" الذى كان قد أعلن عن رغبته فى تنازله عن شقته لقاء مبلغ مائة جنيه، واستطاع إسماعيل أن يقنعه بالتنازل عنها مقابل ٧٥ جنيهاً.

واستلمها إسماعيل بعد أن وقع على عقد الإيجار وتوجه إلى محلات "اريكو" واشترى بعض أدوات المطبخ واشترى من "شارع الأزهر" بعض الأثاث الرخيص ووضعه إلى جانب الأثاث المستعمل الموجود فى الشقة.. وحين انتهى من إعداد شقة الزوجية المتواضعة، ذهب إلى بيت صديقه مدير المسرح، وتم الاتفاق على أن يعقد القران يوم الخميس.

وكأن الأقدار استكثرت الفرحة على إسماعيل، فقد حدث ما يعكر صفو الأجواء بينهما قبل أن يأتى يوم الخميس، حيث فوجئت فوزية بخبر على صفحات مجلة "الصباح" فى نوفمبر ١٩٤٥، يحمل تكذيباً للمونولوجست سعاد حسين تعلن فيه دهشتها وتكذيبها لإشاعة خطبتها من المونولوجست والممثل إسماعيل ياسين، وأنه ليس هناك ما يربطها به، مؤكدة أنه قد يكون الحب من طرفه هو، غير أنها ليس لها علاقة بهذا الموضوع!



# صاحبة العصمة





بكت فوزية وشعر إسماعيل بأن الأمر مدبر، وتم تأجيل الزواج ريثما ينتهى إسماعيل من هذا الموضوع، وكان رده الوحيد والبليغ، ما كتبه وأرسله إلى مجلة الصباح لينشر فى العدد التالى:

"اندهشت عندما لم تكذب المونولوجست سعاد حسين نبأ فسخ خطبتها منذ خمسة أشهر سابقة عندما أعلمتها يومها برفض والدى رفضاً قاطعاً أن أتزوجها.. على كل حال وإن كان الخبر قد تأخر خمسة أشهر.. إلا أننى سعيد لما قامت به السيدة سعاد حسين، فقد أعفتنى من هذا الحرج، ما جعلنى أعجل بعقد قرانى الأسبوع الماضى.. فى يوم نشر الخبر نفسه."!

وكان فى ذلك إرضاء كافياً لفوزية.

وجاء يوم الخميس التالى، وتصادف أن كان موافقاً لموعد الحفل الشهرى الذى تحييه كوكب الشرق أم كلثوم، واحتفل إسماعيل بقرانه مع عدد قليل جداً من المدعوين يستمعون إلى أحدث أغنية لها فى ذلك الحين، وتم عقد القران فى بيت صديقه مدير المسرح.

فى نهاية هذا الحفل البسيط أخذ إسماعيل عروسه فوزية وذهب إلى بيتهما فى العباسية الذى شهد بعد ذلك أيام شهر عسل حقيقية.

فقد اكتشف إسماعيل فى زوجته ست بيت ماهرة تجيد كل الأعمال

المنزلية، إلى جانب إيمانها بأن "القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود" وكانت تقتصد من مصروف البيت لكى تزوده بالأدوات التى كانت تنقصه.

وكانت السعادة بهذه الزوجة تبدو على إسماعيل ياسين، بل وتنعكس إبداعاً على عمله! فقد كانت السيدة فوزية كمال "وش السعد" عليه، فلم يمض وقت طويل على زواجهما، حتى بدأت العروض تنهال على إسماعيل ياسين من السينما، حيث كان العام ١٩٤٥ علامة فارقة فى حياته.. كما أنه اتخذ فيه قراراً بمقاطعة "الكباريهات والكازينوهات" وأنه لن يغنى فيهما بعد اليوم، كما أنه لن يقدم على عمل إلا إذا تأكد من أنه عمل متميز.. وبدأ يعيد حساباته فى كل ما يقدمه.. فلن يقدم تنازلات بعد اليوم مهما تكن الإغراءات.

## زوجة من السماء

شعر إسماعيل ياسين بأنه لأول مرة منذ وفاة والدته يذوق طعم الحب والحنان، ويعرف من جديد معنى أن تكون هناك أسرة، أن يكون هناك بيت مفتوح وزوجة موجودة به طوال اليوم، وسبعة أيام فى الأسبوع، وثلاثون يوماً فى الشهر، معنى أن تكون هناك زوجة محبة فى انتظاره، يتناولان معاً الوجبات الثلاث، معنى أن يكون هناك دفء بالبيت، وأن تكون زوجة محبة لزوجها بإخلاص، ضحت من أجله بالكثير، ووقفت ضد رغبة عائلتها من أجل هذا الرجل، ما جعل إسماعيل يصنع منها تاجاً يضعه على رأسه، لدرجة أنه أسقط من ذاكرته تماماً الزيجتين السابقتين، حتى أن فوزية عندما لاحظت ذلك لم تسأله عنهما، وإن كانت قد عرفت بهما، وتجاهلتهما تماماً كما فعل إسماعيل، فلا وجه للمقارنة!!

كل التغيرات التى حدثت فى حياة إسماعيل العائلية، انعكست بشكل فعلى على حياته الفنية، فكما كانت فوزية نعم الزوجة المخلصة الوفية المضحية، كانت أيضاً "وش السعد" عليه كفنان، فما كادت تمر أيام قليلة

على الزواج، حتى تعاقد على فيلم جديد بعنوان "الأحدب" تأليف وتمثيل محمود إسماعيل وإخراج حسن حلمى، وشارك معه فيه الوجه الجديد محسن سرحان، والفنانة الشابة روحية خالد، ويظهر فيه لأول مرة صديقه المونولوجست حسين المليجى.

فى عام ١٩٤٥ الذى تزوج فيه إسماعيل، وقدم فيه أيضاً ستة أفلام، تنبه الفنان أنور وجدى، إلى أهمية، اثنين فى السينما المصرية، هما ليلى مراد، وإسماعيل ياسين، فلا شك أنهما الحصانان الرابحان فى السينما المصرية خلال السنوات المقبلة.

كان أنور وجدى، قد بدأ أيضاً ـ كما إسماعيل ياسين ـ يذوق طعم السعادة والنجاح، وأخيراً بدأت النقود تعرف طريقها إلى جيبه بعد سنوات من المجافاة، ذاق خلالها طعم الجوع والحرمان، ونام ليالى طويلة فى كواليس مسرح رمسيس، وضُرب وأُهين وطرد من أماكن كثيرة، وكان من بين الذين طالوه بالضرب والإهانة الفنان الكبير يوسف بك وهبى، فقد كان صارماً فى مسرحه "مسرح رمسيس" الذى كان يعمل به أنور وجدى مجرد عامل إكسسوار، حتى ابتسم له الحظ وأعطاه دوراً فى واحدة من مسرحياته.. ودورا بعد دور، ومسرحية بعد مسرحية.. تنبهت له السينما، خاصة أنه يحمل الكثير من صفات نجوم السينما فى ذلك الوقت، الوسامة والأناقة والعود الممشوق، وهى المواصفات التى كان لابد أن يتحلى بها "الفتى الأول" أو بلغة السينما "الجان"، وما إن قام بتثبيت قدميه على شاشة السينما، حتى تجاوز الوقوف أمام الكاميرا، وراح يزج بنفسه فى تفاصيل الصناعة نفسها، فتعلم الإخراج وكتابة السيناريو والحوار.. ثم حلمه الأخير "الإنتاج".

كان حلم الثراء بأى شكل وبأى ثمن، حتى لو كان المرض يراوده باستمرار.. فقد تمنى أن يعطيه الله الفلوس والثروة حتى لو أخذ منه صحته!!

كان من الذكاء بحيث إنه ما إن بدأ التفكير فى الإنتاج والإخراج.. حتى

تنبه على الفور إلى هذين النجمين "ليلى مراد" و"إسماعيل ياسين" ففكر على الفور فى نجاح فيلم "ليلى فى الظلام" مع المخرج توجو مزراحى، وما قبله من الأفلام التى تحمل اسمها، وانتهز فرصة رحيل المخرج كمال سليم فى العام نفسه ١٩٤٥، حيث كان يتأهب لإخراج فيلم "ليلى بنت الفقراء" وعرض أن يقوم هو بإخراج الفيلم، رفضت ليلى فى البداية، فلم تكن تعرف مدى خبرة وقدرات أنور وجدى، وإذا ما كان يستطيع أن يقوم بإخراج الفيلم بنجاح أم لا، غير أن أنور لم يكن يترك أمامه فرصة حتى يقنعها بنفسه وبقدراته، وتحت الضغط والإلحاح والمطاردة فى كل مكان، اضطرت ليلى أن توافق، وأخرج لها أول أفلامهما معاً، والذى حقق نجاحاً كبيراً لم تكن تتوقعه ليلى، كما لم يتوقعه صناع السينما آنذاك، ليقدمها فى العام التالى فى فيلم يحمل اسمها أيضاً بعنوان "ليلى بنت الأغنياء" وكان لابد أن يستعين فى هذا الفيلم بالحصان الثانى.. "إسماعيل ياسين" الذى كان مقتنعاً به وبموهبته بشكل غير عادى. .

وكما كانت ليلى مراد فاتحة خير على أنور وجدى، الذى عرف من خلالها طعم النجاح والتفوق، والأهم طعم النقود، كانت "فوزية كمال" أيضاً فاتحة خير على إسماعيل وذاق معها طعم النجاح والنقود، وربما الثراء، ولم لا .؟ فقد أصبح فى ذلك الوقت ينتقل من تفوق إلى تفوق، ومن نجاح إلى نجاح، وكان على قناعة تامة بأن زوجته فوزية هى السبب فى كل ما يحدث له، لدرجة أنه أصبح يتفاءل بوجودها معه عندما يذهب ليوقع أى تعاقد جديد له، وبدا هذا واضحاً منذ الأسبوع الأول من الزواج، خصوصاً عندما وقع فى أول أسبوع من زواجهما عدداً من العقود السينمائية، وكان كل عقد بخمسين جنيهاً وهو أجر كبير لنجم فى حجمه فى ذلك الوقت!

## ست بيت

كانت السعادة تلف بيت إسماعيل ياسين من كل جوانبه بعد أن تزوج من فوزية، وثبت له بما لا يدع مجالاً للشك أنها "ست بيت" بكل معنى

الكلمة، بعد أن كان يشك فى هذا الأمر، خاصة أنها كانت مرفهة إلى درجة كبيرة، وكانت لا تفعل ذلك فى بيت أسرتها، حيث كان هناك من يقوم على خدمتها، ولم تتضرر فوزية من القيام والسهر على خدمة إسماعيل، فلم تكن ترفض أن تعد له الطعام بيدها، حتى بعد أن وقع العقود وحصل على "مقدمات" أجر كبيرة، رفضت الاستعانة بخادمة، وأصرت على أن تكون هى الزوجة، بل والسكرتيرة التى تنظم له مواعيده وارتباطاته وتنسق فيما بينها، بل وتكون الخادمة التى تقوم على راحته، لدرجة أنه أدمن طعامها، ولم يعد يستسغ أى طعام إلا من يديها، وعلى الرغم من ذلك كانت حريصة على أن تقتصد فى مصروف البيت الذى يدفعه لها، لكى تزود البيت بما يلزمه من أدوات مطبخ جديدة، وفرش جديد.. وأثاث ناقص، رافضة أن يعود لما كان عليه من قبل، من الإنفاق بغير حساب، والأكل فى المطاعم والكازينوهات، لدرجة أنه ذات يوم وقع إسماعيل عقدين لفيلمين جديدين، وحصل على مقدم لكل منهما، من منتج الفيلمين أنور وجدى، وكان معروفاً عن أنور وجدى أنه لا يدفع مقدمات أجور، بل إنه يدفع بقية الأجر بعد أن يكون الفيلم قد عرض وحقق نجاحاً، واعتبر إسماعيل ذلك نصراً عزيزاً، وأراد أن يحتفى بهذه المناسبة الخاصة، ووجدها فرصة لأن يصطحب زوجته لقضاء سهرة سعيدة خارج البيت، خصوصاً أنها لم تخرج من البيت طوال الستة أشهر الأولى منذ زواجهما:

- **● البسى بسرعة يا فوزية أنا عندى لك خبر حلو قوى**
- **– وهو ما ينفعش تقول الخبر وأنا بهدوم البيت.. لازم ألبس؟**
- **● لا يا ستى.. الخبر مش هقولك هنا.. ده بره**
- **– بره فين..؟**
- **● فى كازينو أوبرا**
- **– إسماعيل!! أنت رجعت للكازينوهات تانى؟!**
- **● إحنا رايحين الكازينو باعتبارنا زباين.. مش شغل**

ولم يقل لها ماذا سيفعلان، وظنت فوزية أنه يصطحبها معه كالعادة إلى كازينو أوبرا، حيث سيتقابل مع أحد المنتجين هناك وسيتم توقيع عقد جديد لفيلم، أو اتفاق على العمل بفرقة مسرحية جديدة.

وكان أن أخذها إلى كازينو "أوبرا" وصعدا إلى "الروف"، كل هذا وهى تنتظر أن تفاجأ بوجود المنتج، أو أنه سيأتى ليوقع معه العقد الجديد، وكان هذا الكازينو يشتهر بمأكولاته اللذيذة، وجاء "الجرسون" ووجدت فوزية إسماعيل يقول له:

**● اتنين عشا.. هات رطلين كباب ورطلين كفتة.. وجوزين حمام محشى.. والسلطات والذى منه.**

**وما كاد الجرسون ينصرف إذا بزوجته تثور، وتغضب:**

**- إيه الإسراف ده.. أربع أرطال كباب وكفته وجوزين حمام.. كأننا مشفناش أكل قبل كده.. ثم إيه لزومه العشا بره من أصله.. أنا فاكرة انك عاملى مفاجأة**

**● وهو فيه مفاجأة أحسن من كده..**

**- كنت فاكرة إنك جاى توقع عقد جديد مع منتج معادك معاه هنا**

**● ماهو ده اللى حصل.. وعقدين مش عقد واحد.. وآدى العربون عن كل فيلم**

**وأخرج من جيبه مقدم كل فيلم.. فأخذت النقود وأكملت كلامها**

**- علشان وقعت عقدين تفقد الفلوس فى الأكل ده كله**

**● ياستى كُلى اللى تاكليه وسيبى الباقى**

**- مينفعش.. ده اسمه إسراف وإحنا محتاجين كل قرش دلوقت..**

**● طب أعمل إيه بس يا فوزية ما أنا خلاص طلبت الأكل وزمانه جهز.. مينفعش أقولهم خلاص بلاش.**

**- لكن ينفع تخليهم يلفوه وناخده البيت.. ناكل فيه براحتنا واللى يفيض ناكله مرة تانية.**

**● حاضر ياستى بس بلاش تزعلى نفسك كده.. إحنا خارجين علشان نتبسط شوية**

**- ما إحنا برضه ممكن نتبسط فى البيت.. وإلا أنت خلاص مبقيتش تحب تاكل من إيديا**

**● ده كلام!! إذا كان أنا عاوز آكل إيديكى نفسها**

كان الجرسون قد ذهب وأعد الطعام بالفعل ولذلك لم يجد إسماعيل بداً من أن يطلب لفه، وحمله معه إلى البيت وهو يعتذر لزوجته عن سوء تصرفه هذا، ويعدها بألا يكرره مرة أخرى، وكانت المرة الأولى والأخيرة التى يفكر فيها إسماعيل ياسين فى أن يتناول طعامه خارج البيت.. أو من يد أحد غير يدى فوزية.

## زوجة هى كل حياته

لم يكن الطعام الذى يحبه إسماعيل هو الذى تقوم به فوزية فقط، بل كانت إلى جانب عملها فى البيت ومساندتها له فى تنظيم مواعيده وارتباطاته فى الأفلام التى كان يعمل بها، كانت أيضاً تقوم بشغل بعض المفارش وصنع بعض "تابلوهات الكنفاه" لتزين بها الحوائط، وعندما تكررت شكوى إسماعيل من صلابة الفراش الذى كان ينام عليه منذ أيام "العزوبية" أصرت فوزية على ألا يغيره إلا فيما بعد، حتى أصبح لا يحتمل، هنا فقط قررت أن تعيد ترميم الفراش و"تنجيده"، وما إن عرض عليها إسماعيل أن يستعين بـ "المنجد" الموجود بالشارع الخلفى، حتى قالت له:

**● فكر أنت فى شغلك ومتشغلش بالك بالأمور دى.. سيبنى أتصرف.**

مر أسبوع وأسبوعان.. ومازال إسماعيل يشكو ولم يعد يحتمل، وظن فى بداية الأمر أن "المنجد" مشغول إلى هذه الدرجة وضرب لهما موعداً متأخراً، حتى اكتشف إسماعيل الحقيقة، فقد كانت خلال هذه الأيام تبحث عن "أرخص" منجد بالقاهرة كلها، حيث ظلت فوزية تساوم هذا

وذاك حتى أتت بالأرخص، وما إن أتى الرجل وبدأ عمله حتى اكتشف أن الفراش الذى كان ينام عليه إسماعيل وزوجته كان محشوا بقليل من القطن، وكثير من"الطوب والزلط والتراب"!!

فى فترة الزواج الأولى استطاعت فوزية أن تغير الكثير من عادات زوجها وهواياته، وقد أبعدته تماماً عن كل العادات السيئة التى تلازمه منذ أن جاء إلى القاهرة، خصوصاً "سباق الخيل". الذى عاد إليه بعد أن بدأت "الفلوس" تجرى من جديد فى يده، كما أبعدته عن الجلوس فى المقاهى، التى كانت منتشرة فى شارع عماد الدين، وكان يحب الجلوس إليها بشكل دائم، خصوصاً أنه كان يدمن لعب الزهر أو "الطاولة"، فما كان منها إلا أن تعلمت "الطاولة" لكى تلعب معه فى البيت، وأبعدت عنه أصدقاء السوء، الذين يجرونه إلى مثل هذه العادات السيئة، وقربت منه الأصدقاء الذين يحبونه، ويخلصون له، وكانت لا تشكو من شىء أبداً، بل كانت زوجة راضية قانعة، لدرجة أن البيت فى بداية حياتهما الزوجية كان يخلو أحياناً من أهم الضروريات، بل ومن الطعام فى بعض الأحيان ولكنها أبدا لم تكن تشكو وكان يكفيها أن تعيش طوال النهار على كوب من الشاى ورغيف من الخبز، أو تشاركه فى أكل سندوتش "فول أو طعمية"، وتبدو فى غاية السعادة.. فقط كانت مصممة على أن تبنى كيان زوجها دون أن ترهقه وأن تعمل للمستقبل بكثير من التفاؤل، وحريصة على أن تفعل كل ما يوفر لزوجها الأسباب التى تشجعه على أن يعمل ويبدع فى عمله، وهو ما انعكس بشكل كبير على حياة إسماعيل ياسين الفنية، وحتى إذا حدث ووقع خلاف ما بينهما ـ وكان هذا نادر الحدوث على مر حياتهما ـ فإن فوزية لم تكن تترك إسماعيل يذهب إلى عمله إلا وهو راض تمام الرضا، وكانت تعتذر له حتى لو كان هو المخطئ، ومعها كل الحق، وهذا ما جعله يقدرها تقديرا لم تنله زوجة فى عصرها، وأحبها لدرجة الجنون!

## فاكهة السينما

فى هذه المرحلة استطاع إسماعيل ياسين أن يثبت قدميه فى السينما، لدرجة أنه أصبح يشبه "طبق الفاكهة" الذى لابد منه فى أى فيلم يتم تقديمه فى ذلك الوقت فبعد الحرب العالمية الثانية تضاعف عدد الأفلام المصرية من ١٦ فيلماً عام ١٩٤٤ إلى ٦٧ فيلماً عام ١٩٤٦، ربما كان من نصيب إسماعيل منها وحده، ما يزيد على ستة أفلام، كان من بينها "سلوى، غرام بدوية، حرم الباشا، صاحب بالين" وغيرها كما لمع فى هذه الفترة عدد من المخرجين الواعدين مثل كامل التلمسانى، وعز الدين ذو الفقار، وصلاح أبو سيف، الذى كان يعمل بالمونتاج بعد انتقاله إلى استوديو مصر، ثم مساعد إخراج، وعندما جاء ليقدم نفسه للسينما كمخرج، بفيلم روائى قصير بعنوان "نمرة ٦" اختار لبطولته أحب نجم من نجوم ذلك الوقت إسماعيل ياسين، ثم كتب نجيب محفوظ سيناريو فيلم "المنتقم" بالتعاون مع مخرجه صلاح أبو سيف لتكون أول مرة يظهر فيها اسم الكاتب على الشاشة ككاتب سيناريو، وفى هذا العام أيضاً ١٩٤٧ ظهرت المطربة الصاعدة شادية كبطلة لأول مرة مع المطرب محمد فوزى، الذى يظهر لأوّل مرة أيضًا، وعملا معاً فى فيلم "العقل فى أجازة" إخراج حلمى رفلة، ثم تخرجت أول دفعة فى المعهد العالى للتمثيل، وكان بين الخريجين شكرى سرحان وفريد شوقى وحمدى غيث وزهرة العلا وصلاح سرحان. وغيرهم، وبالرغم من ذلك فإن نصيب إسماعيل وحده من بين ما قدم فى هذا العام عدد كبير من الأفلام فقدم: "لبنانى فى الجامعة، معروف الإسكافى، أنا ستوتة، العرسان الثلاثة، حبيب العمر، بياعة اليانصيب، عروسة البحر، سلطانة الصحراء، ابن عنتر، الستات عفاريت، بنت المعلم".



# ليلة العيد





لم يكن إسماعيل ياسين قد غاب عن عقل الفنان والمخرج أنور وجدى، حتى جاءت الفرصة ليستعين به مرة أخرى فى فيلم جديد للفتاة التى كان قد وقع فى غرامها، ليلى مراد، واستعان مرة أخرى بإسماعيل ليشارك فى بطولة فيلم "قلبى دليلى" فى العام نفسه ١٩٤٧، إلى جانب محمود شكوكو وإلياس مؤدب، ومعهم الخريج الجديد من معهد التمثيل فريد شوقى، واستيفان روستى وبشارة واكيم، وغيرهم، ويبرع إسماعيل ياسين فى التمثيل وغناء المونولوجات.

فى ذلك الوقت اتخذ أنور وجدى قراراً بالزواج من فتاة أفلامه ليلى، فقد كان أسير غرامها من ناحية، وخائفاً من أن يستغل مواهبها مخرج آخر من ناحية أخرى، وكان من المفترض أن تنتهى أحداث الفيلم بزواج البطل من البطلة، وكان البطل أنور، والبطلة ليلى، وجاء تصوير المشهد الأخير من الفيلم وتم بناء ديكوراته على اعتبار أنه "فرح".

قبل التصوير كان أنور يخشى مفاتحة ليلى فى الزواج منها، وطلب من إسماعيل ياسين أن يجس نبضها فى نيتها من الزواج إذا ما تقدم لها أنور وجدى، ووجد إسماعيل ياسين عدم رفض أو قبول، وهو ما نقله إلى أنور.. الذى لم يكن يضيع وقته وبادر على الفور بطلب يدها، وجاء ذلك وهو يرقص معها "رقصة الفالس" على أنغام أغنية الفيلم الأخيرة "أنا قلبى دليلى قاللى هتحبى".. وبينما هما يرقصان همس أنور فى أذن ليلى:

● **تتجوزينى يا ليلى**

**- موافقة**

وما إن انتهت الرقصة حتى أعلن أنور وجدى نبأ الزواج على الفور أمام الجميع، وكان معروفاً عن أنور وجدى حرصه الشديد، بسبب أيام الفقر والجوع والتشرد ـ على عكس إسماعيل ياسين بالرغم من تشابه ظروف البداية لكل منهما ـ وحتى يوفر فى نفقات إقامة فرح حقيقى، انتهز وجود ديكورات الفيلم التى تمثل أجواء "الفرح"، وأكد للجميع أن هذا هو فرحه على ليلى مراد، واحتفل الجميع بزفافهما فى اليوم نفسه الذى كان فيه الفرح هو آخر يوم تصوير بالفيلم..

## فاتحة خير

حاول أنور وجدى استغلال زواجه من ليلى مراد لأقصى درجة ممكنة، وما إن عادا من شهر العسل حتى بدأ تجهيز فيلم جديد بعنوان "عنبر"، وطلب إسماعيل ياسين للمشاركة فيه، ولم يكن يتردد فى طلب أنور وجدى له، فى الوقت الذى كان مشغولاً فيه بالعديد من الأفلام، حيث كان يشارك فى أفلام: يحيا الفن، صاحب العمارة، حب وجنون، الصيت ولا الغنى ، خلود، السعادة المحرمة ، الروح والجسد، أميرة الجزيرة ، وخيال امرأة.

ويوما بعد يوم كان تفاؤل إسماعيل بزوجته يزداد، فمنذ أن تزوجها ظل فى صعود دائم ولا يعرف الفشل، ففى أيام زواجهما انتقل فى السينما من الأدوار المساعدة إلى الأدوار الرئيسية، وانتقل إيراده من خانة الآحاد إلى خانة الألوف.

وكان لابد أن يكافئ إسماعيل فوزية على ما تفعله معه، فحين انتقلا من شقتهما المتواضعة إلى شقة فاخرة بمنطقة الزمالك، وكانت مزودة بالتليفون، كان إسماعيل يكلم زوجته كل ربع ساعة، ويقدم لها تقريراً كافيًا وافياً عما جرى معه بين المكالمتين، ولا يضع السماعة قبل أن يسمع دعاءها له ورضاها عنه وقبلاتها أيضاً.

وعلى الرغم من حرص فوزية على الاقتصاد، بقصد بناء حياتهما، فإنها كانت تطلب من إسماعيل أن يظهر دائماً بأحسن مظهر، وعندما وجدت الوقت مناسباً بعد الانتقال إلى السكن فى أرقى أحياء القاهرة، حرصت على أن يمتلك أحدث سيارة، ويشترى أجمل الملابس، وبمرور الأيام، وجد إسماعيل أن زوجته استطاعت أن توفر له شبه ثروة، وكان هذا يحثه على أن يعطيها أكثر، ولا يسألها عما تفعل.

عاش إسماعيل ينهل من عسل حياته الزوجية، وكانت سعادته أكبر عندما تم التراضى بينه وبين أهل زوجته، خاصة بعد أن أصبح اسمه على كل لسان، وبعد ثلاث سنوات من زواجه قرر أن يسافر مع زوجته إلى الإسكندرية، فى زيارة عائلية، والعمل فى فيلم جديد، وما إن دخلت فوزية إلى البيت حتى أصيبت بحالة إغماء شديد، وكاد إسماعيل يجن وأسرع فى إحضار الطبيب وفحصها، وقال له:

● **مبروك.. الهانم حامل!**

وكاد إسماعيل يجن من فرط السعادة، فقد بشره الدكتور بأن زوجته حامل، وكانت أمنيته أن يرزق بالذرية الصالحة، وبعد تسعة أشهر ولد أول - وآخر - مولود لإسماعيل ياسين، وعلى وجه التحديد كان ذلك يوم ٢٠ مارس عام ١٩٤٩، وقد اختار إسماعيل لابنه اسم جده "ياسين"، فقد كان يحب والده حباً شديداً، حيث راح يعطى له كل اهتمامه والكثير من العناية والحب والتدليل، وبعد ولادة ياسين بشهور قليلة اشترى إسماعيل "فيللا" فى الزمالك وأقام فيها، وهنا تذكر والده، فقد مضت سنوات طويلة لم يره فيها.. ترى كيف أصبح؟ وإلى أى حال صار؟ وهل لا يزال على قيد الحياة؟!!

وأصر أن يسافر إلى السويس، خاصة بعد أن فتح الله عليه، وأصبح ميسور الحال.

# العودة إلى أيام الثراء

ذهب إلى السويس ووجد أباه على حاله يعمل عند أحد "الصاغة" بعد أن باع دكانه ولم يعد له مركز.

فانتحى به جانباً وقال له:

**● اسمع يا والدى أنا الحمد لله ربنا فتح عليا.. علشان كده أنا هرجعلك كل حاجة.. المحل وتجارتك مش هسيبك تانى تتبهدل.. بس أوعدنى يا والدى إنك تبعد بقى عن موضوع الستات والشرب والحاجات اللى بالى بالك دى.**

**- أوعدك يا بنى.. وأنا اللى كنت فاكرك نسيتنى خلاص بعد ما ربنا فتح عليك وكانت بتوصلنى أخبارك!**

**● أنت عارف إن ابنك كده؟.. أنا بس كنت مستنى ربنا يفرجها.. وأول ما حصل جت لك.**

**- متتصورش كنت ببقى فرحان قد إيه لما باسمع أخبارك ولا أشوف صورتك فى جورنال.. كنت ببقى عايز أصرخ وأقول لكل الناس إن ده ابنى.. بس كنت بخاف "أعرك" ولا أسببلك مشاكل.**

**● أنا عمرى ما أستعر منك.. أنا فخور إنى ابن المعلم ياسين.. وكمان سميت أول ابن لى على اسمك.. ياسين..**

**- يعنى أنا بقيت جد..**

وأعاد إسماعيل والده إلى محله الكبير، بل واشترى له محلاً آخر إلى جانبه لكى يصبح أكبر، وأعطاه مبلغاً يضمن له بدء العمل بقوة.

ولكن ما كاد والد إسماعيل يبدأ عمله حتى عاد إلى سيرته الأولى وأقبل من جديد على حياة الليل والصخب، والضجيج، بل مع توسيع أعماله أصبحت له صديقة فى القاهرة وأخرى فى الإسكندرية، وثالثة فى المنصورة، ورابعة فى طنطا، هذا عدا الموجودة فى السويس، وكان هذا يكلفه كثيراً ولذلك أخذ يبدد محتويات المحل الكبير، حيث التهمت

مغامراته النسائية الكثير من رأسمال المحل، وبدأ يطلب من إسماعيل أن يمده بالمال بحجة أنه يريد شراء بضائع جديدة.

وكان إسماعيل يرسل لوالده كل ما يريد، ولم يكن يعرف أنه ينفق أمواله على مغامراته ونسائه، وحين كان يسافر كان يدعى أنه يذهب لشراء بضائع وكان إسماعيل يصدق أباه لأنه كان يحبه من أعماقه!

## لقاء مع الملك

أصبح إسماعيل ياسين بنجاحه المتواصل فى السينما "تميمة الحظ" التى ساندت البدايات لكثير من الفنانين والفنانات، الذين بدأوا حياتهم الفنية، خلال فترة ظهوره الطاغى على شاشة السينما، وحدث هذا مع المخرج الكبير صلاح أبو سيف، حين استعان به فى أول أفلامه، وتكرر الأمر مع عدد كبير من المخرجين الذين حرصوا على أن تكون بداياتهم فى السينما من خلال العمل مع إسماعيل ياسين، بعد أن عمل بعضهم كمساعد مخرج فى بعض أفلامه، ضماناً لعدم المخاطرة أو كسراً لرهبة التجربة الأولى بالاعتماد على نجم سبق التفاهم معه، مثل: "حسن الصيفى، حسن حلمى، حمادة عبدالوهاب، ثم فطين عبدالوهاب".

ووسط ضجة التصفيق كان إسماعيل ياسين "حدوتة المصريين" فى القرن العشرين فهو الشاب الذى توقف الفن المصرى لأجله عدة سنوات لكى يتمرن كل هواة الإنتاج والإخراج والتصوير على سرقة شىء جديد من مواهبه، ومنذ عام ١٩٤٨ على وجه التحديد انسحب إسماعيل ياسين نهائياً من إلقاء المونولوجات فى المسارح والملاهى ما عدا بعض الحفلات التى تقام فى المناسبات.

وكان من جملة المناسبات التى دعى فيها لإلقاء بعض مونولوجاته حفلٍ أقيم العام ١٩٥٠ فى ملهى "الأوبرج" وكاد يفقد فيه حياته، وكان حفلاً خيرياً مقاماً لصالح جمعية "مبرة محمد على"، وحضره الملك فاروق الذى فقد وقاره فى تلك الليلة من شدة الضحك حين كان إسماعيل

يلقى منولوجاته ونكته، وأوعز فاروق إلى أحد رجاله بأن يدعو إسماعيل إلى القاعة الخاصة بالاستراحة الملكية.

وحين جاء وقت الاستراحة، ووقف إسماعيل أمام الملك وهو فى حالة خوف وتوتر وقلق.. ماذا يريد.. وبادره الملك قائلاً:

**● يلا يا إسماعيل اسمعنا نكتة جديدة**

**ومن فرط الارتباك بدأ إسماعيل النكتة قائلاً:**

**- مرة واحد مجنون زى جلالتك كده......!!**

**فصرخ الملك:**

**● أنت بتقول إيه.. ده مجنون؟**

وأدرك إسماعيل أن الارتباك أوقعه فى مصيبة، فقد أخطأ فى الكلام، وما كان منه إلا أن سقط على الأرض، وتظاهر وكأنه قد أغمى عليه، ونهض الملك لمتابعة الحفل غاضباً، وبقى بعض رجال الحرس الملكى حول إسماعيل لمعرفة مصيره الذى سيأمر به الملك.. فلابد أن هناك عقاباً ينتظره!

بقى إسماعيل يتصنع الآلام طوال ما تبقى من مدة الحفل، بل كان يتمتم بألفاظ غريبة وانتهى الحفل ومر الملك على الاستراحة وسأل عن إسماعيل وحين قيل له إنه لا يزال مغشياً عليه أمر الدكتور يوسف رشاد طبيبه الخاص بعلاجه!

وبدأ الدكتور رشاد بعلاج إسماعيل بعد أن جلب حقيبته الطبية من السيارة الملكية، ومثَّل إسماعيل دور من يستفيق فلا يعرف أين هو وأخذ يهذى بكلام غير مفهوم وسأل الملك طبيبه الخاص عن حالته، وأدرك الطبيب الموقف وأن إسماعيل يتظاهر بكل ذلك من شدة الخوف فقال للملك:

**● لا.. لا.. مفيش كلام من ده.. إسماعيل مريض وتصيبه حالة من ضعف الذاكرة وفقدان الإدراك واضطراب الأعصاب، وهو فى حاجة لأن يقضى فترة تحت الرقابة الطبية لمعالجة هذه الحالة.**

وفهم إسماعيل أن الملك عاقبه بإيداعه مستشفى الأمراض العصبية والنفسية، فراح يبكى بدموع حقيقية وهو ملقى على الأرض، وأمر الملك فاروق بأن ينقل إلى المستشفى "المبرة" لعلاجه على نفقته مع العناية التامة به!

ونقل إسماعيل بسرعة إلى مبرة "محمد على"، وصدرت الصحف فى اليوم التالى وهى تشيد بالعطف الملكى الكريم على إسماعيل ياسين، وأشارت الصحف إلى أن إسماعيل عاوده مرض الصرع أثناء الحفل الخيرى، الذى كان الملك يحضره، فأمر الملك بعلاجه على نفقته الخاصة.

وأصبح هذا الموضوع حديث الناس فى المجتمعات، ومناسبة لتوجيه الشكر من الجميع للملك فاروق.

غادر إسماعيل المستشفى بعد عشرة أيام وسكت عن سر الحكاية ولم يروها لأحد أبداً، حتى ولو بينه وبين نفسه، لكنه فوجئ بعد أن ترك المستشفى بعدة أيام بمندوب من المستشفى يطلب منه حساب إقامته!

وقال له إسماعيل:

● **أنا علاجى كان قد أمر به الملك وعلى حسابه والصحف نشرت الكلام ده!**

**فرد عليه مندوب المستشفى:**

**- الخاصة الملكية رفضت دفع مليم واحد.. ولازم تدفع حساب المستشفى.. أو تفضل هنا لحد ما الفلوس تتدفع!**

وكاد يغمى على إسماعيل عندما وجد أن فاتورة المستشفى تزيد على مائتى جنيه، لكن فوزية كانت على استعداد لدفع أضعاف المبلغ ولو عشر مرات، ودفع إسماعيل المبلغ صاغراً لأنه خشى إن لم يدفعها أن تتأزم الأمور ويدعوه فارق لكى يلقى نكتة ما أمامه!!

## قيام الثورة

ظل إسماعيل ياسين يتذكر هذا الموقف فقط بينه وبين نفسه، لم يجرؤ أن يذكره حتى أمام زوجته، لما يحمله من ذكريات أليمة، وخشية أن ينكل به، فقد كان يكره مثل هذه الحفلات التى تقيمها الأسرة المالكة ويكره أن تتم دعوته إليها، بل بات منذ ذلك اليوم يكره أن يسمع سيرة الملك أو أى من أفراد الأسرة المالكة، حتى استيقظ على هذا البيان فى الإذاعة المصرية صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢:

● بنى وطنى لقد اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير، من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى فلسطين.

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.

تلقى إسماعيل ياسين هذا النبأ بفرحة غامرة، مثل سائر الشعب المصرى، غير أن فرحة إسماعيل كانت فرحة خاصة، فقد شعر بأن القدر انتقم له.

أراد إسماعيل أن يشارك الجيش والشعب هذه الفرحة، ولكن ماذا يفعل؟ فقد كان فى ذلك الوقت قد انتهى مباشرة قبيل قيام الثورة من تصوير فيلمه "اللص الشريف" سيناريو وحوار على الزرقانى، وإخراج حمادة عبدالوهاب، وبطولته أمام شادية ولولا صدقى، وأوقف إسماعيل عرض الفيلم وأصر أن يضيف إليه مشهداً يقدم فيه مونولوجا يعبر من خلاله عن فرحة الشعب بالثورة وإعلان مساندته للجيش، واتفق على ذلك مع المخرج، وبالفعل تم تصوير المونولوج وهو يغنى فى الشارع بين الناس، تعبيراً عن فرحة الشعب، كما جاءت الكلمات التى كتبها الشاعر "ابن الليل" تؤكد ذلك:

**عشرين مليون وزيادة كانوا عايشين هنا أموات**

**علشان حضرات السادة البهوات والبشوات**
**كان الفلاح أجرى يا مشكاح.. لجل اللى عايش مرتاح**
**وأبو كرش كبير داير بنكير فى أوروبا عامل سواح**
**وبوتيك سليمان.. وعلى النسوان..**
**وعلى الكونكان.. فودفيل وبكام**
**اصرف كُع ما فى الجيب.. يأتيك يا ابنى ما فى الغيب**
**وما بعد سعادته سعادة.. أصله وجيه وابن ذوات**
**خدعوه حضرات السادة.. البهوات والبشوات**
**الغنى من دول كان قد القول.. كذا ألف وكذا فدان**
**كان هو السِّيد والباقى عبيد وكلامه تقول قرآن**
**سجن وترابيس.. أحرار محابيس..**
**والعجل أبيس داير تهليس**
**يسرق ويقولوا أمين.. يكفر ويقولوا آمين..**
**ويقولوا ده شيخ سجادة وصاحب كرامات**
**خدعوه حضرات السادة البهوات والبشوات**
**كان عهد فساد وأسود وسواد على شعب أصيل وكريم**
**والمولى أراد وكان بالمرصاد وسمع شكوى المظاليم**
**كان فرجه قريب**
**وسميع ومجيب**
**والجيش ونجيب عملوا الترتيب**
**وبفضل المولى عليه.. سعدنا تم على إيديه**
**والشعب بقاله إرادة.. هزت كل الشنبات**
**وبقينا كلنا سادة.. ولابهوات ولا بشوات..**
**عشرين مليون وزيادة.**

هز إسماعيل ياسين بهذا المونولوج وجدان جميع فئات الشعب المصرى،

بمن فيهم أعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو، وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب والبكباشى جمال عبدالناصر، الذى كان واحداً من عشاق فن هذا الفنان، وزاد حبه وعشقه له بعد أن شاهد هذا المونولوج فى الفيلم، غير أنه لم يكتف بهذه التحية، فبعد ما يقرب من شهر تقريباً قدم "أسكتش الثورة" بمشاركة الفنانة شادية من خلال فيلم "حظك هذا الأسبوع" الذى كان من بين مجموعة من الأفلام التى قدمها إسماعيل ياسين خلال عام ١٩٥٣ وكان من بينها: "بنت الأكابر، عفريت عم عبده، دهب، بين قلبين، كلمة حق، بيت الطاعة، ابن ذوات، الحموات الفاتنات، حرام عليك، الدنيا لما تضحك، نشالة هانم، فاعل خير، اشهدوا يا ناس، لحن حبى".

وكما شارك إسماعيل ياسين فى أفلام قام ببطولتها أسماء قام هو بأداء الدور الثانى أو السنيد لها فى بداياته مثل "بشارة واكيم، حسن فايق، هند رستم، تحية كاريوكا ومحسن سرحان"، أصبح يقوم هو بالبطولة الأولى فى أفلامه، ليس هذا فقط، بل يحاط دائما بكوكبة من كبار ممثلى الكوميديا مثل "استيفان روستى، عبدالفتاح القصرى، عبدالسلام النابلسى، محمود شكوكو، سعاد مكاوى، ثريا حلمى، رياض القصبجى، حسن اتلة ومارى منيب» وغيرهم.

كما أصبح هو النجم الأول والأغلى، وأصبح يتنافس عليه مجموعة كبيرة من نجمات السينما فى ذلك الوقت، ووقف أمامه كبريات الممثلات يشاركنه البطولة فى أفلامه، مثل: شادية، كاميليا، هند رستم، تحية كاريوكا، زهرة العلا، نجاح سلام، نزهة يونس، فريدة فهمى، هدى شمس الدين، ثريا حلمى، برلنتى عبدالحميد، آمال فريد، فيروز ـ طفلة وشابة ـ فايزة أحمد، لولا صدقى، مها صبرى، سامية جمال.. وغيرهن.



# الدنيا لما تضحك





جاءت ثورة ٢٣ يوليو وجاء معها الخير الوفير للشعب العربى كله، ومصر تحديداً، وإسماعيل ياسين على وجه الخصوص، لدرجة أنه من كثرة ما كان يعرض عليه من أعمال، كان يرفض نصفها تقريباً، ليس تمنعاً ولكن لضيق الوقت، حتى أنه فى هذه الفترة لم يكن ينام أكثر من ثلاث ساعات فى اليوم الواحد، ليستطيع أن يفى بالتزاماته بالعقود التى يبرمها، وكان من نتيجة ذلك أنه قدم فى العام التالى للثورة ١٩٥٣ (١٧ فيلماً) ويأخذه القدر من نجاح إلى نجاح، وتزداد نجوميته فى عام ١٩٥٤ لتستقر فى القمة حتى أنه قدم فى ذلك العام ١٨ فيلماً جديداً، جميعها بطولات مطلقة، ولم تكن هناك دار عرض فى القاهرة أو الإسكندرية إلا وكانت تحمل واجهتها "أفيشاً" لفيلم يحمل اسم "إسماعيل ياسين"..

من هنا جاء التفكير فى فكرة الظاهرة (إسماعيل ياسين فى....) عام ١٩٥٤ عندما أطلق يوسف معلوف على فيلمه اسم "مغامرات إسماعيل ياسين"، وبالرغم من أن إسماعيل ياسين لم يكن هو بطل هذا الفيلم، حيث كان بطولة أحد فتيان السينما الجدد فى ذلك الوقت، والذى كان يطلق عليه "فتى الشاشة الأول" كمال الشناوى، الذى كان يقدم بطولات مطلقة فى ذلك الوقت، وشاركتهما دلوعة السينما المصرية شادية، وبالرغم من ذلك، أطلق المخرج يوسف معلوف على الفيلم اسم "مغامرات إسماعيل ياسين" استغلالاً لظاهرة هذا الفنان "الفلتة" ولم يكن لدى

كمال الشناوى غضاضة فى أن يتصدر اسم إسماعيل "الأفيش"، ووجد الفيلم صدى كبيراً لدى الجمهور، وحقق نجاحاً غير عادى، ولفت ذلك أنظار المنتجين والمخرجين، ليأتى فى العام نفسه المخرج حسن الصيفى ويقدمه فى فيلم "عفريتة إسماعيل ياسين" أمام الراقصة اليونانية كيتى، وفريد شوقى وزينات صدقى، لتتوالى بعده سلسلة أفلام "إسماعيل ياسين فى .."، ليكون أول ممثل فى تاريخ السينما العربية يقدم سلسلة أفلام تحمل اسمه الحقيقى، وليس اسم البطل، وإن كانت المطربة ليلى مراد قد سبقته باسمها على الأفلام، غير أنها لم تصل إلى العدد الذى وصل إليه ـ أكثر من ١٧ فيلماً تحمل اسمه ـ فضلا على الأفلام التى تم إعادة عرضها، وأضيف على الأفيش اسمه يسبق اسم الفيلم، استغلالا للظاهرة، مثل فيلم "بيت الأشباح" الذى أنتج فى عام ١٩٥١، وأعيد عرضه بعد أن تم إضافة اسم إسماعيل له ليكون "إسماعيل ياسين فى بيت الأشباح"، إضافة إلى تقديمه لما يسمى بأفلام الكوميديا المرعبة مثل "إسماعيل ياسين فى متحف الشمع" "إسماعيل ياسين يقابل ريا وسكينة".

## إسماعيل ياسين فى .........

وفى عام ١٩٥٥ وفى فورة الحماس للثورة، يشعر إسماعيل ياسين بأن هناك دوراً مهماً يجب أن يلعبه، خاصة أن البلاد كانت فى أمس الحاجة إلى العمل والتكاتف من أجل النهوض بها، وفكر إسماعيل ياسين فى أن يقدم فيلماً عن الجيش المصرى تقديرا للدور الذى قام به فى تغيير وجه الحياة فى مصر، فقد كان يشعر على المستوى الشخصى بأن الثورة قامت من أجله، أو على وجه الدقة من أجل البسطاء أولاد الفقراء مثله، الذين لا سند ولا ثروة لديهم، بل يعيشون بالكاد.

وإذا كان الفيلم عن الجيش، فلابد له من كاتب ومخرج على دراية بالحياة العسكرية، واختار الكاتب عبدالمنعم السباعى، وصديقه المخرج فطين عبدالوهاب، وهما من ضباط الجيش المصرى، وإن كان عبدالمنعم

استمر فى الجيش بعد أن أسندت إليه مهمة الإشراف على الإذاعة المصرية من خلال مكتب الشكاوى.. كما أسندوا إليه رتبة أركان حرب الإذاعة، فى حين طلب فطين التسريح من الجيش، شأنه شأن بعض الذين تعلقوا بالفن ووجدوا فيه أنفسهم، مثل ضابط سلاح الفرسان أحمد مظهر، الذى قدم فى العام نفسه ١٩٥٥ دور "البرنس علاء" فى فيلم "رد قلبى".

كتب عبدالمنعم السباعى قصة وسيناريو وحوار فيلم "إسماعيل ياسين فى الجيش" وأخرجه فطين عبدالوهاب، وقام إسماعيل ياسين بتوجيه الدعوة إلى قائد ثورة يوليو الزعيم جمال عبدالناصر، الذى لبى وحضر العرض الأول للفيلم، وبصحبته بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة، وضحك ناصر كما لم يضحك من قبل، غير أنه استشعر رسالة الفيلم، والأهداف التى يرمى إليها إسماعيل ياسين.

أغرى النجاح نجاح الفيلم إسماعيل ياسين بتكرار التجربة، والمنتجين والمخرجين، وظهرت تباعا سلسلة أفلام "إسماعيل ياسين فى...." كل أسلحة الجيش " الطيران، البوليس، الأسطول"، "البوليس الحربى"، مستعيناً فى ذلك بتوأمه الفنى أبو السعود الإبيارى، ليكون معه ثنائياً فنياً على طريقة نجيب الريحانى وبديع خيرى، وجاء الضلع الثالث من المثلث "فطين عبدالوهاب" ليعزفوا معا أجمل ألحان "سينما الكوميديا المصرية".

حرص إسماعيل ياسين على أن يفى بوعده للصديق القديم الفنان قاسى الملامح رياض القصبجى، حيث كان القاسم المشترك الأعظم فى أغلب أفلام إسماعيل ياسين، وقلما خلا فيلم من وجوده، خاصة فى تلك السلسلة التى قدمها إسماعيل عن أسلحة الجيش المصرى، لدرجة أن الجمهور نسى الاسم الأصلى للفنان رياض القصبجى، وتذكر اسمه فى سلسلة هذه الأفلام "الشاويش عطية" فقد حرص إسماعيل أن يثبت اسمه فى كل الأفلام مثله، وكان اللقاء غالباً بينهما فى هذه الأفلام مثل "القط والفار"!!

وحدث ذات مرة أثناء تصوير فيلم "إسماعيل ياسين بوليس حربى" أن دوره فى الفيلم كان له ابن، ومن المفترض أن يمرض إسماعيل ويدخل المستشفى، ويظن "الشاويش عطية" أن مرض إسماعيل جعله يرتد لطفولته عندما شاهد ابنه شديد الشبه به، وهنا أصر المخرج أن تتم الاستعانة بالفعل بإسماعيل الصغير أو نجله "ياسين" ورفض إسماعيل أن يقف ابنه أمام الكاميرا، فم يكن عمره يزيد على ست سنوات آنذاك، وكان إسماعيل يحبه حباً مرعباً، ويخشى عليه من نسمة الهواء، ولكن مع إصرار المخرج، خاصة أن الطفل لابد أن يكون شبه البطل، وكان ياسين شديد الشبه بوالده، فوافق إسماعيل، ولكن مع اليوم الأول لوجود ياسين فى البلاتوه لتصوير دوره فجأة وجده يصرخ ويجرى عليه يختبئ فيه:

**● إيه.. إيه فيه إيه يا ياسين؟!**

**- خبينى يا بابى.. خبينى**

**● ليه خايف من إيه؟ متخافش.. متخافش**

**- إلحق يابابى "الشاويش عطية" جاى.. اهرب يا بابى**

هنا ضج إسماعيل ياسين بالضحك لدرجة أنه وقع على الأرض.. وعرف أنه نجح، وأن الفنان القدير رياض القصبجى نجح إلى أقصى درجة، وأن الرسالة قد وصلت حتى للأطفال، غير أنه أراد أن يزيل الرهبة من نفس ابنه ياسين حتى يستطيع أن يتقبل الفنان رياض القصبجى لأنه سيعمل معه فى المشهد التالى خلال الفيلم:

**● تعالى يا ياسين متخافش.. تعالى ده عمك رياض.. الراجل اللى قلبه زى الفل.. ده بقى يا سيدى أطيب واحد فى الدنيا.**

**- ده بيضربك ويجرى وراك علشان يدخلك السجن**

**● ده تمثيل يا حبيبى.. زى دلوقت كده.. مش أنت جاى هنا دلوقت علشان تمثل.. أهو ده تمثيل.. مش حقيقى.**

**وكان الفنان رياض القصبجى قد علم بما حدث وشاهد خوف ياسين،**

**فاقترب وراح يقبل الفنان إسماعيل ياسين أمام ياسين ويأخذه فى أحضانه، واندهش الطفل ياسين:**

**- هو بيبوسك يا بابى**

**وأخذ الفنان رياض القصبجى ياسين فى أحضانه وراح يقبله.**

**●● وهبوسك أنت كمان يا سى ياسين.. أنت خايف منى.. تعالى تعالى ده إحنا هنبقى أصحاب.**

وتحرك الإحساس الطفولى داخل رياض القصبجى.. واستقبله رادار الطفل داخل ياسين.. وأصبح منذ ذلك الوقت من أحب الناس إلى قلب ياسين.. كما كان الأحب لقلب إسماعيل.

## واجب وطنى

وعلى طريقة الدور الذى قامت به أغانى المطرب الصاعد بسرعة الصاروخ عبدالحليم حافظ ـ الوحيد الذى لم يمثل أمام إسماعيل ياسين ربما خوفاً من نجوميته ـ فى توضيح أهداف الثورة، والتقريب بينها وبين الشعب، كانت أفلام إسماعيل ياسين، تسعى إلى الهدف ذاته، وهذا بخلاف سائر الأفلام التى ظهرت فى الفترة نفسها، وحاولت تناول الثورة وأهدافها ومبادئها، وبمجرد عرض هذه الأفلام، فعلى الرغم من طابعها الكوميدى، فإن الهدف الوطنى كان واضحاً تماماً منها، وهو تحبيب وترغيب الشباب المصرى فى الالتحاق بالجيش وأسلحته المختلفة، وإشاعة روح الانتماء وخلق نوع من الالتحام بين الجيش والشعب، وكانت هذه النوعية قريبة الشبه بنوعية "أفلام الحرب" التى قدمتها السينما العالمية لحث الشباب على التطوع فى أسلحة الجيش المختلفة والتى ظهرت أثناء وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية، وكانت الدولة من الذكاء، حيث أفسحت المجال ليتم توظيف شعبية النجم الكبير إسماعيل ياسين فى توصيل أهداف ومضامين سياسية لأفراد الشعب، وفى الوقت نفسه كانت تحقق أهدافا أخرى على المستوى الشخصى للفنان إسماعيل

ياسين، حيث أصبح واحداً من أهم وأغلى وأغزر نجوم عصره، لدرجة أنه فى هذه الفترة أصبح إسماعيل ياسين يمثل "إنتاج السينما المصرية" فى هذه الأعوام، فقد قدم عدداً كبيراً من الأفلام لم يسبق لفنان غيره أن قدمها، ما جعله يحقق هدفاً آخر سامياً، حيث أتاح فرصاً عديدة لعدد كبير من الفنانين والفنيين للعمل، وفرصاً لاستمرار تشغيل الاستوديوهات والمعامل والعاملين فيها، وإضاءة دور العرض على مدار سبع حفلات يومياً.

## تهافت المنتجين

ولأن إسماعيل ياسين فنان حقيقى وكبير، فلم يكن يستطيع أن يقول لا فى مواجهة أى أعمال تعرض عليه، خاصة عندما شعر بأن كثيرين يعتمدون عليه فى فتح بيوتهم، لدرجة أن بعض المنتجين كانوا ينتظرونه فى الطرقات أثناء خروجه من البلاتوه ليدخل بلاتوهاً آخر، وينتهزون الفرصة ويطلبون توقيعه على عقود أفلامهم، وكان يضطر أمام إلحاحهم أن يوافق ويوقع العقود، ولم يكن إسماعيل يهتم أو يشترط أن يقوم بدور البطولة المطلقة، بل أدى أدواراً كثيرة قام فيها بالدور الثانى والثالث و"السنيد" وكان يقتصر دوره أحياناً على أن يكون "صديق البطل" الذى يبثه شكواه أو يعلن له حبه لفتاة لا يستطيع الوصول إليها أو يستشيره فيما يفعله ليخرج من الورطة التى وقع فيها، لدرجة أن فريد الأطرش حين أراد أن يصور فيلماً فى هذه الفترة عرض على إسماعيل ياسين مبلغ ١٥ ألف جنيه، على أن يتفرغ لتصوير دوره فى الفيلم لمدة ١٥ يوماً ولكن إسماعيل اعتذر بلطف لأن فريد كان من أعز أصدقائه، ولكنه أكد له أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك فأمامه أفلام كثيرة ارتبط بها، بل وفى الموعد الذى حدد لتصوير فيلم فريد كان إسماعيل مرتبطاً بخمسة أفلام، واضطر فريد الأطرش لأن يؤجل تصوير فيلمه لمدة شهر حتى يتمكن إسماعيل من إيجاد فرصة للدخول فيه، لا أن يتفرغ له!

وذات يوم سافر إسماعيل إلى الإسكندرية لتصوير أحد أفلامه هناك،

ووجدها فرصة لاصطحاب أسرته معه لأنه لم يعد يراها أو يجلس معها، وذهب إسماعيل فى اليوم الأول للتصوير، ووقف أمام الكاميرا بالقرب من كورنيش الإسكندرية، وما إن قال المخرج "اكشن" ودارت الكاميرا، حتى فوجئ كل العاملين فى الفيلم بإسماعيل يصرخ قائلاً:

● **أبويا.. أبويا.**

ولم يكن هذا الكلام فى الحوار، ولم يكن المشهد به أب ينادى عليه إسماعيل، وأسرع الذين يعملون معه لكى يسألوه عما جعله يقول ذلك فلم يكن فى الحوار جملة كهذه، فإذا به يشير إلى رجل وامرأة يجلسان أمام أحد البارات، على طريق كورنيش الإسكندرية، والذى كان التصوير يجرى أمامه، وكان الاثنان فى حالة سكر واضح.

وكان الرجل هو والد الفنان إسماعيل ياسين، وتوقف التصوير فى الفيلم لأن إسماعيل توجه إلى والده وأصر على اصطحابه إلى أحد الفنادق، وبعد أن أفاق من سكره أعطاه نقوداً وطلب منه أن يسافر فوراً إلى السويس، وما كاد إسماعيل ينتهى من تصوير الفيلم حتى لحق بوالده فى السويس، وهناك تولى إسماعيل بنفسه تصفية محل والده بعد أن لم يجد فيه شيئاً، واتفق معه على أن يخصص له راتباً شهرياً قدره ٤٠ جنيهاً، يستطيع أن يواجه التزامات حياته، وظل الأمر كذلك حتى توفى الأب بعد ذلك بعامين.. وبكاه إسماعيل طويلاً، وحزن على فراقه.. فقد أحبه بدرجة لا توصف.. وحاول أن يعوضه عما فات، ويغدق عليه بالأموال، وينقذه مما وقع فيه، سواء حبه للنساء أم إدمان الخمر.. ولكنه القدر.

## التفكير فى المسرح

فى تلك السنوات عاد إسماعيل إلى عمله بقوة، لدرجة أنه تم إحصاء الأعمال الفنية التى مثلها إسماعيل ياسين من عام ١٩٤٧ إلى ١٩٥٢، وكانت النتيجة أنه مثل فى ٧٥ فى المائة من الأفلام التى صورت خلال تلك الفترة.. وهو رقم قياسى لم يحدث مع ممثل فى تاريخ السينما العربية.. حتى الآن!

قدم إسماعيل نماذج كثيرة متنوعة، ابتداءً من دور الصعلوك إلى دور الرجل الثرى وصاحب الأعمال، وقد تتشابه الأدوار فى بعض الأحيان ولكن تصرفاتها مختلفة الأفعال.

وكتب العديد من هذه الأفلام التى مثلها إسماعيل فى هذه الفترة، زميل عمره أبو السعود الإبيارى، غير أنه عمل كثيراً مع بعض المخرجين الذين لم يكونوا مؤهلين دائماً للإخراج الكوميدى.. بمعنى آخر كانوا يفتقدون إلى الحس الكوميدى وروح السخرية، وكان كل هدفهم الربح واستغلال "فترة الرواج التجارى" لاسم إسماعيل يس الذى بات مطلوباً ومسوقاً لأى عمل قبل أن يُعرف مضمون العمل، بل كان الاتفاق يتم على أساس اسم إسماعيل ياسين أولاً.. ثم تأتى بعد ذلك "العناصر الأخرى" من قصة وإخراج وتصوير وممثلين!!

ولكن قبل أن ينقضى عام ١٩٥٤، توقف إسماعيل ياسين فى هذه السنة وسأل نفسه:

**● ياه يا إسماعيل.. عمرك كنت تحلم باللى أنت حققته ده.. الحمد لله.. مفيش حاجة معملتهاش.. لدرجة إنى مبقتش عارف إيه تانى ممكن أقدمه.**

**● أيوه عندك حق.. لازم بقى أقف شوية وأشوف إيه اللى لازم يتعمل وإيه اللى ميتعملش.. وإيه اللى أنا عايزه من السينما.**

كانت فكرة المسرح تشغل بال إسماعيل، وفكر أن يطرحها على أبو السعود الإبيارى، وكان ذلك فى لقاء ضمهما معا ذات مساء عندما كانا فى حفل أقيم فى "حديقة الأندلس" وكان من المفروض أن يقدم فيه إسماعيل بعض المونولوجات أمام ضباط الثورة، ويومها كانت نجمة الحفل الفنانة ليلى مراد، وقد حضر الحفل يومئذٍ جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعلى رأسهم محمد نجيب الذى كان رئيساً للجمهورية آنذاك، وجمال عبدالناصر، وقد أدى إسماعيل مونولوجاته بشكل ناجح جداً، خاصة مونولوج "عشرين مليون وزيادة" وهنأه الجميع، وقبله أبو السعود وقال له:

● عندك كل الشعبية دى وساكت؟!

– مش فاهم يعنى أعمل إيه.. ما أنا بغنى أهه

● أقصد دلوقت لك اسم كبير وجمهورك غفير، وعيب قوى مايكونش فى مصر غير مسرح كوميدى واحد اسمه "مسرح الريحانى"، أنت دلوقت متقلش شهرة عن الريحانى الله يرحمه، ليه مايكونش عندك فرقة مسرحية باسمك يبقى اسمها "فرقة إسماعيل ياسين.. أو مسرح إسماعيل ياسين، وأنا واثق من نجاحها وعلى استعداد لكتابة أعمالها المسرحية

أعجب إسماعيل بالفكرة تماماً، ولكنه قال لـ أبو السعود:

– لكن الفكرة دى محتاجة مسرح، وإحنا معندناش مسرح وده يتكلف كتير

● المهم الأول أنت موافق على الفكرة فى حد ذاتها؟

– طبعا.. بكل قوة ورغبة!

● خلاص سيب الموضوع ده علىّ

– ماشى وأنا تحت أمرك فى اللى تطلبه.. وهاعمل كل اللى أقدر عليه

غير أن أبو السعود لم يبدأ بالبحث عن المسرح، بل بدأ بالبحث عن المسرحية واستطاع أن يحدد فكرة أكثر من مسرحية.

اختمرت الفكرة فى ذهن إسماعيل ياسين ووجد أنه بعلاقته مع "أبو السعود الإبيارى" سيكون ثنائياً رائعاً ومثمراً، خاصة أن "أبو السعود" هو المؤلف "الملاكى" لأغلب أفلام إسماعيل فى ذلك الوقت.




# مغامرات إسماعيل ياسين





اتفق الشريكان (إسماعيل ياسين وأبو السعود الإبيارى) على تنفيذ الفكرة، وقد ساعدت كل الظروف والمناخ الثقافى والاجتماعى على نجاح ولادة الفكرة، فإسماعيل نجم فى أوج تألقه وعلى الساحة المسرحية لا يوجد مسرح يجذب الجماهير التى كان اتجاهها الرئيسى فى ذلك الوقت نحو السينما، فالفرقة المصرية الحديثة تعمل على مسرح الأزبكية (القومى) وتقدم أعمالاً معادة ليوسف وهبى، ومسرحيات عزيز أباظة الشعرية، وفرقة المسرح التى تكونت عام ١٩٥٢ - بعد قيام الثورة - تضم بين صفوفها شباب المسرح خريجى معهد التمثيل العالى ولم تقدم فى موسم ١٩٥٣ سوى ثلاث مسرحيات من إخراج عبدالمنعم مدبولى، وأخرى من إخراج كامل يوسف، وتقدم نجوماً ليس لأسمائها بريق، و"مسرح الريحانى" كان يجتر نجاح مسرحيات سبق أن قدمها مؤسسه وتفتقد "روح" خالقها وصانعها برحيل الريحانى عام ١٩٤٩ عندما كان يصور آخر أفلامه "غزل البنات"!

تكونت الفرقة مباشرة كشراكة فنية بين أبو السعود الإبيارى وإسماعيل ياسين، رأسمالها عشرة آلاف جنيه، وبعد إعلان الشركة بدأ البحث عن المسرح، وكان ذلك هو دور إسماعيل ياسين، بينما بدأ أبو السعود ينهى كتابة أول مسرحية، وإسماعيل يختار من سيعمل معه فى الفرقة لكى يوقع معهم عقوداً مسبقة.

وتنشر الصحف الخبر:

- **إسماعيل ياسين وأبو السعود الإبيارى يؤلفان فرقة مسرحية.**

ويأتى الخبر بالتفاصيل التى تؤكد تعاقد إسماعيل ياسين وأبو السعود الإبيارى على تكوين فرقة مسرحية تبدأ عملها فى الموسم المقبل بتقديم روايات كوميدية من تأليف أبو السعود وبطولة إسماعيل، وأن الفرقة الجديدة سيكون اسمها "فرقة إسماعيل ياسين المسرحية"، وأنه سيتم التعاقد مع كبار الفنانين، ومن المنتظر أن ينضم إلى الفرقة كمال الشناوى ومن المسرح الحر توفيق الدقن وشكرى سرحان، ومن المخرجين السيد بدير، محمد توفيق، عبدالمنعم مدبولى، ونور الدمرداش فى أولى محاولاته للإخراج.

وطلب إسماعيل ياسين تحديد موعد لمقابلة الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى للتفاهم معه على تدبير مسرح للفرقة الجديدة وسيطلب إسماعيل أن يخصص للفرقة "مسرح حديقة الأزبكية"!!

ويلاحظ فى صياغة الخبر قوة وتأثير اسم إسماعيل ياسين فهو سيطلب من وزير الإرشاد القومى أن تتخلى فرقة الحكومة عن مسرح الأزبكية الذى تعمل عليه وأنه طلب تحديد موعد مع الوزير للتفاهم فى ذلك.

وتحل مشكلة الفرقة الوليدة بتدخل من وجيه أباظة - أحد الضباط الأحرار - الذى استطاع إقناع صاحب "سينما ميامى" الصيفية، بوسط القاهرة بتأجيرها للفرقة حتى تستطيع إعداد المكان ليصبح دار عرض مسرحى.

## الفرقة الوحيدة

فى هذا الجو المتفائل ارتفع الستار فى ١١ نوفمبر عام ١٩٥٤، عن أول عمل مسرحى تقدمه الفرقة الجديدة باسم "حبيبى كوكو"، لتبدأ الفرقة موسمها الأول، حيث قدمت ست مسرحيات بواقع مسرحية كل شهرين تقريباً.

ونجحت عروض الفرقة نجاحاً يفوق التوقعات، واستطاعت خلال شهور من عملها أن تستقطب كل نجوم مسرح الريحانى، للعمل فى فرقة إسماعيل ياسين بعد أن أغراهم برواتب أكبر.

وبعد افتتاح الفرقة بما لا يزيد على ثلاثة أشهر، انضم إليها الفنان حسن فايق، الذى كان فى ذلك الوقت يتقاضى خمسين جنيهاً مصرياً فى فرقة الريحانى كراتب شهرى، وتخصم منه الإجازات والأيام التى لا يعمل فيها، فاتفق معه أبو السعود على راتب قدره ٢٥٠ جنيهاً شهرياً، أى خمسة أضعاف ما كان يأخذه من فرقة الريحانى، وأكد له أن هذا المبلغ سيأخذه بانتظام طوال الموسم المسرحى للفرقة، وحتى لو لم يكن له دور فى الرواية التى تعرض على المسرح، ولن يخصم منه أيام العطلة والإجازات أو أى يوم يتوقف فيه المسرح عن العمل.

وكذلك فعل أبو السعود الإبيارى وإسماعيل ياسين مع استيفان روستى، وعبد الفتاح القصرى ومحمد كمال المصرى أو "شرفنطح" وغيرهم من نجوم فرقة الريحانى، ما أوقع مدير فرقة مسرح الريحانى الكاتب بديع خيرى فى مشاكل كثيرة بسبب هجرة نجوم الفرقة إلى مسرح إسماعيل ياسين، واضطر بديع لأن يدعو أبو السعود الإبيارى بوصفه مدير فرقة إسماعيل ياسين إلى اجتماع، يقرران فيه إيقاف التسابق نحو التعاقد مع الممثلين بهذا الشكل، فقد بدأ كل الممثلين يطالبون برفع أجورهم بشكل غير معقول، ووقع اتفاق تعاهد بين الاثنين بألا يخطف أحدهما الفنانين الذين يعملون عند الآخر، وعدم زيادة أجر فنان على حد مقرر، لأن هذا سيؤدى إلى زيادة أجور الفنانين الآخرين بشكل مبالغ فيه، وبدأ تحديد ضوابط للعمل لمنع المنافسة التى كانت فى فترة من الفترات، تلتهم أغلب الإيرادات.

فى تلك الفترة عمل كثير من الممثلين الكبار والمشهورين مع فرقة إسماعيل ياسين، وكان من جملة من عمل معه سميحة أيوب، ولم تستمر طويلاً، كذلك كان من أهم من عملوا معه الفنان محمود المليجى، والممثلة والراقصة لولا صدقى، والراقصة تحية كاريوكا، التى أخذت هذا المسرح فيما بعد وأنشأت عليه فرقتها.

كذلك عمل معه محمد شوقى وحسن مصطفى، وزوزو نبيل وسناء جميل وعايدة كامل وزينات صدقى وزوزو شكيب وعشرات من نجوم السينما والمسرح فى ذلك الوقت.

ظلت الفرقة تعمل على مسرح ميامى طوال فترة الشتاء بالقاهرة، وحين يأتى الصيف كان إسماعيل يسافر إلى الإسكندرية لكى يفتتح "مسرح إسماعيل ياسين" هناك وكان أبو السعود الإبيارى يقدم مسرحية جديدة كل شهر، وأدى هذا إلى الإقبال الجماهيرى الشديد، حيث كان يتجدد جمهور المسرح شهراً بعد شهر، ويكسب جمهوراً جديداً، ودائماً كانت إيرادات الفرقة جيدة وتعطى أجور الممثلين وتترك هامش ربح جيداً لإسماعيل وأبوالسعود أو لشركتهما الفنية!

وواكب نجاح إسماعيل المسرحى نجاحه السينمائى، والعكس صحيح بمعنى أن كلا منهما أفاد الآخر، فحين أحبه الناس فى السينما أحبوا أن يشاهدوه شخصياً على المسرح، ما أدى إلى زيادة الإقبال على أفلامه.

## الفنان الأشهر

ومن خلال أعماله المسرحية، استطاع إسماعيل أن يعيد للمونولوج حيويته ويجدد فيه، ليصبح من أهم رواده، حيث غير فى موضوعاته، وجعله يعيش فى أذهان ومخيلة الناس فترة طويلة، خاصة بعد توقف أغلب من قدموا المونولوج، ليبقى وحيداً على الساحة، الأكثر صيتاً، والأشد بريقاً، غير أن غناءه للمونولوج أصبح مقصوراً على الأفلام، حيث كان يكتب له المونولوج فى أفلامه أشهر زجالى مصر وكتاب الأغانى والشعراء منهم: محمد عبدالمنعم "أبو بثينة"، محمد أنور نافع، عبدالعزيز سلام، محمود فهمى إبراهيم، مصطفى السيد، السيد زيادة، أحمد عبدالله، جليل البندارى، فتحى قورة، عبدالفتاح شلبى، أبوالسعود الإبيارى، وابن الليل.

وكان يلحنها أشهر الملحنين فى ذلك الوقت، بداية من الموسيقار محمد عبدالوهاب، مرورا بفريد الأطرش، محمد فوزى، محمود الشريف،

أحمد صدقى، عزت الجاهلى، محمد البكار، عبدالعزيز محمود، محمد أمين، على فراج، فريد غصن، أحمد صبرة، محمد الكحلاوى، منير مراد، كما جازف إسماعيل ولحن مونولوجات لنفسه فى بعض الأحيان.

كان إسماعيل ياسين يعتمد على موهبته كثيراً، بشخصيته الساحرة.. وقوة حضوره، والحركات السريعة التى يؤديها بكل جسمه وطريقة نطقه ومطه وتأديته للكلمات، ومعرفته أين يقف ومتى يبدأ، فكان هناك خيط سحرى يربط بينه وجمهوره فهو يعرف متى يفجر النكتة وكيف يؤديها.

## تراجع سينمائى

خلال هذه الفترة قدمت الفرقة ٥١ مسرحية، بين القاهرة والإسكندرية، كلها من تأليف أبوالسعود الإبيارى، وتناوب على إخراجها كل من: السيد بدير - الذى كان له النصيب الأكبر - ومحمد توفيق ونور الدمرداش، ويتواصل نجاح إسماعيل ياسين فى المسرح والسينما فهو يقدم فى الموسم المسرحى (نوفمبر ١٩٥٤ - نوفمبر ١٩٥٥) ٥ مسرحيات جديدة يقابلها فى السينما ٦ أفلام، حيث قرر أن يحدد عدد الأفلام التى سيظهر فيها كل عام حتى لا يتعارض عمله السينمائى مع عمله المسرحى الجديد، وفى عام ١٩٥٥ يهبط خط مساهماته فى السينما إلى (٦) أفلام وفى عام ١٩٥٦ يقدم عدد الأفلام نفسها التى عرضت له فى العام السابق، غير أنه فى الوقت نفسه يقدم ٦ مسرحيات جديدة فى عام واحد، وتستمر الفرقة فى تقديم عروضها طوال العام، شتاء فى القاهرة، وصيفاً فى الإسكندرية.

فى المقابل كان إسماعيل يخطو فى السينما من نجاح إلى نجاح، وبدا هناك تنوع كبير فى أعماله السينمائية، وقد حاول بعض المخرجين دفع إسماعيل ياسين لتقليد الفنان نجيب الريحانى، خاصة فى الأفلام المأخوذة عن مسرحيات الريحانى، مثل فيلم "الدنيا لما تضحك، الستات مايعرفوش يكدبوا، كدبة أبريل، صاحبة العصمة"، لكن إسماعيل رفض ذلك تماماً، ليس تقليلاً من شأن الفنان الكبير الراحل نجيب الريحانى،

بل لأنه هو أيضاً إسماعيل ياسين، الأسلوب والمدرسة، وقدم الأفلام بطريقته الخاصة ولم يحاول ـ رغم الإغراءات ـ تقديم المزيد منها!

وفجأة أيضاً تكالبت على إسماعيل ياسين أدوار المرأة فى عدد كبير من الأفلام السينمائية، فقدم "الست نواعم، الآنسة حنفى، ليلة الدخلة، مملكة النساء، إسماعيل ياسين فى مستشفى المجانين، دهب، مغامرات إسماعيل يس، فاعل خير" وقد نجح نجاحاً مذهلاً فى أداء هذه الشخصية بكل ملامحها وحركاتها وتنوع دور المرأة فيها، وقد أدى ذلك دون ابتذال أو خروج على حدود اللياقة والأدب، ولكن لما زاد الأمر على الحد، واقترب من أن يصبح ظاهرة جديدة، حيث وجد المنتجين والمخرجين يقبلون عليه من جديد بعقود أفلام يقدم فيها دور المرأة، اضطر إسماعيل إلى إيقاف ذلك، بل إن الرقابة على المصنفات الفنية نفسها فى مايو ١٩٥٨ أنذرت منتجى أفلام إسماعيل ياسين بأنها سترفض أى قصة يظهر فيها إسماعيل ياسين فى دور امرأة.

كما قدم الكوميديا السوداء التى يختلط فيها الحزن بالضحك والجد بالهزل "إسماعيل يس فى جنينة الحيوان" الذى قدمه فى العام ١٩٥٧، وكان من الواضح أن الجمهور أصبح له رأى فى أفلام إسماعيل ياسين، فلم يتقبل الجمهور بسهولة الصورة الجديدة لإسماعيل ياسين فقد وقف بناؤه الجسدى وشكله العام وصورته عند الناس حائلاً فى تقبلهم دور العاشق.. والقاتل الذى يفكر فى تدبير جريمة.

## سكرة النجاح

ولعل سوء حظ إسماعيل ياسين يكمن فى أنه كان طيب القلب ولم يكن يهمه ما يقدمه بل "أسكره النجاح" الذى حظى به، وحتى الذين من حوله من الكتاب والمخرجين، لم يجدوا فى إسماعيل ياسين سوى "الدجاجة" التى تبيض ذهباً، ويحاول كل منهم أن يستغلها فى الحصول على أكبر "مكاسب" بغض النظر عن رد فعل ذلك عليه كفنان وإنسان!

وتعرض إسماعيل ياسين "للتعليب" كماركة مسجلة فلم يكن مطلوبا منه

أكثر مما يؤديه أن يقدم "الشوية بتوعه وخلاص"، حتى عندما تم تقديمه من خلال الإذاعة لتقديم المسلسل الرمضانى كل عام، كان من خلال هذا المنطلق، فلم يحاول أحدهم استغلال قدراته الفنية، حيث كانت إمكاناته أكبر من ذلك بكثير، فيكفى أنه قدم فى أكثر من فيلم مشاهد تمثيلية لا تعتمد على الكلام، وإنما تقوم على الأداء الحركى التمثيلى وقدرة الممثل على توصيل ما يريده إلى الجمهور، أو حتى من خلال نظرات عينيه فقط، مثل أفلام "دهب، وإسماعيل ياسين فى الطيران" ولم يكن الأداء "البانتوميم" معروفاً أو قدمه أحد قبل ذلك، وكذلك فى الأفلام التى قدم فيها دور "الشبيه" حيث قدم أكثر من شخصية فى الفيلم الواحد، استطاع أن يحتفظ لكل شخصية بمقوماتها وتفردها مثل أفلام "المليونير، الست نواعم، إسماعيل ياسين فى الطيران"، فقد كان قادراً على العطاء أكثر لو وجد من يجيد توظيفه فى أفلام ذات مضامين وقيم إنسانية ولعل أفلاماً مثل "إنسان غلبان، الآنسة حنفى، المفتش العام" أكبر دليل على ذلك؛ فأداء إسماعيل فى هذه الأفلام ينبئ عن أصالة موهبته وقدرته على الدخول فى إهاب الدور وتقمصه.

## هبوط المنحى

ويشهد العام ١٩٥٨ ارتفاعاً جديداً لمشاركات إسماعيل ياسين السينمائية، من ستة أفلام إلى تسعة أفلام فى السنة، ويتكرر العدد نفسه فى العام التالى ١٩٥٩، ويزيد الإقبال عليه من جديد، حتى جاء وقت كان إسماعيل يتنقل فيه بين ستة استوديوهات أو سبعة مواقع عمل فى اليوم الواحد، لأنه كان يمثل فى أكثر من ستة أفلام فى الشهر، وكان مخرجو هذا الأفلام يعقدون اجتماعات يومية مع بعضهم لتنظيم مواعيد العمل فى هذه الأفلام، وقفز أجر إسماعيل من خمسمائة إلى خمسة آلاف جنيه، عن الفيلم الواحد ـ وهو أكبر الأرقام وأغلى الأجور فى ذلك الوقت ـ وقد بات مطلوباً من عدد من النجوم والمنتجين الذين ما كانوا يصورون فيلماً إلا إذا وجدوا إسماعيل فيه، وكان من بين هؤلاء

أنور وجدى الذى أشركه فى كل أفلامه، والموسيقار فريد الأطرش أيضاً الذى شاركه بطولات معظم أفلامه التى أنتجها.

وتأتى حقبة الستينيات، ويبدأ المنحنى فى الهبوط، وكانت البداية من السينما، فبعد أن قدم فى العام ١٩٥٩ تسعة أفلام، تتراجع فى عام ١٩٦٠ إلى ستة أفلام فقط، وفى هذا العام يضرب إسماعيل ياسين مثالاً للحب والوفاء والتضحية، عندما أراد صديقه الفنان عبدالسلام النابلسى تقديم أول بطولة مطلقة له من خلال فيلم من إنتاجه، كتبه أبوالسعود الإبيارى أيضاً، وأخرجه فطين عبدالوهاب، وهنا قبل إسماعيل أن يشارك فى الفيلم بالدور الثانى فى الفيلم، الذى لم يحقق النجاح المرجو منه.

ثم فجأة يحدث الهبوط الحاد فى العام التالى ١٩٦١ ويقدم فيلمين، والرقم نفسه فى العام الذى يليه.. ثم مجرد فيلم واحد عام ١٩٦٣!!

## نشأة التليفزيون..

وكانت المفاجأة التى لم تحدث منذ أن ارتفعت أسهم إسماعيل، حيث يأتى العام ١٩٦٤ ولا تعرض أى أفلام له خلال هذا العام، ثم يعود فى عام ١٩٦٥ ليقدم فيلماً واحداً!! كما ينعكس هذا الأمر على المسرح فلا يقدم فى المسرح فى موسم ٦٢/٦١ سوى مسرحيتين فقط.. بعد أن كان يقدم فى الموسم الواحد أكثر من ست مسرحيات.. فماذا حدث؟

هنالك عدة أسباب شخصية، وأخرى اجتماعية وسياسية، أدت إلى هذه النهاية ففى عام ١٩٦٠ ظهر التليفزيون فى حياتنا وأصبح متعة كبيرة وأصبح الحلم حقيقة أن يرى الإنسان العالم وهو جالس فى بيته، واستأثرت البرامج بعيون وساعات فراغ الناس وقدم لهم التليفزيون فى ليالى سهرهم وهم جالسون فى بيوتهم الأفلام والمنوعات وبرامج التسلية والبرامج الجماهيرية المختلفة، واستطاع التليفزيون أن ينقل أيضاً المسرحيات إلى البيوت مجاناً.

لكن الكارثة الحقيقية التى أصابت الفرق المسرحية غير الحكومية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت، سواء تلك التى تقدم عروضاً غير منتظمة كفرقة جمعية أنصار التمثيل أو تقدم عروضًا منتظمة داخل بيوتها المسرحية (إسماعيل ياسين - الريحانى) والتى كانت تعتمد فى الوقت نفسه على تغطية تكاليفها من دخل شباك التذاكر.. هذه الكارثة، القنبلة كانت فى إنشاء التليفزيون لفرقه المسرحية المختلفة.

وقد أنشئت هذه الفرق أساساً لتغذية التليفزيون بالعروض التى تشغل ساعات الإرسال الطويلة ومنح فرص عمل لشباب المسرح والفنيين.

وقد صاحب إنشاء هذه الفرق دعاية ضخمة، وظهور جيل جديد من نجوم الكوميديا الدارسين، وساعد على سرعة تألقهم وشهرتهم، دخولهم بيوت المشاهدين دائماً، فضلاً على الأسعار الزهيدة لأثمان تذاكر الدخول إلى مسرح التليفزيون - باعتباره مسرح الدولة - مقارنة بفرقة إسماعيل أو الفرق الخاصة، إضافة إلى سرعة تغيير الروايات أسبوعياً ما ساعد على تألق عدد كبير من نجوم التليفزيون، وظهور جيل جديد من نجوم الكوميديا منهم محمد عوض، أبوبكر عزت، فؤاد المهندس، وشويكار، فضلاً على الاستعانة بنجوم فرقة "ساعة لقلبك" الإذاعية، والتى تخرج فيها الكثيرون، بالإضافة إلى فؤاد المهندس، كان خيرية أحمد ومحمد أحمد المصرى - أبو لمعة - وفؤاد راتب - الخواجة بيجو - ومحمد يوسف "المعلم شكل"، والدكتور شديد، والكاتب يوسف عوف، وفى مقدمتهم المخرج والممثل عبدالمنعم مدبولى.

وزادت جرعة الثقافة المسرحية والسينمائية بظهور المجلات المتخصصة والفرق المسرحية الجديدة التى بلغت عشر فرق.

وزيادة النشاطات المسرحية وظهور جيل جديد من الكتاب والمخرجين والفنانين، كل هذا أدى الى توجه الجماهير إلى الجديد، لما لمسوه فيه من تنوع أساليبه فى الأداء وفنون العرض المسرحى، وقد أدت هذه الظروف - بالإضافة إلى تأميم الشركات والبنوك - إلى ارتفاع الأسعار

كما أن أجور الفنانين زادت، كما زادت تكاليف إعداد الأعمال الفنية سواء فى السينما أو المسرح.

وشعر إسماعيل بأن هناك شيئاً ما يحدث.. فلم يصدق ما يراه.. بعد ١٨ فيلماً فى العام الواحد.. يصل الأمر إلى فيلم واحد فقط.. أو ربما يمر العام دون أن يقف فيه أمام كاميرات السينما، وكذلك الأمر بالنسبة للمسرح، فقد انصرف عنه الجمهور، ولم يعد يقدم سوى مسرحية واحدة كل عام!!.

شعر إسماعيل بأن هناك خطراً يحدق به.. ومؤكد أن هناك أسباباً.. ولابد أن يعرفها.



# قليل البخت





كان تغير شكل الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية، فى مصر خلال فترة الستينيات، له تأثير كبير على تغير وتطور الحياة الفنية، فقد أصبح هناك جيل جديد من الكتاب والمؤلفين فى جميع المجالات، فى القصة والرواية والمسرح والسينما، وباتت الأشكال الفنية مثل السينما والمسرح تحديداً، تعتمد على الأدب المصرى والكتاب المصريين بعيداً عن الترجمة أو ما يطلق عليه "التمصير"، فضلاً على ظهور التليفزيون الذى غير وجه الحياة الثقافية والفنية، وهو ما خلق بالتبعية أجيالاً جديدة من الفنانين، خاصة من نجوم الكوميديا.

فى الوقت نفسه لم تحاول الفرق الخاصة مثل فرقتى (إسماعيل ياسين ـ نجيب الريحانى) مسايرة المناخ الثقافى والاجتماعى الجديد، بل حافظت على ما بدأت به، وكانت الوجوه هى نفسها تقريباً، تجمدت عند ما هو معروف عما يصدر عنها من حركات وإفيهات، وتقديم الأعمال التى يعتمدون عليها من خلال التمصير!

أمر آخر كان هو الأهم فيما يخص إسماعيل ياسين تحديداً، فاقتصاره وفرقته طوال هذه السنوات على مؤلف واحد يغذى الفرقة بالمسرحيات ويسهم فى السينما بتأليف الأفلام وكتابة الأغانى، كل هذا لم يكن يتيح له الوقت للتجديد أو تقديم أعمال تستطيع أن تنافس وتعيش، فضلاً على أنه كان محصوراً داخل إطار الفكر الواحد، فتجد أن "أبو السعود

الإبياري" الذى كان يستطيع أن يقدم عملاً أسبوعياً لفرقة "بديعة مصابنى" فى الأربعينيات وماقبلها، هو نفسه أبو السعود الإبيارى الذى يستطيع أن يقدم لفرقة إسماعيل ياسين خمسة أو ستة عروض فى كل موسم مسرحى لفرقة إسماعيل ياسين، إضافة إلى عدد آخر من الأفلام السينمائية، يقوم فيها بكتابة القصة والسيناريو والحوار.. والأغانى!!

كان أبو السعود الإبيارى يعتمد على قدرته الفائقة على تمصير الأعمال الأجنبية لمسرح "الفارس" وتحويلها إلى مجرد أعمال كوميدية "هزلية" خالية من أى مضمون سوى الضحك!

كل هذه الظروف والملابسات بدأت تظهر تأثيراتها على إسماعيل ياسين وفرقته ما جعل الجمهور ينصرف عنها، خاصة أنه لم يعد هناك بديل واحد.. بل العديد من البدائل، الأمر الذى انعكس على الفرقة فى شكل مشاكل مادية .. حيث بدأ يظهر فى تقلص عدد المسرحيات التى تقدمها الفرقة، وتناقص أعداد الجمهور الذى يأتى للمشاهدة، وبالتالى عدم وجود دخل للفرقة يضمن استمرارها، حتى تراكمت عليها الديون، ولم يعد إسماعيل قادرا على سداد هذا العجز من السينما، ولم يكن حال السينما بالنسبة له أفضل من المسرح!

## الديون تهاجمه

حاول عبدالقادر حاتم وزير الثقافة والإرشاد القومى - الثقافة والإعلام معاً - فى ذلك الوقت مساعدة الفرقة، فوقف بجانبها دعماً لوجودها وتقليلاً لمشاكل صاحب المسرح مع الفرقة عندما حاول طردهم لتراكم الإيجار عليهم، بل إنه وبعد تأميم المسرح وانتقال تبعيته للدولة جعل الإيجار رمزياً، وصرف للفرقة منحاً مالية (إعانة) حتى تستمر فى العمل ولا تتوقف وقدم لها مساعدات من نوع آخر غير مباشر، عندما قرر دعم الفرقة إعلامياً بإذاعة ٨ إعلانات تليفزيونية مجاناً كل شهر.

وسجل التليفزيون بعض المونولوجات لإسماعيل ياسين، وأيضاً

قام بتسجيل مسرحيات الفرقة، بل وجرت محاولات لضمها إلى مسارح التليفزيون، كما أتيح لإسماعيل ياسين الغناء من خلال حفلات التليفزيون الشهرية، فعاد إلى المونولوج مرة أخرى، عام ١٩٦٣ عندما ألقى عدة مونولوجات، وقد استقبله الجمهور استقبالا هادراً.

## الميل العكسى للميزان

لكن للأسف لم يتحقق الكثير من هذه الوعود، ما جعل إسماعيل ينفجر غاضباً وراح يحكى مشكلته على صفحات الصحف والمجلات، بكلمات مغموسة بالمرارة والغضب، تنهمر من الفم الذى أطلق مئات النكت، وأضحك وأسعد الملايين:

"هو فيه كام إسماعيل ياسين تانى علشان يحاربونى كده؟! أنا رفعت قضية على التليفزيون بطالب بمائة ألف جنيه.. حقى فى المسرحيات اللى سجلوها وباعوها للبلاد العربية.. بيبيعوا الدقيقة بـ ١٣ جنيها ونص.. وباعوا ٥١ مسرحية من مسرحياتى!

وكمان الـ ٥١ مسرحية مسجلها التليفزيون، محاولوش أنهم يعرضوا أى مسرحية منها خلال سبعة شهور.. ليه بيعاملونى كده هو أنا من "الإسكيمو"؟!

كفاءتى قاعدة فى البيت مقفول عليها أوضة، أنا لىَّ سنتين ما بشتغلش فى السينما.. أعمل إيه؟!

بهذه الحدة والمرارة القاسية تحدث إسماعيل ياسين!

فى هذا الوقت كان ياسين الابن من الأصدقاء المقربين لخالد نجل الزعيم جمال عبدالناصر، بسبب عشق عبدالناصر لإسماعيل، وزيارته له فى أكثر من مناسبة، غير أنه لم يكن يعرف بما يحدث له، وأبت نفس إسماعيل أن يشكو لرئيس الجمهورية أنه لا يعمل!

ومع منتصف الستينيات بدأ الميزان يميل إلى الكفة الأخرى، حيث بدأ

العد التنازلى وكان ذلك نتيجة لأكثر من ضربة قاسية سواء فى عمله أو صحته أو حظه الذى صعد وتألق خلاله، ثم جاء وقت بدأ ينزل من خلاله أيضاً.

## كانت المفاجآت كثيرة..

كان أول مفاجأة أنه وجد المخرج فطين عبدالوهاب، مخرج كل أفلامه، أو أغلبها، والذى كان لا يخرج فيلماً إلا ويشترط وجود إسماعيل ياسين فيه بطلاً أو يقوم بأحد أدوار البطولة فيه، أصبح يخرج أفلاماً كثيرة دون أن يشترط هذا الشرط، وبدلاً من أن يقول لكل منتج بأنه يريد أن يشارك إسماعيل ياسين فى فيلمه لمصلحة المنتج بدأ يقول إنه لا يريده لمصلحة المنتج أيضاً.. لأنه وجد أسهم إسماعيل ياسين فى هبوط، واسمه لم يعد اسم نجم شباك!

أحس إسماعيل ياسين بأن فطين عبدالوهاب بدأ يشترط عدم وجوده، وقرر إسماعيل أن يبحث عن السر وراء ذلك، ليعرف لماذا يستبعده فطين عن أفلامه، بعد أن قضيا معاً أكثر من عشر سنوات صورا خلالها ما يزيد على مائة فيلم، حققت لفطين قبل إسماعيل حضوراً مهماً، ورفعت اسمه إلى السماء، وجنى الكثيرون من ورائها أموالاً طائلة!

بعد البحث والتدقيق وجد أن فطين كان مظلوماً، فقد ظل يضع اسمه فى كل أعماله الفنية ويرشحه سواء للبطولة، أو لدور كوميدى مهم، ولكن المنتجين والموزعين كانوا يرفعون اسم إسماعيل لأنه لم يعد يعنى شيئاً فى سوق السينما، فى نظرهم!!

فى البداية رفض إسماعيل أن يصدق ذلك، ولكنه اضطر لأن يصدق حين وجد شباك فرقته المسرحية يعد عداً تنازلياً، وبات يهبط يوماً بعد يوم، وأحس نجوم الفرقة بذلك فترك حسن فايق الفرقة وتبعه استيفان روستى ثم عبدالفتاح القصرى، وهبطت الإيرادات هبوطاً ملحوظاً وكان من المفروض أن يتقاضى إسماعيل ياسين وأبوالسعود الإبيارى راتباً قدره خمسمائة جنيه فى الشهر لكل منهما، ثم تحسب أرباح الفرقة فى

نهاية كل عام ويتم توزيعها، ولكن إسماعيل ياسين فوجئ بأن أرباحه فى آخر موسم صيفى أحياه فى الإسكندرية هو تسعة عشر جنيهاً فقط، ما جعله يبدأ فى إعادة حساباته، ثم جاء الموسم الشتوى، واضطر إسماعيل لأن يتعاقد مع عدد من الهواة، فقد رفض النجوم المشهورون، العمل معه وكانوا يقولون فى ذلك الوقت إن إسماعيل بدأ يُفقدهم نجاحهم وإضحاكهم للناس، ويريد أن يستأثر وحده بإضحاك الناس!

**وتأثر إسماعيل ياسين بهذا..**

وبدأ يتأثر بالوضع ككل فقد بدأ يختفى فى الوقت نفسه عن شاشة السينما، ولم يعد أيضاً يعمل كمونولوجست ونصحه بعض أصدقائه بإغلاق المسرح لأن المسارح لم تعد تكسب ولم تعد تعوض حتى عن العمل الشاق فيها، ولكن إسماعيل رفض أن يستمع إلى هذه النصيحة، واعتبر أن البعض يريدونه أن يخرج من إطار المنافسة، وكان لا يزال مؤمناً إيماناً عميقاً بأن عليه أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لكى يبعث الحياة فى المسرح الكوميدى، بالرغم من أنه كان يعرف تماماً أن فرقة "الريحانى" باتت تنوء بثقل الخسائر، وبعد أن التحق على الكسار كممثل بفرقة المسرح الشعبى، وأغلق هو الآخر مسرحه.

## مرض إسماعيل

صدق ظن إسماعيل فى فترة ما وبالفعل عاد الناس إلى المسرح بعد أن لم يبق هناك غيره، واستطاع أن يجذب الجماهير بالفعل إلى مسرحه من جديد وفى أكثر من موسم، حتى حقق من جديد أرباحاً جديدة، ولكن الأمر عاد إلى وضعه السيئ بعد أن ظهرت فرق التليفزيون التى كانت تفتح أبوابها للجماهير بتذاكر مخفضة، وبقروش قليلة، وعادت فرقة إسماعيل ياسين لكى تتعرض لخسائر فادحة ومتوالية، وبات أغلب النجوم - خاصة ما ظهر من نجوم جدد فى ذلك الوقت - يعملون فى مسارح التليفزيون وبأجور خيالية، بالمقارنة بأجور ذلك الوقت.

تقدم إسماعيل ياسين مع شريكه أبو السعود الإبيارى بشكوى

للمسئولين فى التلفزيون لعلهم يعوضون بعض خسائره، ولكن لم تؤد هذه الشكوى إلى أية نتيجة، وبدأت المواسم المسرحية تسير من سيىء إلى أسوأ، ودون أن يفكر المسئولون عن المسرح فى إنقاذ "فرقة إسماعيل ياسين" من الانهيار، حتى عجزت ميزانية إسماعيل ياسين عن تغطية خسائره هو وشريكه أبو السعود الإبيارى، وبدأ الاثنان يستقبلان كل يوم المحضرين من وكلاء الدائنين، وبدأت مصلحة الضرائب توقع الحجز التحفظى على بعض ممتلكات إسماعيل ياسين وحسابه فى البنوك.

وفى هذا الوقت جاءت إليه الهموم الكبرى.

أتت على شكل مرض.. بل وربما مجموعة من الأمراض بدأت تتسرب إلى بدنه، وبدأت أيضاً تصيب شريكه أبو السعود الإبيارى، وكان أغلبها بسبب التوتر العصبى والإرهاق النفسى.

فى أغسطس ١٩٦٦ يعود من جديد للمسرح، ويقدم مسرحة "سيدتى العبيطة" على مسرح "إسماعيل ياسين" بالإسكندرية، رداً على مسرحية فؤاد المهندس وشويكار "سيدتى الجميلة"، وبالفعل تنجح المسرحية وتحقق إقبالاً متميزاً من الجمهور، يسعد إسماعيل ويشعره بأن الجمهور لا يزال يقبل عليه.

ويدق جرس التليفون، ويجد إسماعيل على الطرف الآخر صديقه المؤلف أبو السعود الإبيارى:

- **الحق يا إسماعيل.**

**- إيه فيه إيه يا أبو السعود.. إيه اللى حصل؟!**

- **الممثلون فى الفرقة أعلنوا أنهم مش هيدخلوا المسرح أو يمثلوا**

**- ليه.. إيه اللى حصل؟!**

- **بيقولوا إنهم مش هيشتغلوا إلا لما ندفع لهم مرتباتهم المتأخرة**

**وتذكر إسماعيل موقفه الذى فعله يوماً فى بيروت مع فرقة "أمين عطا الله" وشعر بأنها.. بداية النهاية.**

## سقوط على المسرح

فجأة تظهر مصيبة جديدة فى حياة إسماعيل ياسين وفى وسط هذه الظروف السيئة، بعد أن تستيقظ مصلحة الضرائب من نومها وتتذكر أن الممول إسماعيل ياسين لم يسدد ضرائب عن أرباحه ودخله منذ عام ١٩٥٥، وتطالبه المصلحة بسداد مبلغ طائل يعجز عن سداده فى هذه الظروف، وكان من نتيجة ذلك أن هاجمته الأمراض، وازدادت حالته الصحية سوءاً وتمكنت تلك الأمراض من جسده المنهك وهاجمته بقسوة، ولم يعد يحتمل جسده الضعيف ـ ٥٤ عاماً فى ذلك الوقت ـ مهاجمة الأمراض له.

غير أن الأقدار كانت تخبئ له مفاجأة أسوأ، ففى أثناء تأدية دوره فى المسرحية يسقط على خشبة المسرح من شدة الإرهاق والمرض، ويتم نقله على الفور إلى "مستشفى المواساة" بالإسكندرية، حيث هاجمته أمراض النقرس، لأنه كان قد أدمن أكل "اللحوم" لتعويض سنوات الفقر والحرمان، وزاد على ذلك أمراض الرئة.

وظل إسماعيل فى المستشفى لمدة شهرين للعلاج، واضطر أبو السعود الإبيارى إلى تسريح أعضاء المسرح بعد أن وعدهم بدفع أجورهم المتأخرة حين ميسرة.

كان إسماعيل ياسين ينتظر طول مدة مرضه أن تسأل عنه هيئة ما أو نقابة أو جهة مسئولة، فقد كان الشىء المدهش حقاً فى تلك الفترة أنه لم يكن يملك ثمن العلاج والأدوية، لأن الضرائب والدائنين حجزوا على كل ما يملك وحتى على رصيده فى البنك وعلى إيرادات عمارته فى الزمالك، وجاء دور زوجته فوزية كى ترتب الأمور، ونجحت فى تدبير مصاريف علاجه فى المستشفى، فقد باعت ما عندها من مصوغات واقترضت من بعض المعارف والأصدقاء، ورغم ذلك لم تستطع أن تدفع فى الوقت المحدد ولذلك بقى إسماعيل ياسين فى المستشفى عدة أيام بعد شفائه، وحين استطاعت أن تكمل دفع الفاتورة، وعندما سمح له

المستشفى بالخروج، سعد وبدأ فى الاستعداد للعودة من جديد، غير أن الأطباء وضعوا شرطاً لخروجه:

**● حمداً لله على السلامة يا أستاذ إسماعيل**

**- الله يسلمك يا دكتور..**

**● لا ده إحنا بقينا عال قوى.. صحتنا النهارده بقيت تمام**

**- كله بفضل الله وبجهودكم يا دكتور أنا مش عارف أشكركم إزاى**

**● ده واجبنا أنت فنان كبير وثروة قومية**

**- أهو الحب الكبير ده أهم عندى من العلاج**

**● أيوه بس مش لازم نهمل العلاج.. ويكون فى مواعيده، خصوصاً إننا هنسمح لحضرتك النهارده بالخروج**

**- ده أسعد خبر سمعته فى حياتى**

**● بس مش هتقدر تقف تانى على خشبة المسرح**

**- وده أسوأ خبر سمعته فى حياتى.. ليه يا دكتور مش بقيت كويس خلاص؟**

**● متتساش يا أستاذ إسماعيل أن مشكلة النقرس هتستمر معاك شوية، وده هيمنعك من الوقوف كتير، وكمان تعب الرئة يمنعك أنك تتكلم كتير أو تجهد نفسك.. وأنت سيد العارفين أن المسرح محتاج وقوف ومجهود كبير.**

اعتبر إسماعيل هذا الكلام "حكماً بالإعدام" الفنى عليه فهو يعنى ببساطة البعد والحرمان من عشقه "خشبة المسرح" ومواجهة الجمهور.. واعتقد أن القدر أسهم فى ذلك بحرمانه من صديق العمر أبو السعود الإبيارى، الذى رحل فى مارس ١٩٦٩.

## فشل مسرحى

وبينما فقد إسماعيل الأمل فى أن يقف ثانية على خشبة المسرح برحيل الإبيارى، فوجئ ذات يوم ببطلعت حسن مدير فرقة "مسرح عمر الخيام" يعرض عليه أن يقوم ببطولة مسرحية "اتفضل قهوة" التى ينوى

أن يقدمها، وقبل إسماعيل أن يقوم ببطولة المسرحية، وشاركه فيها الوجه الجديد "سهير رمزى" ابنة صديقته القديمة، والتى شاركته فى العديد من الأفلام فى أيام مجده المطربة درية أحمد، ومعهما ميمى شكيب وصلاح منصور.

ولم تكن المسرحية إلا على طريقة المثل الشعبى "الأذان فى مالطا" فلم تجد الجمهور، ولم يجد إسماعيل النجاح الذى كان يرجوه ولم يجد النقاد فى العودة ما يبشر بالأمل أو بجديد رغم أنه قدم شخصية جديدة لا علاقة لها بصورة إسماعيل ياسين السابقة.. ولكن بلا جدوى!! حتى جاء يوم لم يزد عدد المتفرجين فيه على عدد أصابع اليد الواحدة وكان من الطبيعى أن تتوقف المسرحية التى كانت آخر عمل قام به إسماعيل.

ومن جديد عادت الكوارث والمصائب تحط على رأسه، وعادت مصلحة الضرائب تطالبه بمستحقات لها بلغت مائة ألف جنيه ثم تعرض لحادث مؤلم فقد اتهم بالقتل الخطأ حين صدم فتاة صغيرة بسيارته، واستطاع أن يثبت أن الفتاة خالفت قانون المرور وبرأته المحكمة من الاتهام ولكن بعد أن قضى سنتين يتردد على المحاكم إلى جانب اشتداد مرض النقرس عليه، وكانت أزمات هذا المرض تفاجئه صيفاً وشتاءً دون رحمة ولذلك حرم عليه الأطباء أن يتناول من الطعام إلا الخضراوات المسلوقة بالماء فقط وبدون "ملح" على الإطلاق.

## طوق النجاة

ويأتى طوق النجاة هذه المرة من دولة الكويت، حيث وجهت إليه الدعوة للزيارة والتعاقد معه على تقديم مونولوجاته وأعماله المسرحية هناك، ويسافر فى آخر مايو ١٩٦٧ يحدوه الأمل فى استعادة بريقه وأمجاده من جديد، ولكن الأقدار كانت له بالمرصاد، فما كاد يحط رحاله فى دولة الكويت حتى وقعت الحرب بين مصر وإسرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧!!

ويترك إسماعيل الكويت مضطراً ويذهب إلى بيروت حتى يستطيع عن

طريقها أن يعود إلى مصر، وبينما هو فى بيروت يعقد بعض الاتفاقات الفنية على تقديم عدد من الأفلام هناك.. وكان ذلك بمثابة عودة الروح له.

يعود إسماعيل ياسين إلى القاهرة فور التعاقد، ليصطحب معه إلى لبنان، زوجته فوزية وابنه الوحيد ياسين، فهو لا يستطيع أن يعيش بدونهما، ولم يكن ياسين وقتها قد أنهى دراسته بالمعهد العالى للسينما فى قسم الإخراج، وترك المعهد وسافر مع والده.

وكان فى هذه الفترة، وبسبب ظروف الحرب وآثار النكسة وانعكاسها على الأوضاع الاقتصادية والفنية فى مصر، هاجر إلى لبنان عدد كبير من فنانى مصر، فى مقدمتهم المخرج يوسف شاهين، والمخرج بركات، فاتن حمامة، فريد شوقى، فريد الأطرش، مريم فخر الدين، عماد حمدى، وسبقهم الفنان عبدالسلام النابلسى.



# نهاية قصة





خلال وجود إسماعيل فى لبنان لم يجد الفرصة الحقيقية التى كان بحاجة إليها، ولكن كان يجب أن يعيش، والفرص التى أتيحت له لم تعطه الدور الأول أو الثانى أو حتى الثالث، ولكن أمام ضغوط الحياة اضطر إسماعيل أن يقبل ذلك من أجل أن تسير حياته، فقد أراد البعض استغلال اسمه أيضاً بمجرد المشاركة فى بعض الأفلام، وشارك فى أفلام "كرم الهوى، لقاء الغرباء، وفرسان الغرام".

ومن السينما إلى التليفزيون، حيث قدم البرامج التليفزيونية وامتد نشاطه إلى الاشتراك فى الحفلات الفنية وبعض الملاهى والفنادق، ووجدت الإعلانات الدعائية فيه "صيدا" يغرى، فسقط فى إغرائها وقدم الإعلانات التجارية التى تروج للبضائع المختلفة!!

خلال هذه الأعمال التى لا ترضى روح الفنان الحقيقى بداخله، يتولد الأمل فى قلب إسماعيل وتظهر الرغبة فى أن تظل الأضواء مسلطة عليه، فضلاً على روح الفنان بداخله والتى لا تخبو شعلتها أبدا، فيكون فرقة مسرحية جديدة تعمل فى سوريا ولبنان، ويشترك معه فى الفرقة المسرحية الجديدة عقيلة راتب ومحمود المليجى وجمالات زايد وهالة الشواربى وبعض فنانى سوريا ولبنان، وحاول إسماعيل أن يعيد مجد وبريق الأيام الخوالى التى تجول خلالها فى ربوع مدن سوريا ولبنان، وذاق خلالها حلاوة النجاح وصنع له اسماً فى تاريخ الفن، حفره بالجهد

والتعب والمثابرة، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، ويخسر إسماعيل كل رأسماله الذى حققه من السينما والتليفزيون، ولا تحقق الفرقة أى نجاح مادى أو فنى!

واستجابة لمبادرات كثيرة عادت الطيور المهاجرة وهو الاسم الذى أطلق على تلك المجموعة من الفنانين الذين استقروا فترة من الوقت فى لبنان، وعاد معهم إسماعيل ياسين، ولكن فجأة تبخرت كل الوعود التى قطعت لهم قبل العودة.

ومضى زمن طويل لم يسأل عنه أحد فيه، واضطر لأن يذهب إلى عبدالحميد جودة السحار، الذى كان يتولى فى ذلك الوقت منصب رئيس هيئة مؤسسة السينما، وشكا له موقف المنتجين والمخرجين منه، خاصة أولئك الذين يعملون لحساب المؤسسة، وقال له إنه من غير المعقول بعد أن كان يمثل ستة أفلام فى الشهر يجد نفسه بدون عمل!

ويومها أبدى السحار دهشته من ذلك، وأكد أنه معجب بموهبة إسماعيل ياسين ولا يحب ممثلاً كما يحبه، ووعده بأن يحقق رغبته فى العمل، وابتهج إسماعيل بذلك وانتظر تنفيذ هذا الوعد دون جدوى، فبدأ يطوف على مكاتب المنتجين، خصوصاً أولئك الذين مثَّل لحسابهم الكثير من الأفلام التى سجلت أرباحاً مادية طائلة لهم، بل كان السبب فيما ينعمون به من ثراء، وقد استقبله هؤلاء استقبالاً طيباً، ووعدوه وعوداً كثيرة ولكن هذه الوعود لم يكن مصيرها أفضل من وعود عبدالحميد جودة السحار!

## انطفاء الأنوار

يترك المرض على جسد إسماعيل الواهن علامات جعلته يبدو وهو فى أواخر الخمسينيات من عمره، كعجوز فى السبعين، غير أن المرض لم يستطع الوصول إلى روحه المناضلة، فقد حزن إسماعيل على ضياع الفرقة التى تحمل اسمه، وبشر كثير كانوا "يأكلون عيش" من ورائه، فتوقفه عن الصعود إلى خشبة المسرح أو عدم وقوفه أمام الكاميرات،

معناه أن تتشرد بعض الأسر وتنطفئ الأنوار من حول اسمه.. وهو الذى ضحى كثيراً خلال مشوار حياته حتى يصنع هذا البريق، فلماذا لا تستمر تضحيته ويحاول ثانية؟.

ويعود إسماعيل ويبدأ من جديد، وتعرض عليه أعمال لم تكن ترقى إلى مستواه وشهرته وتتعامل معه بالصورة نفسها التى سبق أن "تباعد" عنها الجمهور، لكن الظروف تعانده ولا تساعده كثيراً، فالجسد لم يعد يحتمل، والروح المرحة الضاحكة طوال الوقت، أزاحها بغض المرض وهمومه، وانعكس ذلك على شخصيته، حتى على خشبة المسرح، والجمهور بطبعه لا يرحم، فهو لا يعرف ظروف الفنان ولا معاناته ولا آلامه، يريد أن يرى الفنان مثلما تعود عليه، وربما كان ذلك هو السبب الرئيسى فى اعتزال الفنانة ليلى مراد فى أوج مجدها وشهرتها وعمرها لم يتجاوز ٣٣ عاما فى العام ١٩٥٥، ولم يلتفت إسماعيل إلى ذلك لشدة حبه لفنه وجمهوره، ولكن الجمهور خذله، ولم يعد يأتى لمشاهدة "سمعة"، وتراجعت عروض الفرقة، وتبع ذلك هروب بعض أعضاء فرقته إلى مسارح التليفزيون، وانشغل البعض الآخر بأضواء السينما.. وتركوا إسماعيل وحيداً.. يكابد آلامه.

وهنا يتدخل ياسين الابن فى محاولة منه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فهو يريد أن يفعل شيئاً من أجل أن يساعد والده فى استعادة ما يفقده تباعاً، ويتقدم ياسين لإخراج أول سهرة درامية فى حياته كمخرج بعنوان "دوائر الشك"، ويختار لها إسماعيل ياسين بطلاً، وكان ياسين يفكر فى تلك اللحظة فى تحقيق إحدى أمنياته وهو فى بداية حياته العملية، وهى أن يصنع عملاً لتاريخه الشخصى، عملاً يجمع بينه وبين إسماعيل ياسين ليس الأب - فقد ظهر معه من قبل فى فيلم إسماعيل ياسين بوليس حربى - ولكن مع إسماعيل ياسين صاحب التاريخ الطويل والنجم الكبير، فيقرر أن يظهر مع والده من خلال عدة مشاهد فى هذه السهرة، وفى الوقت نفسه كانت أمنية غالية تحققت لإسماعيل أن يقدم عملاً من إخراج ابنه الوحيد.. وتحققت أمنية الاثنين.. غير أنها كانت الأخيرة لكليهما!

## العودة إلى البدايات

فى العام ١٩٧٠، وفى يوم عيد ميلاد إسماعيل ياسين - ١٢ سبتمبر - يفاجأ جمهور مسرح "ملهى رمسيس" بوقوف إسماعيل ياسين على خشبة المسرح يلقى مونولوجاته فيه، وكان حدثاً غريباً وغير متوقع، فبعد غياب ما يقرب من ٢٠ سنة أو أكثر من توقفه عن تقديم المونولوج يعود إسماعيل لإلقاء مونولوجاته فى الملاهى الليلية.. فما أشبه الليلة بالليالى البارحة!!

لم يكن الفرق بعيداً أو كبيراً بين رواد ملهى بديعة، حيث وقف إسماعيل ياسين فى بداية حياته يلقى مونولوجاته لذلك الجمهور، وبين الجمهور الذى يقف أمامه اليوم فى ملهى رمسيس، ولكن المدهش فى الأمر أن الجمهور أحسن استقباله، ودفع هذا النجاح أكثر من ملهى لأن يتعاقد مع إسماعيل ياسين ليلقى مونولوجاته.. من جديد!

ولكن الفنان الذى كان شعلة من النشاط والحركة وخفة الدم على خشبة المسرح، لم يكن فى هذه المرة الشاب الذى يبحث لنفسه عن مكان بين الكبار، بل فنان ونجم كبير خلفه تاريخ طويل يحاول أن يصنع مستقبلاً موازياً له، فشتان ما بين الشاب الذى يبدأ حياته.. وابن الستين الذى تمكنت منه الأمراض، وتضطره الظروف الصحية لأن يقدم نمرته وهو يرتدى "الشبشب" فى قدميه لإصابته بمرض النقرس!!

ومن الملهى الليلى إلى السينما - كأنما التاريخ يعيد نفسه معه - ويقبل إسماعيل أن يعود إلى السينما ليس فى دور البطولة أو البطل الثانى أو حتى "السنيد" .. بل يقبل دوراً قد يكون من الأدوار المساعدة أمام أبطال مثل هند رستم، ورشدى أباظة، وغيرهما من الذين كانوا يقفون فى يوم من الأيام أمامه فى الدور نفسه الذى يقف فيه اليوم أمامهم.

وعندما شعر إسماعيل بأن الدنيا قد تضحك له من جديد، وجدها تضحك عليه، ويرحل الرجل الذى أحبه وتعلق به، على المستويين الرسمى والإنسانى، ففى الساعة السابعة وخمس وأربعين دقيقة من

مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وقبل أن يصعد إسماعيل إلى خشبة المسرح ليلقى مونولوجاته كما تعود كل يوم، يسمع من الإذاعة خبر رحيل الزعيم جمال عبدالناصر!!

يبكى إسماعيل طويلاً كما لم يبك يوم رحيل والده، ورغم أن إسماعيل كان يكبر الزعيم جمال عبدالناصر بست سنوات، فإنه كان يشعر بأنه والده الحقيقى.. الأمر الذى جعله يقع تحت وطأة الأمراض من جديد، وتضطره ظروفه الصحية أن يلتزم بيته أغلب أيام الأسبوع بلا عمل!

## بلا أصدقاء

لم يكن إسماعيل قد مسح دموعه بعد على رحيل الزعيم جمال عبدالناصر، حتى بكى من جديد واحداً من أقرب الأصدقاء له، فقد رحل المخرج فطين عبدالوهاب، صديق العمر والنجاح والشهرة..

لم يكد قلب إسماعيل فى جنازة صديقه المخرج فطين عبدالوهاب - المخرج الذى ذاق معه الشهرة والنجاح - يصرخ باكياً حزيناً لفقده، كما ودع من قبله صديق عمره أبو السعود الإبيارى، حتى أعلنت مصلحة الضرائب عن بيع عمارته التى يملكها بمنطقة الزمالك وفاء للضرائب المستحقة عليه، وتقرر له الدولة معاشاً استثنائياً بعد أن تذكرت الصحافة والحياة الفنية أن هذا الفنان كان فى وقت من الأوقات "فلاشة الضوء" على أغلب دور العرض السينمائى فى وقت لم يعد به الزمن كثيراً، ويعاوده المرض بقسوة وينصحه الأطباء بالراحة والبعد عن جو الحزن الذى يحيط به فى القاهرة، فقد تغير كل شىء، لم تعد الأجواء كما كانت، لم تعد الأحوال السياسية والاقتصادية كما كانت، تبدل كل شىء حوله، حتى الفن، لم يعد كما كان، طغت المادة على كل شىء، بعد أن كان يعيش وسط جيل من الفنانين يعملون بإخلاص وحب من أجل الفن.. بات الأمر كله من أجل المال والشهرة والأضواء فقط.. فشعر بأنه وحيد فى هذا العالم الذى بات غريباً عليه، وكان لابد أن يتقبل الأمر وفرض أوضاع جديدة، أفرزتها الحياة السياسية والاجتماعية التى أصبحت عليها مصر فى مطلع السبعينيات!!

## شريط الذكريات

ويذهب إسماعيل ياسين إلى الإسكندرية لعله يجد فى هوائها نسمة ترد لقلبه الهدوء ولنفسه الراحة، وفى الإسكندرية حيث الهدوء والراحة، وأمام شاطئ البحر راح يستعرض تاريخ حياته منذ بدأ رحلة الهروب من السويس بحثاً عن مكان الأضواء فى القاهرة.

وتنهال الذكريات على رأسه: من مطرب للمونولوج مغمور، إلى مطرب المونولوجات الأول، ثم ممثل فى كل الأفلام حتى يصبح أول ممثل يقدم سلسلة أفلام باسمه.. أول ممثل يقدم مايزيد على ١٨ فيلماً فى السنة، تذكر المنتجين والمخرجين الذين كانوا يتهافتون عليه، وينتظرون منه مجرد توقيع، النجاح فى الدول العربية الصعود خطوة خطوة إلى سماء الشهرة والمجد فى المونولوج والسينما والمسرح وأفيشات الأفلام التى كانت تحمل اسمه تغطى كل دور العرض.. والمسرح الذى أعطاه كل ما كسبه من الفن، وتجاهل كل هؤلاء له وانحسار الأضواء عنه وقسوة معاملة الضرائب له وحجزها على أمواله فى البنوك وعمارته!! تساقط الأصدقاء الذين ساندوه ووقفوا بجانبه يصنعون مجده ومجدهم وتنكر الكثيرون له.. المخرجون والمنتجون وحتى زملاؤه من الفنانين والمنتجين الذين كسبوا من ورائه الألوف وعشرات الألوف لا يسألون عنه ولا يعترفون به الآن.

ربما حز فى قلبه أكثر أن يعود إلى نقطة الصفر ليبدأ من جديد فى هذا العمر المتأخر أو ربما أوحت له الإسكندرية بنوع آخر من الذكريات فقد ارتبطت كل زيجاته الفاشلة والناجحة بالإسكندرية.

من يدرى فيما كان يفكر إسماعيل ياسين فى أيامه الأخيرة، هل كان يفكر فى المستقبل ويشحذ القلب والنفس فى فترة الراحة والاستجمام ليبدأ من جديد، متذكراً أن ما مضى كان أشد قسوة وأكثر حلكة وظلاماً من الحاضر، فلا شك أنه كسب ألوف الجنيهات، وأكثر ما كان يسعده رغم ضياعها، أنه لم ينفق على الشرب أو النساء أو اللهو، بل أنفقها كلها

على الفن أيضاً، لذلك فهو على يقين بأن القلب والإرادة التى استطاعت أن تشق طريقها إلى القمة، تستطيع مرة أخرى أن تنتصر.

## الاستعداد للنهاية

بدأ إسماعيل ياسين فى هذه الفترة يشعر بدنو أجله، خاصة بعد أن زاد عليه المرض، ومنعه داء "النقرس" من معشوقته "اللحمة" وكان يقول ذلك لابنه ياسين وهو يضحك:

**● أنا بدأت حياتى وأنا نفسى فى حتة لحمة.. أو حتة فرخة.. ويظهر أن حياتى هتنتهى برضه وأنا نفسى فيها.**

وكان فى كثير من الأحيان يروى لابنه كيف خرج من السويس وهو لا يملك من حطام الدنيا سوى الجنيهات الستة، وكيف كان ينام فى المساجد ويأكل مع المجاذيب، وكيف شق طريقه على الشوك ثم كيف تحولت الحياة من دمعة حزينة إلى بسمة كبيرة حتى أصبح ملك السينما والمسرح المتوج، وكيف بدأ العد التنازلى، حتى تآمرت عليه الدنيا.. ونسيه الناس!!

يضحك إسماعيل طويلاً.. ويندهش ياسين

**● بتضحك على إيه يا عم إسماعيل**

**– باضحك على الدنيا اللى ضحكت عليا.. بتخلص تارها (ثأرها) منى**

**● ليه بتقول كده؟**

**– لأن اللى أنا شفته محدش شافه.. ومعتقدش أن ممكن حد يشوفه بعد كده خلاص مهما نجح ومهما طلع**

**● أنا متأكد من ده**

**– مش علشان أنا أبوك.. لا لأن فعلاً اللى حصل ده لما ببص له دلوقت بحس أنه مكانش طبيعى.. ده كان حلم.. تخيل الولد السويسى الصغير اللى محلتوش "اللضا" ومفيش فى جيبه ولا مليم.. وجاى ونفسه يغنى**

**زى عبدالوهاب، يوصل بيه الحال أنه يكون أغلى نجم فى مصر والدول العربية.. وينجح النجاح ده كله.. وبعدين بعد ما الدنيا تطلع بيه لسابع سما.. تنزله مرة واحدة لسابع أرض**

**● بس أنت لسه إسماعيل ياسين.. مهما حصل**

**- إسماعيل ياسين مات خلاص**

**● ألف بعد الشر عنك.. متقولش كدا**

**- ده مش أنا اللى بقول.. الدنيا هى اللى قالت كلمتها خلاص**

**● بابا.. أرجوك بلاش الكلام ده خلينا نغير السيرة**

**- يا ابنى الموت علينا حق..**

**ويضحك إسماعيل كثيراً**

**● بتضحك على إيه؟!**

**- افتكرت عمك عبدالفتاح القصرى الله يرحمه لما كان دايماً يقول: "الموت عليكوا حق".. وكأنه مش عليه هو كمان.. أهو مات.. وبرضه بعد العز والفخفخة مات وهو مش لاقى حق الدوا.**

**● الموت ده حاجة فظيعة**

**- تتصور إنى مش خايف من الموت..**

**وصمت ياسين منتظراً أن يكمل والده حديثه**

**- مقولتليش ليه؟**

**● ليه؟**

**- لأنى محضر للموت ألف نكتة.. أول ما أحس بيه داخل عليه.. هفضل أقول نكت لنفسى علشان أفضل أضحك.. وزى ما عشت أضحك الناس.. أموت وأنا بضحك!!**

وتصدق مقولة إسماعيل ياسين.. حيث كانت توقعاته بالنسبة لنهاية حياته صادقة، ويعود من الإسكندرية إلى القاهرة يوم ٢٣ مايو ١٩٧٢

ويمضى أمسيته مع أسرته، حيث لم يتوقف ليلتها عن إلقاء النكات عليهم.. يضحك ويضحكون حتى سالت الدموع من عينيه، ومع الساعات الأولى من صباح يوم ٢٤ مايو يسلم إسماعيل ياسين الروح وهو مبتسم.

رحل إسماعيل ياسين عن عمر يناهز الستين عاماً، حتى الطبيب الذى احتاج إليه فى اللحظات الأخيرة من حياته.. لم يكن بجانبه.. مات وحيداً قبل أن يصل ياسين بالطبيب!

رحل إسماعيل ياسين.. رحل بعد أن أضحك الملايين.. رحل بعد أن أضحك الدنيا كلها.. وضحك عليها.. ولم يكن يدرى أنها هى التى ستضحك أخيراً..

رحل إسماعيل ياسين بعد أن كان يوماً ملكاً متوجاً تجرى من حوله الحاشية يميناً ويساراً.. ليعود به الزمان ويصبح أحد أفراد الحاشية لملوك جدد.. ربما صعدوا على أكتافه..

رحل إسماعيل ياسين بعد أن ترك لنا ثروة قومية تقدر بنحو خمسمائة فيلم، فى جميع الموضوعات والشخصيات، وما يزيد على ٨٠ مسرحية، صور منها التليفزيون المصرى أكثر من ٥٠ مسرحية، لم يبق منها ويعرض بين الحين والآخر سوى نصف مسرحية "فصلين من إحدى مسرحياته"..

رحل جسد الفنان إسماعيل ياسين، غير أن روحه المرحة الجميلة الضاحكة.. لاتزال باقية ترفرف فى سماء حياتنا المفتوحة، حتى اليوم.. والغد.. وستظل إلى إن يشاء الله.

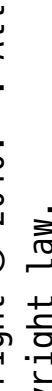
# ألبوم الصور





السويس فى مطلع القرن العـ رين


منطقة الكسارة





حى الزيتية



البداية والحلم بالطرب



المونولوجست



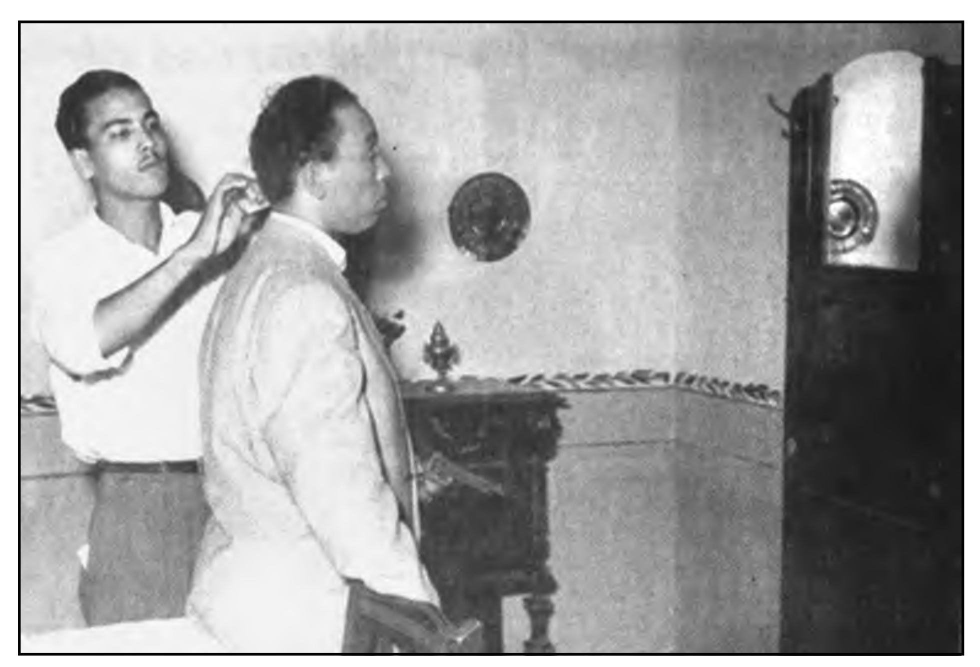

أحد المقاهى التى كان يجلس عليها إسماعيل ياسين بالسويس



منطقة روض الفرج فى العـ رينيات



مسارح روض الفرج فى نفس الفترة



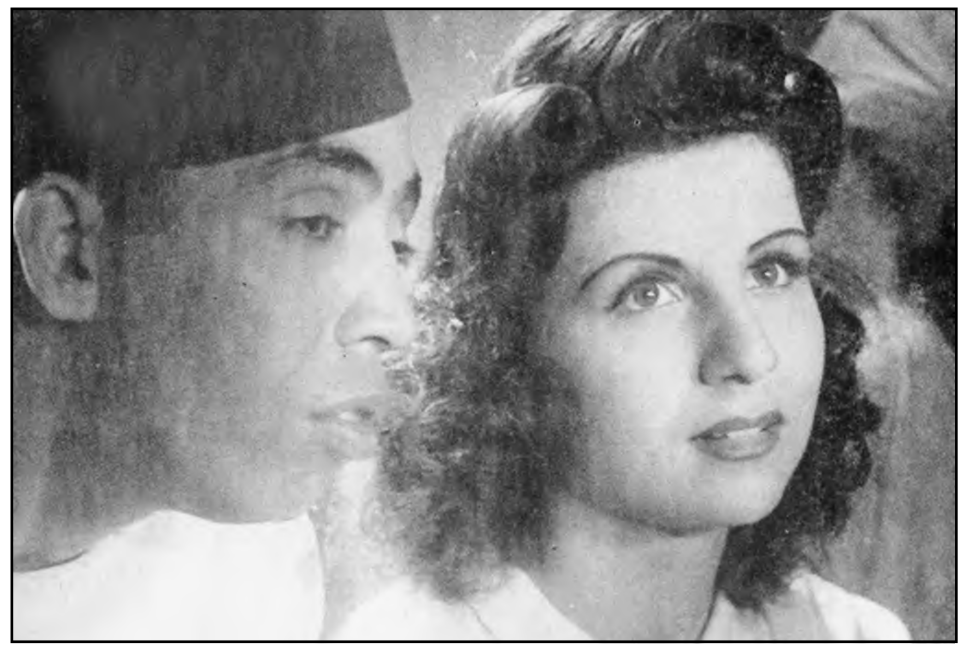
الماكياج قبل الصعود إلى خـ بة المسرح




بوستر يوضح
برنامج بديعة
مصابنى




أفيش فيلم «نور الدين والبحارة الثلاثة» مع على الكسار



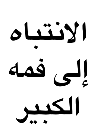
مع صباح فى «هذا جناه أبى»



إسماعيل ياسين «بوليس سرى»



ببا
عزالدين



الانتباه
إلى فمه
الكبير

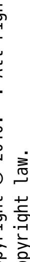




مع شادية وشكوكو فى ليلة العيد



زفاف
ليلى
مراد
وأنور
وجدى



بداية النجومية



السيجار يزداد طولاً بعد الثراء



تحية كاريوكا



الملك فاروق والنحاس باشا



خفة ظله
لفتت أنظار
الجميع



المصري

الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة

# إعلان الجمهورية

## الرئيس نجيب يتولى رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الوزراء

## جمال عبد الناصر نائب رئيس وزراء ووزير داخلية

## صلاح سالم وزير للإرشاد وشئون السودان وعبد اللطيف بغدادي وزير حربية

## تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة

في منتصف الساعة الحادية عشرة من مساء أمس اتضحت الأمور واتخذت القرارات التي تكفل للبلاد الاستقرار خلال فترة الانتقال ..

أعلنت الجمهورية، وأصبح الزعيم نجيب رئيسا لها، وانتهى حكم أسرة محمد علي وتم التعديل الوزاري.

وبادرت وزارة الخارجية إلى إخطار سفاراتها ومفوضياتها في جميع أنحاء العالم بالأوضاع الجديدة في البلاد لإعلانها لكافة الدول.

الوزراء الخارجون

## بيان من مجلس قيادة الثورة

### إنهاء حكم أسرة محمد علي وإلغاء ألقاب أفرادها

أصدر مجلس قيادة الثورة بيانا بإنهاء حكم أسرة محمد علي وخلع الملك الطفل أحمد فؤاد وإعلان الجمهورية وتولي الزعيم الرئيس محمد نجيب رئاستها خلال فترة الانتقال. وقد أذاع الرئيس البيان التاريخي التالي من محطة الإذاعة المصرية قبيل منتصف ليلة أمس وهذا نصه:

وقد وقعه جميع أعضاء مجلس الثورة

مصر تطلق العالم

القواد

عبد الحكيم عامر

سفيران ري يتحري الأمم المتحدة وبطلب سراح ٢٥ ألف أسير

إعلان الجمهورية .. والضباط الأحرار



ناصر رئيساً للجمهورية



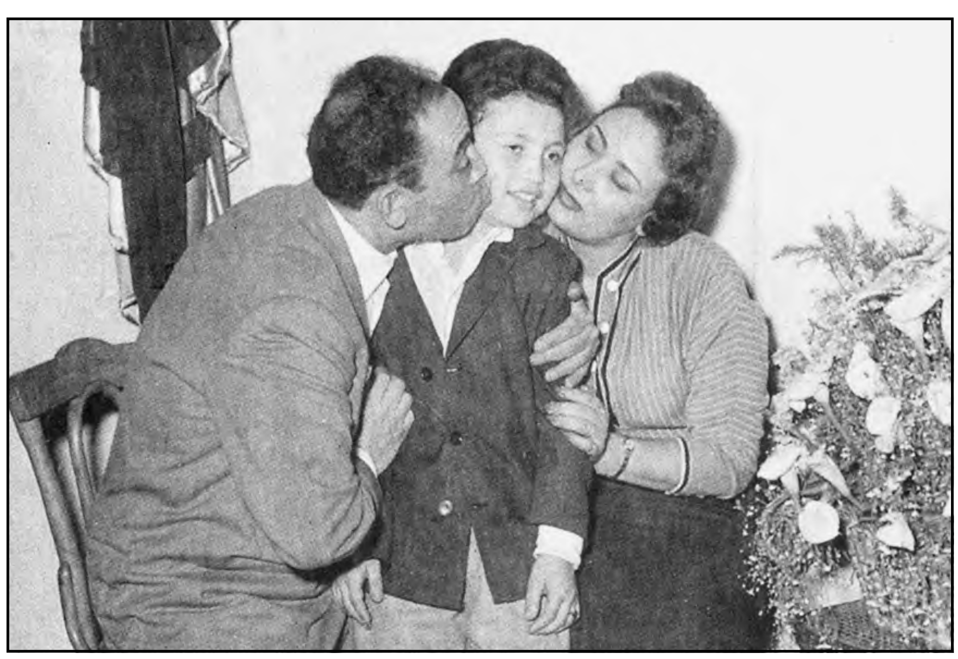
مع المليجي فى استراحة قصيرة



بين حسن فايق والقصبجى فى فيلم «ليلة الدخلة»



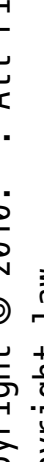
فرحة عارمة بعد وصول ياسين



ياسين بين الأب والأم وسعادة أسرية

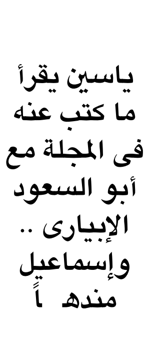
يدربه على نفس الحركات من أجل القيام بدوره فى فيلم «بوليس حربى»





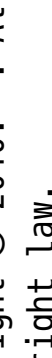


سعادة لا
تنقطع
فى
الأسرة



ياسين يقرأ
ما كتب عنه
فى المجلة مع
أبو السعود
الإبيارى ..
وإسماعيل
منده  اً



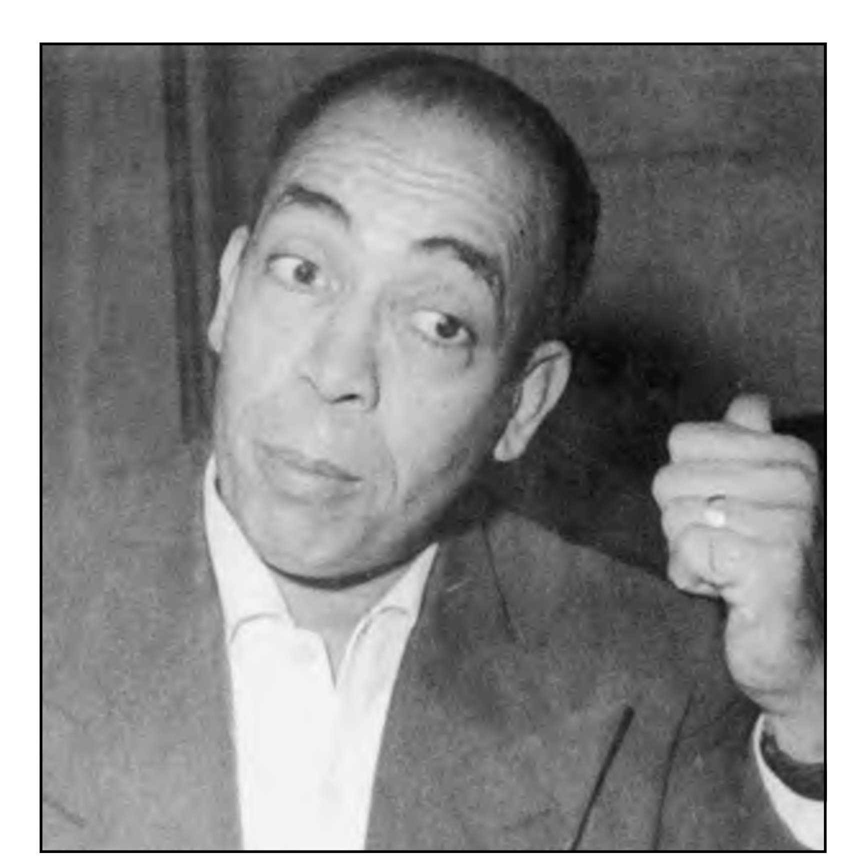


يبدى دهـ ته من هذا التجاهل



آخر أعماله المسرحية مع الفنانة الـ ابة سهير رمزى



بداية
أفول
النجم



سلامو
عليكو!

# الفهرس

# المؤلف فى سطور

## ماهر زهدى

- كاتب صحفى.. يعمل بالصحافة الفنية
- خريج المعهد العالى للفنون المسرحية
  - أكاديمية الفنون
- كتب سيناريو وحوار عدد من الأفلام الروائية القصيرة منها:
  - هو النهارده إيه
  - نجاملكم فى الأفراح
  - بحلم يا دنيا بجد
  - العفريت
  - أهى عيـ ة
  - يسعد مساكى
  - له فيلمان تسجيليان:
  - بقيع مصر
  - ريش.. محمية ثقافية.

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٠٩٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977-236-731-9

